الجزء الأول

موسوعة الدين المقارن

د. نبيل فياض





مدخل إلى مشروع الدين المقارن

إن الدار الليبرالية غير مسؤولة بشكل مباشر عن آراء الكتاب إنما تنشر ثقافة مفتوحة بحيادية.

كُل كتاب يعبر عن آراء مؤلفه وإن كنا لا ننشر إلا ما نحن مقتنعون بأهميته ثقافياً سواء وافقنا الكاتب أم لا.

نحن ملتزمون بقيم الحرية الفكرية بأعلى مستوياتها والاختلاف حالة طبيعية فلا نلزم أحد بقراءة منشوراتنا.



Deutschland - Berlin

Schlachthofstrasse 20

004917621419894

llliberallabrary@gmail.com

شعارنا

حرية الاختيار تعني اختيار الحرية، فالحرية لا تختار إلا ذاتها.

مدخل إلى مشروع
الدين المقارن

إعداد

نبيل فيّاض

مقدّمــة

يحكى أن مجموعة من المسيحيين المتحمّسين جاءت يوماً إلى كانط ، تطلب منه عدة براهين على وجود الله ، فلبى الفيلسوف طلبهم ، فذهبوا يدحضون بها حجج الملحدين الذين كانوا يتناثرون آنذاك في مراكز الفكر في الغرب؛ وبعد مدّة ، كما قيل ، دفع النجاح بالمتحمّسين للعودة إلى كانط من جديد ، طالبين منه المزيد من الحجج . فما كان من الفيلسوف إلا أن أحبطهم بتقديم براهين في الاتجاه المعاكس .

هذه الأيام ، وبعد مرور قرنين تقريباً على رحيل الفيلسوف الشهير ، هنالك من يحاول استخدام أحدث المكتشفات العلمية –وغالباً مالاتكون له علاقة بعملية الكشف ذاتها– للتدليل على صحة اعتقاده ، حيث احتلّ العلم مكانة علم الكلام والجدل والفلسفة في التدليل على صحة أمر أو زيفه . وهكذا ، لأكثر هذه الأيام شيوعاً ، في الأوساط الإيمانية عن اختلاف توجهاتها ، من السؤال القائل : «هل فكرت يوماً بهذا الكون ونظامه الدقيق؟ ألا يوحي لك ذلك أن خلف هذه الدقة المتناهية منظّم قدير؟» .

لكن إذا أغفلنا حقيقة أن علوم الكون الجديدة قامت على أكتاف العلمانيين (حتى لانقول : الملحدين) ، وأنها قلبت رأساً على عقب التصوّر الحاخامي للكون ، والذي رأى في السماء سقفاً بلا أعمدة مزيناً بالأنوار ، واعتبر الأرض منبسطة ومركزاً للكون ومنسوجة من صخرة في القدس ، وحاولنا تفعيل العقل أكثر ، فنتجاوز بتفكيرنا مسألة الكون ونظامه ونصل إلى خالقه ، إلى مرحلة التأمل في ذات الإله : زمنيته ، كينونته ، فعاليته ، وهل المفاهيم المتداولة حالياً حول ذات الإله مستحدثة ، كمفاهيم الكون والعالم المعاصرة ، أم قديمة منافلة من مرحلة بدئية في التفكير الإنساني ؟ .

سؤال آخر يعتمد أحدث ماتوصلت إليه العلوم الطبية (أو ماشابه) ، يتّخذ هنا من جسد الإنسان بؤرة للتساؤل : «أليس هذا الجسد المفرق في تعقيد أنظمته بحاجة إلى منظّم ، وهل يعقل أنه جاء بالصدفة؟» ، لكن إذا حاولنا التساؤل بعمق أكثر ، لقلنا بالمقابل : «إن حيوانات أخرى كثيرة تملك من الأجهزة مالقد

يكون أعقد كثيراً من الأجهزة البشرية -مع ذلك ، لايوجد في تصرفاتها مايوحي بأي ميل غيبي : فهل كل مافي الأمر ، أن تطوّر عنصر المخيلة في المخّ البشري أوصله إلى هذه التطورات؟

شروط المنافسة :

منذ القدم ، كان ثمة تياران لتفسير نشوء الكون : واحد إلحادي وآخر إيماني. وقد توزع التياران بدوريهما إلى مدارس متعددة ، وأحياناً متصارعة . وفي العصر الحديث عرفنا مدرستين إلحاديتين متنافستين شهيرتين هما الوجودية والماركسية . أما المدارس الإيمانية فلا يمكن إحصاؤها مهما حاولنا .

لقد حسمت العلمانية بشقيها الإلحادي والحيادي الحرب إلى صالحها في الغرب وفي شرق آسيا : مع ذلك فسقوط الماركسية في شرق أوروبا ، جعل اليد العليا للعلمانية الحيادية ، وهذا لم يؤثر بأي شيء على المدارس الثيوقراطية هناك التي ضمنت حريتها بشكل مطلق في ظل العلمانية الحيادية : (في بريطانية، نشاط الأصولية الدينية الإسلامية أقوى من أية دولة أخرى ، ربما باستثناء أفغانستان) . فما هو حال التنافس الفكري في الشرق ؟

للإجابة على هذا السؤال الهام ، نضرب مثالين توضيحيين شهيرين : قبل سنوات قليلة أشار أديب مصري[1] - هو الأجرأ ربما على الساحة العربية الآن، بنوع من الشكّ المهذّب ، إلى إحدى الحكايا المتداولة بشدّة في الأوساط اللاعقلانية، خاصة النساء . وكانت نتيجة التهييج الشعبي والافتراء الأيديولوجي اللذين تعرض لهما هذا الرجل ، أن صارت حياته في خطر ، مما استوجب حراسته رسمياً . مقابل ذلك ، فإنّ «عالماً» شهيراً مازال مصرّاً على نشر آرائه المتعلقة بكروية الأرض ودورانها ، وهي آراء تعاكس بحسم كل ماجاءت به العلوم الحديثة ، ويكفّر من يقول عكس ذلك . ولاحاجة بنا طبعاً للتذكير بالمدلول الإجرامية لمسالة التكفير .

إذن : ثمة صراع غير متكافئ إطلاقاً يدور بين العلمية التشكيكية والغيبية

---

(١) - وحيد حامد ، حين أشار إلى مسألة عذاب القبر في المسلسل الشهير «العائلة» .

التسليمية . وعلى عكس ماقد يتوهم بعضهم ، لانقصد بالغيبية التسليمية (لاعقلانية غالباً) التيارات الدينية حصراً ، فالماركسية في بعض مراحلها ، كانت أقرب ماتكون إلى هذا التيار . في حين أنّ العلمية التشكيكية ليست (غيتو) مغلقاً على الدوائر اللادينية ، لأنّ كثيراً من الإيمانيين ، من شتى التيارات، والذين لايخشون إعمال العقل في قناعاتهم الأرسخ ، هم أبناء محتملون لهذا التوجه .

إنه صراع غير متكافئ : فالطرف اللاعقلاني الذي لايدل تطرّفه الحالي إلا على شعوره بأزمة لاسابق لها ، يسعى بكل السبل للمحافظة على قبضته التقليدية على عقول العامة ، ويستعمل كل مافي قواميسه من مصطلحات مُهيّجة (أسطورتا المؤامرة[٢] والتكفير في الموضع الأول) لإبقاء الحشوية في أقصى حالات التوتر المشاعري . مقابل ذلك ، فالطرف العلمي التشكيكي يعاني من دوائر حصار متكاثفة خارجياً مثل كتلة زنزانات دائرية متسامكة بازدياد : دائرة الحصار المادي والمعنوي ، دائرة حصار التيار اللاعقلاني ، دائرة حصار أنصار التيار اللاعقلاني من رسميين وتجار مستفيدين من حالة سكونية المجتمع التي ترسّخها اللاعقلانية ، وأخيراً دائرة حصار الحشوية الذين يشحنون بعدائية متنامية لكل ماهو عقلاني . مع ذلك ، فالعلمية التشكيكية تتقدم ببطء ، لكن برسوخ ، على كل الجبهات . وماالمعارك التي تُشَنّ على رموز هذا التوجه، هنا وهناك ، إلا الدليل الدافع على مدى الحركية الاجتماعية التي سببتها والتي أدّت إلى إقلاق راحة كثيرين .

صراع غير متكافئ : فرغم أن الطرف العلمي التشكيكي ينتقد بعنف أحياناً وبخشونة دائماً تقريباً (وضْعنا الحالي لايفي أسوأ الألفاظ بتوصيفه) إلا أنه طبعاً، يرفض أية مصادرة لحرية الطرف الآخر مهما بالغ في لاعقلانيته (نذكّر هنا بموقف القوى التقدمية والليبرالية في مصر ، من رفض اعتقال رئيس تحرير أشهر

---

(٢) - «القوي لايخشى المؤامرات» - هذا شعار الأمم الحية والأفراد الأحياء . في الدوريات العربية كان ثمة حديث طويل حتى الملل عن مؤامرة الغزو الثقافي الأجنبي الذي تعرّض له المطلقة عبر الفضائيات الفضائية. لكن الإعلام المرئي السوري القوي، خلال شهر رمضان ١٩٩٦ ، أثبت أن المتمكن من ذاته لايخشى المنافسة - وكان حقاً أن هذا الإعلام فرض نفسه بقوة في بيوت الجميع . فكل أن لاتكون هذه «الصحوة» مسألة موسمية .

صحيفة تكفيرية في العالم العربي ، عام ١٩٩٥) . مقابل ذلك ، فالطرف الآخر ، خاصة الرموز التكفيرية فيه -وهم الغالبية الساحقة- لايرفض الفكر المخالف فحسب ، بل يرفض وجود صاحب الفكر المخالف ، ويسعى إلى مصادرته بكل السبل الممكنة ، بما في ذلك التصفية الجسدية كما أثبتت الوقائع في غير قطر عربي .

الفكرة ... والإنسان :

لابأس أن يمتلك الإنسان فكرة ، يكرّس لها شيئاً من وجوده ، أو كل وجوده. ولامانع أن تمتلك الفكرة الإنسان ، فيصبح عبداً لها ، تأسره في ليله ونهاره ، وتحتل حياته وربما مماته . ولامانع أيضاً أن تكون تلك الفكرة غير واقعية، لايمتلك دليلاً على صحتها غير إيمانه بها . لكن مايحق رفضه بحزم ، هو أن يطالب بفرض تلك الفكرة التي تأسره على غيره . في ظلّ أية حجّة .

إنّ كلّ من يختبر تجارب متنوعة بين جماعات مختلفة عقائدياً ، يتملّس بوضوح دور البيئة الحاسم في اعتناق إنسان لفكرة ورفضه لأخرى . ومن البديهي القول ، إنَّ من ينشأ في بيئة لاتعرف شيئاً عن عقيدة بعينها ، لايمكن أن يعتنق تلك العقيدة . وإنَّ من ينشأ في بيئة تحكمها بقوة عقيدة معينة ، يصعب عليه أن يحيد عن حدود تلك العقيدة .

إعتناق فكرة إذاً أو عدم إعتناقها : هو مسألة بيئة أولاً وأخيراً . وعدم إدراك هذه المقولة ، سيؤدي حتماً إلى مشاكل تتفاقم مع مرور الزمن . ففي مناطق مختلفة من العالم هذه الأيام ، يطرح كل طرف تصوراته الدينية الدنيوية ، ذات الأساس الغيبي غالباً ، كإطار لبناء مجتمع ، بفرعيه الديني والدنيوي . لكن الحقيقة أنّ المجتمعات البشرية اختلطت في القرن الأخير إلى درجة كبيرة ، ولم يعد ممكناً تفادي احتمالية تصادم التصورات الغيبية المتباينة . -فما هو الحل ؟ .

لقد طرحت بعض الدول «الأغلبية» كحل : بمعنى انه يحق «للأغلبية» التحكم في شؤون الأقليات ، على الصعيدين العام والخاص . وهذا مانلمسه حالياً في سلوك بعض الأقطار التي تنتمي إلى تيار ديني بعينه . لكننا بالمقابل نتساءل : ماذا سيكون مثلاً موقف الأقليات غير الهندوسية ، في الهند

العلمانية، إذا وصل اليمين الهندوسي المتطرف[٣] إلى سدة السلطة ، وفرض الهندوسية ديناً ودنيا على الجميع ، تحت شعار الأغلبية ؟ بل ماذا يمكن ان يحصل إذا وصل اليمين البروتستانتي الأميركي المتطرف ، الذي يتنامى برسوخ ضمن ردات فعل معروفة ، وفرض تصوراته على كل ماعداه تحت راية الأغلبية؟

لقد ارتعدت بعض الأطراف حزناً على تدخل فرنسي رسمي في الشؤون الخاصة لفتيات من إحدى الأقليات الاثنية الدينية (–وهي أقلية غريبة أصلاً عن فرنسا ، وقدمت إليها فقط للإفادة المادية من ثمار العلمانية الفرنسية–) ، وأقامت صحفها الدنيا ولم تقعدها حداداً على انتحار الحرية في فرنسا . ورغم أن الموقف الفرنسي ، برأينا ، يتنافى مع أبسط معطيات العلمانية الحيادية ، فنحن لابد أن نتساءل عن حالة الحريات عند الذين يندبون الحرية الفرنسية ، وعن وضع الأقليات عندهم ، بما في ذلك أقلية تعتبر «أصل» أحدى تلك الدول، إثنياً ودينياً : الزرادشتيون .

«لماذا نستنكر أن يقدس الفرنسيون فهمهم للحيادية الدينية ، ونسمح لغير الفرنسيين بقمع كل الأفكار المخالفة عبر تقديس مفاهيم لايرقى بعضها إلى مستوى الخرافة؟» .

خطر الإنقراض :

في إحدى المجلات العربية ، وردت المعلومة الهامة التالية : «أمّا من حيث الثراء فإنّ مجموع النتاج الداخلي الخام لدول المغرب العربي لايزيد عن ١٠٠ مليار دولار [وهي] لاتشكل ثقلاً فعلياً تجاه الإتحاد الأوروبي الذي يمثل وزناً قدره ٧٢٨٠ مليار دولار . وبلجيكا وحدها بملايينها العشرة فقط يبلغ نتاجها

---

(٣) – لقد توقعنا في كتابنا «حوارات» منذ سنوات أن يصل اليمين الهندوسي المتطرف في الهند إلى الحكم ، لأنّ التطرف الديني الإسلامي بشقّيه ، لابد ان يخلق ردّة فعل عند الغالبية الهندوسية التي ستتنازل تدريجياً عن علمانيتها لصالح تطرف ديني مقابل . وإذا استطاعت القوى التقدمية والعلمانية محاصرة التطرف الهندوسي مرحلياً ومنعه عن استلام السلطة ، فنحن نعتقد ، إذا مااستمر التطرف الإسلامي على وتيرته المتصاعدة ، أن يجتاح التطرف الهندوسي الهند بالكامل في الانتخابات القادمة .
أنظر كتابنا : «حوارات في قضايا المرأة والتراث والحرية» ، دار أسامة : دمشق ١٩٩٢ ، ص ٢٢٩ .

الداخلي ٢١٣ مليار دولار أي أكثر من ضعفي الناتج للدول المغاربية[٤]. بل ورد في إحصاءات أخيرة ، في غير صحيفة عربية ، أن دخل الفرد الإسرائيلي يصل تقريباً إلى ضعف دخل الفرد في أغنى دولة عربية بالنفط . من ناحية أخرى فاليابان الدولة الفقيرة نظرياً -لانفط ولاأراضي ولامعادن ولاموقع استراتيجي- هي أغنى دول العالم واقعياً : في اليابان شعب همه العمل وعقيدته «المستقبل» .

لقد بدأ عصر النهضة في يابان ميجي ومصر محمد علي في الوقت ذاته : فلماذا صارت اليابان «يابانا» وتراجعت مصر الحالية إلى ماقبل عصر محمد علي؟

للأسف الشديد ، عادت بقسوة في أيامنا هذه النظريات الشوفينية القديمة ، بعد تلوينها بالعملية الكاذبة ، والتي تفيد أن شعوب العالم مختلفة بيولوجياً من حيث إمكانياتها الفكرية وقدراتها الكامنة على التطوّر واللحاق بركب العصر . وتؤكد بنوع من الحتمية التاريخية ان تقادم الزمن سيزيد من تطوّر الشعوب القابلة «صبغياً» للتحضّر ، ويوصل غيرها إلى تخوم الإنقراض . ويدعمون آراءهم العنصرية بامثلة مما يحدث في بعض الدول كالصومال ورواندا والسودان وأفغانستان والجزائر ... إلخ .

لكن هذه رؤيا أحادية الجانب ، محكومة سلفاً بمشاعر أصحابها ، وهو مايعكس بدوره شكلاً من الإعاقة الفكرية غير المحدَّدة . فالمشكلة ، كما تتوضح من امثلة لانهاية لها ، لاتكمن في «الإنسان-الذات» ، بل في «الفكرة-الموضوع» . - كيف ؟ بتبسيط شديد ، نقول ، إنَّ إيماننا بالنشوئية الارتقائية إبستمولوجياً يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه ، كون الصيرورة تتحكم في كل شيء ، فلا بد لمن يحاول تأطير تلك الصيرورة في سجن قناعاته غير المتحولة واعتقال الزمن في لحظة بعينها ، من أن تُداسَ ، من قبل تلك الصيرورة ذاتها ، ويرمى في سلّة مهملات الزمن . الصيرورة ترفض أن تُعْتَقل : لاذاتياً ولا موضوعياً . وحين يعتقل الإنسان ، حامل الفكرة ، الصيرورة في زنزانة فكرته «من منظور الأبدية» ، لابد لتلك الصيرورة أن تتخلّص منه معرفياً ، ويصبح

---

(٤) -مجلة الوسط ، عدد ٢٠٦ ، ص ٢٨ .

الحضارة، التي تحيله بدورها إلى سلسلة الكائنات المنقرضة : انقراض حضاري – ثقافي – معرفي ، وليس بالداعي «كينونياً» .

إنَّ العقل الذي يعتقل في فكرة تمنعه صيرورته الذاتية ، خاصة حين تكون هذه الفكرة من بيئة بعيدة عن ذلك العقل ثقافياً ومعرفياً وزمنياً وجغرافياً ، لابدَّ أنه سينتهي في حالة عطالة تخنقه «كغيتو» سيء السمعة ، ويرمي بالتالي إلى الانقراض : وحين ينقرض العقل ، ينقرض صاحبه .

الدور الإسرائيلي :

رغم رفضنا المطلق لأسطورتي التفوّق والمؤامرة الإسرائيليتين ، فنحن نعتقد برسوخ أن الإسرائيليين يساهمون بعمق في إعاقة تطوُّر المنطقة معرفياً عبر وسائل كثيرة : نحن نرفض أسطورة التفوق الإسرائيلية ، لأنها برأينا ، كأسطورة تصوير الـ CIA كقدر لايمكن ردّه ، وهو ماعممه عملاء هذه الوكالة خاصة عبر الحقل السينمائي في الثمانينات لخلق انطباع لدى العامة أن الـ CIA «وحش هائل لايمكن الوقوف في طريقه» ، مجرّد أسطورة تهدف أولاً وأخيراً إلى تكريس حالة استسلام عطالية عند المحيطين بإسرائيل كقوة لايمكن تجاوزها او مواجهتها. ونرفض أيضاً أسطورة المؤامرة الإسرائيلية ، منذ عبد بن سبأ وحتى حرب الخليج الثانية ، لأنَّ الإنسان القوي ، كالشعب القوي ، لايخشى المؤامرات . مع ذلك، فنحن واثقون من الدور الإسرائيلي في إعاقة التطور المعرفي للمنطقة . وسنضرب على ذلك مثالين ثقافيين غاية في البساطة والبداهة :

عندما كنّا في طور الإعداد لدراستنا حول العلاقة بين الأدب الديني الإسلامي الما بعد القرآني ، والأدب الديني الرباني المابعد توراتي ، لفت انتباهنا بعض الإشارات في «الموسوعة اليهودية» إلى نصوص تاريخية يهودية قديمة ، كُتِبَت في الحقبة الممتدة من دخول المسلمين القدس وحتى سقوط الحكم الأموي . ولما كانت النصوص ، كما استلمحنا من الإشارات ، هامة جداً ، فقد حاولنا الحصول عليها من أصدقاء ذوي خبرة في الولايات المتحدة وألمانيا . وظلت النتيجة سلبية بالكامل ، حيث لم يجد الأصدقاء أي تجاوب في المكتبات اليهودية أو شبه اليهودية في هذين البلدين ، حتى زارتنا في دمشق الباحثة الدكتورة باتريشيا كرونه ، الكاتبة الأشهر في حقل الإسلاميات في

كامبردج اليوم ، والتي تفضّلت مشكورة بإرسال تلك النصوص إلينا بلغتها الأصلية . لكننا لن نعمل في هذه المرحلة تحديداً على ترجمة تلك النصوص أو نشرها بالعربية ، حتى لايساء فهمها أو استخدامها .

من ناحية أخرى ، فنحن نعرف بوضوح الآن ، عبر مايصلنا من فهارس من بعض جامعات بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة ، أنّ الإسرائيليين يستقطبون خيرة علماء الاستشراق والاستعراب للمحاضرة في جامعاتهم ، وأنّ بعض هذه الجامعات -العبرية تحديداً- أضحى ينافس أعرق مراكز الاستشراق ذات السمعة العالية ، كلايدن ولايبتسغ . لكنّ السؤال الذي لابد منه هنا : لماذا لاتنشر هذه الجامعات نتاجها الفكري الهام باللغة العربية ، خاصة وأنها محاطة بأغلبية عربية ساحقة ، وأن هذه الدراسات تهمّ تلك الغالبية أولاً؟ والجواب الوحيد الذي نستطيع اقتراحه : العلم ! إنّ تلك المنشورات مكتوبة بلغة «علمية - علمانية» يسعى العلماء الإسرائيليون إلى نشرها بين أفراد شعبهم حتى ولو على حساب المخزون اللاهوتي التقليدي -انظر الملحق في هذا الكتيّب- ونسبة المتدينين بين يهود فلسطين (١٠ - ١٤٪) تؤكد رأينا السابق : وهم ، أي العلماء الإسرائيليون ، يرفضون بقوة انتشار هذه الروح العلمية بين من يعتبرونهم أعداءهم .

لقد عرف التاريخ اليهودي ، مقارنة بغيره من التواريخ ، أكبر كمّ من تقاليد الخرافة ! لأنه بالخرافة وحدها (مقابل العلم) ، استطاع الحاخامون الحفاظ على المجتمع في اعلى درجاته السكونية ، وبالتالي الإبقاء عليه بكافة طبقاته في حالة تبعية كاملة لهم . لكن في القرون الثلاثة الأخيرة ، ومع تسرّب الروح العلمية إلى يهود أوروبا ، سقطت الخرافة وسقطت معها سلطة الحاخامين مرةً وإلى الأبد . اليهود إذن يفهمون اللعبة : فليس أفضل من روح الخرافة وسيلة للسيطرة على مقدّرات شعبٍ عبر الحالة السكونية . وماذا يمكن أن يُفرح الإسرائيلي أكثر من حالة شعب تشكل مسألة «حدود العورة» هاجس نساله الأكبر ، و«ضوابط التكفير» بؤرة تفكير رجاله . لكن الحقيقة التي فاتت العلماء الإسرائيليين - وأحياناً : غيرهم - هي أنّ حالة التخلف المدقع التي يريدون ترسيخها للحفاظ على سكونية المجتمع في اعلى درجاتها ، سوف تؤدّي ، مع الانتشار الأفقي الغامر لحالة الحسّ الجاهلي ، إلى ظهور حالة تطرّف ستكون معاكسة تماماً للوضع السكوني الذي يأملون ترسيخه . وبين التخلّف المطلوب والتطرف

المرفوض خيط رفيع لايمكن لأحد ، مهما كان عبقرياً ، تلمّسه او حتى التكهّن بنوعيته .

الغزو الثقافي الجديد :

في كل مكان تقريباً ، يدور حديث عاطفي -وأحياناً متشنّج- عن أخطار الغزو الثقافي الغربي على عقول الأجيال القادمة . لكن لو تجاهلنا الأحاديث النظرية التهويلية ، وأخذنا عملياً عينة عشوائية من أية عاصمة عربية ، وحاولنا استقصاء تأثرها بالثقافة الألمانية على سبيل المثال ، باعتبار ألمانيا هي الأقوى في أوروبا حالياً وهي أقرب من غيرها إلينا نسبياً - فماذا ستكون النتيجة ؟ ببساطة: إنّ المتأثرين "بالغزو" الثقافي الألماني غير موجودين تقريباً ، وهم غالباً مايضطرون للهجرة ، إن وجدوا ، لتصادم نوعية عقولهم المغزوة بالعقليات السائدة . مقابل ذلك ، هنالك غزو ثقافي من نوعية اخرى يشبه تقريباً وباءً جائحاً ، يكاد يحصد كل مايقابله : غزو تغذيه أموال الزيت ، وتعمّمه اقلام مأجورة تنتمي لدولة عُرِف كتّابها عموماً بتغيير قناعاتهم ، وفق مصالحهم ، بأسرع مما يغيرون ثيابهم الداخلية .

لقد زاد الأمر سوءاً مع انفراط عقد التحالف الكاذب الذي نشأ بعد حرب «أكتوبر» بين السلطة في ذلك البلد وجماعات الغزو الثقافي الجديد ، لكن بعدما ابتلع الطرف الثاني الشارع بالكامل : شارع لم يعرف قط العقلية العلمية. فرغم اختلاف الشعارات التي طرحها القائمون المتبدلون ، كان المضمون واحداً. ومع انقلاب التحالف الكاذب إلى صراع دموي حقيقي لأنّ للطرفين هدفٌ واحدٌ لايتسع للإثنين معاً ، ارتفعت سوية التخلّف ، لأنه بدل أن يستغل الطرف الحاكم حالة الصراع هذه لخلق سوية وعي شاملة تمكّن الشعب من دخول القرن الجديد بأبهى حلّة علمية ، وجدنا ذلك الطرف يلهث في التنافس مع «جماعة الغزو الثقافي» في التخلّف حتى يُثبت للناس أن لاطرف أقل ماضوية من غيره- وكانت النتيجة هائلة : حالة تخلّف معرفي تتعمّق بإطراد وتكاد تعصف بذيولها بمستقبل شعب - ومن لم شعوب - يمتلك كل مؤهّلات التقدّم .

الوثيقة الدينية والوثيقة التاريخية :

من أبرز العوامل المؤثرة في خلق جو العقلية العلمية خارج المنطقة العربية ، هو تلك الدعوة التي تترسّخ باضطراد للفصل بين الوثيقة الدينية والوثيقة التاريخية . ليست كل وثيقة دينية وثيقة تاريخية ، وليست كل وثيقة تاريخية وثيقة دينية ، لكن هذا لايعني استحالة تقاطع الوثيقتين . —كيف ؟

إذا أخذنا ، على سبيل المثال ، سفر التكوين في الكتاب المقدّس العبراني ومعه تفاسيره المدراشية في سفر «تكوين راباه» ، فنحن لانمتلك هنا وثيقة تاريخية «بالمعنى العلمي» ، تؤيد حقيقة شخصيات هذا السفر أو حوادثه : والتي «يؤمن» بها حالياً كم هائل من الناس في كافة أرجاء العالم — بغضّ النظر عن المشاكل الداخلية للسفر ، والتي سنشير إليها في كتبنا اللاحقة .

لقد زيّف الحاخامون تاريخ المنطقة كي يجعلوه مطابقاً لما ورد في الكتاب المقدّس العبراني ، رغم استحالة ذلك جوهرياً ، وقد انتشر هذا التزييف في معظم أرجاء العالم —باستثناء الحضارتين البوذية والهندوسية تقريباً— مع تبنّي المسيحية للكتاب المقدّس العبراني كجزء أوّل من كتابها المقدّس الخاص ، وتسرّب الحكايا الحاخامية إلى الكثير من تراث المنطقة . لكن ظهور التيار العلماني في الغرب أدّى مع تبلوره الحيادي إلى نشوء مدارس فكرية هامة تطالب بالفصل بين الوثيقة الدينية والوثيقة التاريخية . وقد ساعدت الكشوفات الأثرية الهامة جداً في سوريا وحوض النيل في دعم هذا التوجه ، ونقض المصداقية التاريخية للتوراة وخاصة سفر التكوين .

● ● ●

«تاريخ إسرائيل لاقيمة له كتاريخ أنموذجي لإزالة الصبغة الطبيعية عن القيم الطبيعية» !

ليتشه

قابيل وتاريخ التشويه

محاولة جديدة لفهم اليهودية !

إنَّ كل من يقرأ «نشيد دبورة وباراق» في «سفر القضاة» (٥ : ١ –٣٠) ، والذي يعتبر أقدم مقاطع الكتاب المقدّس الشعرية ، يكتشف بسهولة كم كان هذا الشعب بعيداً عن التحضّر في روحه وماديّاته ، وكم كانت حكاياه موغلة في البداوة . لذلك لن نستغرب أبداً إذا ما اكتشفنا هذا الطوفان الكبير من الحقد على الحضارة والمتحضرين ، في مقاطع كثيرة من الكتاب المقدس العبراني.

ففي الفصول الأولى من التوراة ، تطالعنا القصة الشهيرة عن صراع «قابيل وهابيل» ابني آدم : قصة لايمكن الركون إليها بارتياح إذا ماأخذنا بعين الاعتبار ملايين السنين التي مرّت على ظهور الإنسان الأول وإمكانية تناقل القصة بتفاصيلها الدقيقة الواردة في التوراة من جيل إلى جيل ، إضافة إلى العمر الحقيقي للغة العبرية التي اختار آدم أن يأخذ اسمي ولديه منها . لكن الهدف الحقيقي من قصة قابيل وهابيل ، في اعتقادنا ، ليس رواية تاريخ ديني ، بل إظهار الموقف اليهودي الحقيقي من مسألة التحضّر :

قابيل – أو قايين – (ومعنى الاسم «حداد») ، الذي كان «يحرث الأرض» ، يقرِّب للرب تقدمة «من ثمر الأرض» . أما هابيل (ومعنى الاسم «نسمة» أو ربما «ابن») ، الذي كان «راعي غنم» ، فقد قدّم للرب «شيئاً من أبكار غنمه ومن دهنها» . فقبل الرب تقدمة الأخ الأصغر ، البدوي ، هابيل ، ورفض قبول تقدمة قابيل ، الأخ الحضري ، الأكبر . فوثب الأخير على «هابيل أخيه فقتله». فقال له الرب : «والآن فملعون انت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دماء أخيك من يدك . وإذا حرثت الأرض ، فلا تعود تعطيك ثمرها ، تائهاً شارداً

تكون في الأرض» . ثم «خرج قايين من أمام الرب ، فأقام بأرض نود شرقي عدن» (انظر : تك ٤) .

لقد حاول اليسوعيون ، سادة العقلانية في الكاثوليكية ، إيجاد تفسير لهذه القصة ، فقالوا : «تقتضي هذه الرواية قيام حضارة متطورة وعبادات وأناس يمكنهم أن يقتلوا قاين [قايين] ، كما تقتضي وجود عشيرة تحميه . ولعل هذه الرواية كانت منسوبة في أوّل الأمر ، لا إلى أولاد الإنسان الأوّل ، بل إلى جد القينيين (أهل العصر الحديدي : عد ٢١/٢٤) . فنقلها التقليد اليهوي إلى أوائل البشرية ليضفي عليها مغزىً عاماً هذا مفاده : بعد تمرّد الإنسان على الله، تأتي معاداة الإنسان لأخيه الإنسان ، وهذان الأمران تقابلهما الوصيتان اللتان تُلَخّص بهما الشريعة كلها ، محبّة الله ومحبّة القريب (متى ٤٠/٢٢)»(*) .

ورغم اعترافنا بالقدرات الفكرية غير المحدودة لليسوعيين ، إلاّ أن تدخلهم هنا ليس اكثر من محاولة فاشلة لاسترضاء الذات الشعورية على حساب الذات العقلانية : فمن أين لهم الدليل «العلمي» حول ارتباط هذا النص بإنجيل متى ، وهل يوافقهم أصحاب النص الأصليون على رأي كهذا ، ومادليلهم على ان هذه الرواية كانت منسوبة إلى جد القينيين ، وهل بإمكانهم تعريف هؤلاء القينيين بما يتناسب مع المعايير العلمية للدراسة التاريخية ؟

إنّ التفسير العقلاني الممكن لهذه الميثة myth برأينا ، هو ذلك الذي يأخذ بعين الاعتبار أولاً مسألة الحقد البدوي على الحضارة . فالربّ ، الذي هو تعبير ميثولوجي عن الذات العليا للحاخام ، يرفض التقدمة الزراعية الناتجة عن فعل حضري هو حراثة الأرض وزراعتها : الاستقرار . لكنه يقبل بالمقابل التقدمة الحيوانية التي يقرّبها أحد الرحلة ، والذي يرمز أصلاً إلى اللاحضرية والبداوة واللااستقرار . قتل قايين لهابيل ، هو تعبير واضح عن عدم إمكانية البداوة الصمود أمام المد الحضري . أما طرد الرب لقايين من جنته ، فما هو إلا صورة عن حقد المنهزمين على الفاتحين .

إنّ القصة السابقة وأمثالها ، هي تصوير رمزي لحالة مجموعة من القبائل البدوية المحاطة بشعوب متحضرة ، عريقة في الحضارة ، والعلاقة بين الطرفين :

(*) – أنظر : الكتاب المقدس ، العهد القديم ، دار المشرق ، ١٩٨٩ ، ص ٧٤ ، هامش ١ .

الحَضَري الراسخ والأقدم ، والبدوي الطارئ والمقلقل ، هي اقرب ماتكون إلى الصراع - صراع لم يكن قطّ في صالح الطرف الثاني حتى مراحل متأخرة للغاية . ولما لم تستطع القبائل الطارئة المقلقلة تشويه الحضارات الراسخة القديمة على أرض الواقع ، اختارت تشويهها «ميثولوجياً» : تعويض عمودي على الفشل الأفقي . «ألم تكن إسرائيل تصف حضارة روما دائماً بانها حضارة لكنها كافرة؟» .

الأفضل والأسوأ :

باستثناء كم هائل من الكتابات الحاخامية ، لم يترك اليهود ، على امتداد تاريخهم الطويل المفترض ، أثراً حضارياً ذا شأن . بل إنّ أشهر مافي تلك الكتابات وأجمله ، مأخوذ إلى حدّ كبير عن ميثولوجيات شعوب الشرق الأدنى المتحضّرة ، وذلك بعد «عبرنته» . من ناحية أخرى ، لاشكّ أن الكتابات الحاخامية غير الكتابية (نسبة إلى الكتاب المقدّس) هامة جداً ، لأنها تمدّنا بالكثير من المعلومات والمعارف التي تساعد في تفهّم إضافي لصورة المنطقة في مراحل متعدّدة : مثلاً بيئة بابل من التلمود البابلي في إحدى المراحل . مع ذلك فهذه الكتابات ، إلى حدّ ما ، هي الأسوأ في تاريخ الكتابات الدينية ككل : إنها تحمل بصمة شعب[٦] واجه باستمرار أزمة «أن تكون أو أن لاتكون» ، فاختار أن يكون -كما قال نيتشه- على حساب كل ماهو قيّم ونبيل وطبيعي في الحياة . وكجماعة بدوية وسط حضارات شامخة ، أحاط هذا الشعب أفراده بسياج تكفير الآخر وتسفيه آرائه ومعتقداته باعتبارها شيطانية المصدر : كان ذلك هو الحل الأوحد لحماية هؤلاء الأفراد من الانجذاب إلى الأضواء اللامعة للحضارات الراسخة المحيطة . في الوقت ذاته ، زيّن هذا الشعب رموزه ومفاهيمه بهالات تقديسية ميثولوجية لخلق حالة استقطاب داخلية موازية ، تجذب بأنوارها -حتى وإنْ كانت خدّاعة- أفرادها نحو الداخل ، كدعم موازٍ لسياج التكفير .

---

(٦) - اللافت للنظر فعلاً ، أنّ المقولة ذاتها تسود في أيديولوجية جماعة بدائية أخرى تعرف الآن نشاطاً ضخماً بسبب إمكانياتها «الربانية» غير المحدودة ، فهل يمكن أن يؤكد ذلك أطروحات الباحث الشهير ، الأستاذ كمال الصليبي ؟

ورغم أنَّ الكتابات الحاخامية فقدت جلّ أهميتها عند غالبية اليهود الحاليين ، إلاّ أنّ مقولات الحفظ الذاتي الحاخامي مازال معممة في اللاوعي اليهودي الجمعي ، وهو مايظهر بسهولة في اللحظات المصيرية .

وإذا كانت مقولات الحفظ الذاتي التي يمكن الإفادة منها محفوظة بشكل أو بآخر ، فإنّ يهود هذا العصر تخلّصوا عموماً من تلك المقولات الحاخامية التي أحسّوا أنها قد تعيق طموحاتهم غير المحدودة ، مثل : الأحكام الشرعية المتعلّقة بدونية المرأة ، مسائل الالتزام الديني الشكلي ، حكايا الحاخامين حول الماضي أو المستقبل ... إلخ . لكن المخيف في الأمر، ونحن نواجه أصعب مرحلة حضارية في عصرنا ، ان نجد معظم المقولات الحاخامية القاتلة للطموح والمعيقة للتفكير قد تسللت خارج كتابات الحاخامين واستقرت في تراثات غيرهم ، بوسائل لاحصر لها . ولعب تقادم الزمن دوراً خطيراً في إضفاء قشرة تقديسية مخيفة على البذرة الحاخامية ، حتى كادت أن تُنسى : فمن تقليد التكفير –برزت حقيقة أصله الحاخامي مع مقتل إسحق رابين– الذي يجد دعمه العقائدي في «رسالة عبدة الأوثان» في التلمود ، حتى مصادرة حقوق المرأة المادية والمعنوية تحت رايات فارغة ، والتي تجد لها دعماً عقائدياً أيضاً في رسالتي «النساء» و«الطهارة» التلموديتين . باختصار : لقد أخذ يهود هذا الزمن من الكتابات الحاخامية أفضل مافيها لحقن طموحاتهم غير المحدودة ، وصدّروا لغيرهم أسوأ مافيها للحفاظ على نشاطهم العقلي والمعرفي في حدوده الدنيا . –«فهل هذا اختراع حاخامي أيضاً» ؟

● ● ●

التلمود ، المدراش ، والدين المقارن

ثمة فرعان هامّان للغاية في علوم الدين المعاصرة ، حققا قفزات نوعية في الدول المتقدّمة ، خاصة ألمانيا : النقدية الكتابية والدين المقارن .

النقدية الكتابية ، هي ذلك الفرع من المعرفة الذي يدرس المسائل النصّية ، التوليفية ، والتاريخية المتعلّقة بالعهدين القديم والجديد . وتشكل النقدية الكتابية الأساس لتفسير ذي معنى للنصوص المقدسة .

الأنماط الأساسية للنقدية الكتابية ، هي : النقدية النصّية ، التي تهتم بتعيين النص الأصلي أو الأكثر موثوقية ؛ النقدية الفقه–لغوية ، التي هي دراسة لغات الكتاب المقدّس من أجل معرفة دقيقة بالألفاظ ، القواعد ، ونمط الحقبة ؛ النقدية الأدبية ، التي تركز على الضروب الأدبية المختلفة المتجسدة في النص المقدّس من أجل إماطة اللثام عن الدليل المتعلّق بالتوليف ، الموثوقية ، والوظيفة الأصلية لأنواع الكتابة المختلفة التي تكوّن الكتاب المقدس ؛ نقدية التقليد[7] ، التي تحاول تتبع أثر تطور التقاليد الشفوية التي سبقت النصوص المدوّنة ؛ ونقدية الشكل ، والتي تصنف المواد المكتوبة وفق الأشكال المقابل أدبية ، كالمثل ، الترتيلية ، أو القصيدة ، والتي استمدت منها الكتابات الكتابية .

ثمة مدارس أخرى من النقدية الكتابية والتي هي أكثر تفسيرية في محتواها

---

(٧) – مسألة التقليد احتملتها مدرسة فلهاوزن Wellhausen في دراسة العهد القديم : ويمكن تسمية هذه المدرسة «مدرسة المصادر» ، أي أنّ أسفار موسى الخمسة [التوراة] لم تكن كلها من تأليف موسى ولاتحمل سمات العصر الذي قيل إنه عاش فيه . تتكون هذه الأسفار أصلاً من جملة مصادر –أربعة تحديداً– تطلق عليها اسم التقاليد الأربعة ، وهي : التقليد (ي) ، باسم الحرف الاول من «يهوه» ، أي المخطوطة التي عُرِف فيها الإله باسم يهوه ؛ التقليد (أ) ، وهي المخطوطة التي عُرِف فيها الإله باسم «الوهيم» التقليد (ت) ، وهو الحرف الأول من سفر التثنية ، ويشير إلى معظم ماجاء في هذا السفر ؛ والتقليد (ك) ، وهو الحرف الأول من «كهنوت» ، ويشمل كل مايتعلّق بالفرائض والأحكام الطقسية . وكان اول من أخذ بهذه النظرية ونشرها «ايخورن» (١٧٨٠) ثم غراف (١٨٦٥) . لكنّ أعظم من جعلها النظرية الاولى في دراسة العهد القديم هو «يوليوس فلهاوزن» ، خاصة في مقدمة كتابه ، «مقدمة لتاريخ إسرائيل» (١٨٨٦) .

من أجل معلومات تفصيلية ، راجع : فهيم عزيز ، علم التفسير ، دار الثقافة ، مصر ، ط١ ،

–اي ، تهتم باسترداد المعاني الاصلية للنصوص– وتتضمن النقدية التنقيحية ، والتي تدرس كيف جُمِعت الوثائق من قبل كاتبيها ومحرريها النهائيين ، والنقدية التاريخية ، التي تحاول تفسير الكتابات الكتابية في سياق مواقعها التاريخية .

إنَّ المبادئُ العلمية التي تعتمد عليها النقدية الحديثة تقوم إلى حدٍّ ما على تصوُّر الكتاب المقدس كمادة مناسبة لدراسة أدبية ، أكثر منه نصّاً مقدساً حصرياً . وفي القرن العشرين انطلق رودولف بولتمان **R.Bultmann** ومارتن ديلوس **M.Dibelius** من النقدية كمقاربة مختلفة لدراسة الظروف التاريخية المحيطة بالنصوص الكتابية[٨] .

من ناحية أخرى ، فعلم الدين المقارن ، الذي يهمنا في هذه المرحلة ، يهتم بمقارنة النصوص الدينية داخلياً وخارجياً . بمعنى مقارنتها مع مايوازيها من نصوص الدين ذاته أو مع نصوص مقابلة من أديان أخرى .

لكن هذين الفرعين مجهولان –للأسف– بالكامل تقريباً في مناهج التعليم الديني الإسلامية ، على اختلاف مستوياتها . فتدريس الأديان الأخرى ، في تلك المناهج ، يجافي تماماً الحيادية العلمية ، وينطلق في أغلب الأحيان من أرضية عاطفية دعائية تهدف إلىَ رفع سوّية الذاتية عند المتلقّين ورفض الآخر المغاير ، عوضاً عن خلق حالة إعمال عقل في النص ، بغية الارتفاع بسقف المناقشة إلى حدود الكمال .

ورغم أن أولى متطلبات صراعنا الحضاري مع الإسرائيليين هو الإطلاع على الأساس «الفكري – العقائدي» للعقلية اليهودية –التلمود والمدراش أولاً والكتاب المقدّس العبراني ثانياً– فإنَّ قلّة نادرة من المثقفين العرب قرأت التراث الحاخامي . وقلة أكثر ندرة درست هذا التراث بشكل علمي حيادي ، باعتماد مناهج الدراسة المتداولة ، التي شهدت ومازال تشهد قفزات نوعية هامة . التلمود بشكل خاص ، هو العمل الأكثر أهمية والأقل تداولاً في الوسط الثقافي العربي ، بحيث يمكن أن نجزم تقريباً ، أنّ كل من كتب في حقبة الديماغوجية السابقة منتقداً التلمود (–لم يكن نقداً بل ركام شتائم–) لم يرَ قط التلمود :

---

(٨) – أنظر : Britannica, Chicago, 1985, 2/195

لاالبابلي ولا الأورشليمي[٩] . وهو ماتظهره الأخطاء المنهجية في تلك الكتب عموماً . أما المدراش ، وهو العمل الهام في علم الدين المقارن ، فنادرون للغاية أولئك الذين سمعوا به . ولاحاجة بنا طبعاً لذكر الكتابات الحاخامية الهامة الأخرى ، كالترغوم ، والتوسفتا ، او الأسفار اليهودية التي اعتبرت منحولة ، كأسفار أخنوخ مثلاً .

فصلان تعريفيان :

سوف نحاول هنا تقديم تعريفين مختصرين للتلمود والمدراش يساعدان في تكوين فكرة مبدأية عن هذين العملين الهامين في علم الدين المقارن .

التلمود :

التلمود كمصطلح ، يعني في المرتبة الأولى «دراسة» او «تعليماً» . وكلمة «ويلمدو» في (تث ٣١ : ١٩) تعني «وعلمه» . (في العربية لدينا المصطلح «تلميذ») . لكن للفظة «تلمود» معانٍ أخرى عديدة ، منها : الآراء والتعاليم التي يأخذها التلاميذ عن أسلافهم لشرحها والتعليق عليها . أمّا أوسع معنى لمصطلح «تلمود» فهو ذلك الذي يشير إلى مجموعات التعاليم التي تضمنتها شروحات المعلمين ونقاشاتهم لمشناه يهودا هاناسي .

«المشناه» هي أوّل نصّ مدوّن في اليهودية الربانية ، حرره يهودا هاناسي عند نهاية القرن الثاني الميلادي . وتقسم المشناه إلى ستة أقسام :

١ – الشرائع الزراعية والأدعية .

٢ – الأعياد .

---

(٩) – لم نجد من التلمود البابلي إلا بضع رسائل ، باللغة الإنكليزية ، في مكتبة جامعة دمشق ، في حالة يرثى لها .

بالنسبة للتلمود الأورشليمي ، توجد نسخة عبرية منه في اكثر من مكتبة عامة في بيروت .

في مكتبة الأسد ، صادفنا شخصياً نسخةً عبرية مكتوبة باليد من بعض رسائل التلمود . لكننا لم نرها بعد ذلك .

٣ – الشرائع المتعلقة بالنساء .

٤ – الشرائع المدنية

٥ – مسائل المقدسات .

٦ – شرائع الطهارة الطقسية .

تفسّر المشناه الشرائع التوراتية ، التي لم تعد تناسب الظروف الاجتماعية المتبدلة ، وقت تدوين المشناه . كذلك فهي تحوي تفاسير لمقاطع أخرى من الكتاب المقدّس .

الغمارا هي شرح المشناه . والغمارا مع المشناه تؤلفان التلمود . يقال إنّ التلمود دوِّن بين القرنين الرابع ق.م والخامس الميلادي . والتلمود يحتوي وصايا أخلاقية وأوامر تشريعية ؛ يناقش مذاهب وأعراف دينية ؛ يقدّم أساطير تفسّر نشوء الكون ؛ ويزخر بمعلومات غير علمية في مسائل الطبّ ، الفلك والجغرافيا.

في التلمود نصادف مواداً تسمى «باراييتوت» (تقاليد خارجية) ، وهي المواد التشريعية غير المشنائية ، ومواداً تسمّى «توسفتا» (الملحقات) ،وهي مجموعة ملحقة أعقبت تكوّن المشناه وترتيبها .

التلمود نوعان : بابلي وأورشليمي – بحسب مكان نشأته . والأول هو الأهم والأوسع مواداً والأكثر اعتماداً .

يُسمّى كُتّاب أو جامعو التلمود وفق التسلسل الزمني لكتاباتهم : سوفريم ، زوغوت ، تانايم (جمع تانا ، وتطلق على المعلم المذكور في المشناه والبورايتا) ، وهم طبقة هامة جداً في التلمود ، وأمورايم (مفسرو المشنا) ، وهم الطبقة التي تعقب التانايم في الأهمية .

يدعى القسم التشريعي من التلمود «هالاخا» ، أما القسم القصصي الميثولوجي فيدعى «هاغاداه» أو «أغاداه»[١٠] .

---

(١٠) – من اجل معلومات تفصيلية عن التلمود ، أنظر كتاب :
Michael L.Rodkinson, The History of the Talmud
نسخة مكتبة جامعة دمشق .

المدراش :

المدراش ، في اليهودية ، هو طريقة في تفسير الكتاب المقدس . وقد أخذ توليف المجموعات المدراشية حقبة امتدت أكثر من ألف سنة، بدءاً بزمن التنايم. لكن الفعالية المدراشية لم تصل إلى قمتها إلا في القرن الثاني الميلادي مع مدرستي رابي يشمعيل بن اليشاع ورابي عقيبا بن يوسف ، حيث نشأت طريقتا تفسير مختلفتان –الاولى منطقية والثانية نصّية .

المصطلح مشتق من الكلمة العبرية «درش» ، بمعنى «يبحث» (قارن «درس» العربية) . والتفاسير المدراشية تنشد الوصول إلى المعنى الروحاني الموجود خلف المعنى الحرفي لكل كلمة في النص الكتابي ، لتجعل الكتاب قابلاً للاستخدام في الظرف المتبدّل في الازمنة المابعد كتابية . يستشهد التلمود بنصوص من المجموعات المدراشية ، ويستعمل كل قواعد التفسير المدراشي .

يتضمّن المدراش ، مدراش هالاخا ، أي تفاسير للشرع ، ومدراش هاغاداه ، أي التراتيل التي تقدم معنىً اخلاقياً وتفسيراً روحانياً لقصص الكتاب ، وللأمثال، إضافة إلى المواد الأخرى غير التشريعية . لكن مصطلح «مدراش» يشير الآن بشكل أساسي إلى مدراش هاغاداه ، والذي يشكل إلى حدّ كبير القسم الأعظم .

بدأت التفاسير المدراشية ، كما يزعم ، بعد عودة اليهود من السبي البابلي في القرن السادس ق.م . وقد جمع علماء اليهود الأدب المدراشي منذ القرن الميلادي الأول حتى القرن الثالث عشر . ثمة مدراشيم (جمع مدراش) مستقلة عديدة ، من بينها : «مدراش هاغدول» (المدراش الكبير) من القرن الثالث عشر الميلادي حول التوراة (أسفار الكتاب الخمسة الاولى) ، و«مدراش راباه» حول التوراة وأسفار كتابية خمسة أخرى وهي مكتوبة في اوقات مختلفة .

المدراشيم الهالاخية ، أي تلك التي تعتمد على المحتوى التشريعي لأسفار الخروج ، اللاويين ، العدد ، والتثنية ، والتي ماتزال موجودة ، هي : مخيلتا (مقياس) على الخروج وسيفره (كتابات أو كتب) على العدد – من مدرسة رابي يشمعيل . ومخيلتا د.رابي شمعون بن يوحاي على الخروج ، سيفرا على اللاويين ، سيفره على التثنية ، وسيفره زوطا على العدد – ونشأت في مدرسة

رابي عقيبا . مخيلتا على الخروج ، سيفرا على اللاويين ، وسيفره على العدد والتثنية ، هي من أصل فلسطيني ، ومكتوبة في الحقبة التنائية . ورغم أنها هالاخية أصلاً ، إلا أنها تحتوي كمية معتبرة من المادة الهاغادية .

هنالك أيضاً مدراش تنايم (مدراش المعلمين) على التثنية ، والذي يشكّل أجزاء من «مدراش هاغدول» اليمني .

المدراشيم الهاغادية تشكّل مجموعة اكثر ضخامة وقد كتبت أساساً في الحقبة الأموراثية ومابعد الأموراثية . بعضها مكتوب بالعبرية ، بعضها مكتوب بالآرامية ، وبعضها يمزج بين اللغتين . وقد كانت القراءات الأسبوعية للنص الكتابي والتفاسير المرافقة له أساس المدراشيم الهاغادية . أهم المدراشيم الهاغادية هو «المدراش رابا» (المدراش العظيم) على التوراة بكاملها و«الميغالوت الخمس» (نشيد الأنشاد ، راعوت ، جامعة ، أستير ، مراثي) . أقسام هذه المجموعة مختلفة جداً في الطبيعة والقِدَم : أقدم قسم فيها هو التفسير آية بآية لسفر التكوين من القرن الخامس ، وبعده مجموعة التراتيل من القرن السادس ، وبقية الأقسام هي تجميع اكثر حداثة . ثمة مدراش هام آخر هو «تنحوما» من تنحوما بن أبا من نهاية القرن الرابع في فلسطين ، وهو حول التوراة وله تحريران: بسيقتا، المكون من تراتيل تتعلق بالأيام المقدسة والمناسبات الخاصة ؛ مدراش مشله حول الأمثال ؛ ومدراش تهليم حول المزامير . يوجد أيضاً مدراشيم حول صموئيل .

من مدراشيم العصور الوسطى ، نذكر : يلقوط شمعوني ، من القرن الثالث عشر ؛ يلقوط هامغري ، من القرن الرابع عشر ؛ وعين يعقوب ، من القرن السادس عشر .

إضافات تعريفية :

نقدم هنا بعض التعاريف لمصطلحات وردت في النص السابق :

١ – تانّا Tanna (وأيضاً تانا) (بالآرامية : «معلم») . جمعها تنّايم أو تانايم . التانا هو واحد من عدة مئات من العلماء اليهود ، الذين جمعوا التقاليد المتعلقة بالشرع الديني ، في حقبة من نحو مئتي سنة . وقد أعطي لعملهم

شكلاً نهائياً من قبل العالم اليهودي الشهير يهودا هاناسي في القرن الثالث الميلادي ، والذي صار يُعرَف تنسيقه للشرائع الشفوية باسم المشنا . يعتقد بعض العلماء أن المنشأ دوّنت في ذلك الزمن ، في حين يعتقد آخرون انها حفظت في الذاكرة فقط لقرون ثلاثة أو أربعة أخرى .

أعقب التنّايم علماء آخرون دعوا بالأمورايم (المفسرون أو الرواة) الذين كتبوا تفاسير ضخمة (غمارا) للمشنا في فلسطين وبابل . إذن : للتلمودين البابلي والفلسطيني المحتوى المشنائي ذاته ، لكنهما مختلفان إلى حد كبير من ناحية الغمارا .

٢ – أمورا (بالعبرية والآرامية : «مفسّر ، راو ، متكلّم») ، جمعها أمورايم . أطلقت هذه التسمية ، في العصور القديمة ، على أحد العلماء اليهود المرتبطين بإحدى الأكاديميات العديدة في فلسطين (طبرية ، صفورية ، قيصرية) أو في بابل (نهارديا ، سورا ، بومباديتا) . لقد عمل الأمورايم معاً في كتابة الغمارا ، فجمعوا تفاسير وتعليقات على المشنا (مدونة الشرائع الشفوية اليهودية المعتمدة) وعلى «التوسفتا» (الإضافة) ، أي تلك الملاحظات النقدية الموجودة بهامش المشنا .

إذن ، الأمورايم ، كما أشرنا ، هم خلفاء أولئك العلماء الذين سبقوهم (تانايم) ، الذين انتخبوا المشناه ، فهم بالتالي خالقو التلمود (أي : المشناه المرافقة بالغمارا) . بدأت مجموعتا الأمورايم العمل حوالي عام ٢٠٠ م في القسم الغماري من التلمود ، حيث كانوا يكتبون بلهجات آرامية مختلفة مرصعة بالعبرية . ولأن الأمورايم البابليين عملوا قرناً من الزمان زيادة على نظائرهم في فلسطين ، إذ انتهوا من عملهم حوالي عام ٥٠٠ م ، كان التلمود البابلي أكثر شمولية وبالتالي أكثر موثوقية من التلمود اليورشلايمي ، الذي يفتقد إلى التفاسير البابلية . في فلسطين ، كان الأمورا المنصّب يدعى رابي ؛ وفي بابل ، راف أو مار[11] .

---

(١١) – من اجل مداخل تعريفية للسفراش ، أنظر : مقالة يوده غولدن الهامة في موسوعة الدين ، تحرير مركيا إلياد ، نسخة مكتبة الأسد .

مشروع علم الدين المُقارن

مامن حاجة لإثبات أنّ مسالة «النقدية الكتابية» غير ذات أهمية في محيطنا الخاص حالياً —مع أننا أدرجنا ترجمة كتاب بولتمان ، «المسيح والميثولوجيا» ، في خطتنا – ، للذلك فقد كان تركيزنا على تيار الدين المقارن . وهكذا ، قمنا بإعداد ملخّص حول المشروع ، ووزعناه على بعض المثقفين من سوريا ولبنان من اتجاهات عقائدية مختلفة ، ثم دعوناهم لاحقاً لحضور لقاء يطرحون فيه آراءهم حول المشروع ، بعد دراسة الملخص . لكن للأسف ، باستثناء أحد الآباء الكاثوليك ، لم يكن هنالك في اللقاء من يمتلك فكرة ولو في الحدود الدنيا عن مسألة الدين المقارن . بل إنّ غالبيتهم ، لم تكن تعرف مدلول كلمة «مدراش» مثلاً . وكان ملخصنا للمشروع الذي تم توزيعه على السادة الحضور هو التالي :

شاعر الأندلس ، لوركا دُلّيفا

التواصل بين الأمل والمشروعية والواقع

من المتعارف عليه عموماً في علم الإجتماع المعاصر ، أن «المحيط» يلعب الدور الرئيس في مسألة إعتناق فرد لعقيدة ما أو عدم إعتناقه لها . فكيف يمكن لشخص يعيش في مجتمع بدائي مغلق معزول عن العلوم والثقافة مثلاً ، أن يصبح ماركسياً أو وجودياً أو داروينياً ؟ وهل نتوقع من صقلي من إحدى القرى الكاثوليكية المغرقة في إبتعادها ، أن يكون بوذياً ؟ هنالك دون شك حالات نادرة شاذة ، لكن لابد أن «محيطاً» ترك تأثيره في المسألة . إذن : لماذا يدافع الإنسان عن وضعية لم يكن له الخيار فيها أصلاً ؟ كيف يمكن أن نفهم أن ماهو حقيقة مقدسة هنا قد يكون أقرب إلى النكتة هناك ؟ هل الذات أولاً أم الموضوع أولاً ؟ هل الإنسان لخدمة الفكرة أم العكس ؟ وإذا كان الإنسان يحقق في الفكرة بعض وجوده : فهل يمكن للفكرة أن تتواجد أبداً دون الإنسان ؟ .

سوريا ... وفعل *التواصل* :

من البديهيات الثقافية هذه الأيام أن سوريا واحدة من أقدم مراكز التواصلية الحضارية في العالم . وهذه الاستمرارية ، التي بدأت بعصور ماقبل التاريخ ومازال مستمرة إلى يومنا هذا ، أفرزت ، عبر موجات الشعوب والحضارات والتلاقح الثقافي الداخلي-الخارجي ، تيارات فكرية جعلت من سوريا واحدة من أغنى دول العالم بالتعددية العقائدية : تعددية دينية ، تعددية ملحية ، تعددية فكرية . وهذه التعددية التي تميز سوريا (ولبنان طبعاً) عن غيرها من الدول العربية ، يمكن أن تشكل الحصن الأقوى ، إذا أحسن استخدامها وتوظيفها ، ضد كل أشكال الإنغلاق والتطرف ، وبالتالي التخلف المعرفي والحضاري . فالذي يعيش وسط تيارات فكرية منفتحة على بعضها حضارياً ، لايمكن أن يكون متطرفاً عقائدياً إلا إذا كان يعاني من خلل ذهني أصلاً ، لأن العزلة الثقافية هي العنصر الأساسي في نشوء التطرف وبالتالي التخلف ، لأنّ

حالة الإنغلاق ستؤدي حتماً إلى نوع من التحلل الداخلي الذي لابد أن ينتهي بانهيار صاحب .

أشكال من القطيعة المعرفية :

إعتقادات بني الإنسان متباينة . ومامن شخص إلا ويعتقد أن إعتقاده هو الأصح وأن إعتقادات الآخرين غير صحيحة أو خاطئة- وهذا أمر «طبيعي» وإلا فكيف يمكن لمن يعتقد أن إعتقاده خاطئ أن يستمر في هذا الإعتقاد ؟ لكن «غير الطبيعي» هنا هو أنّ ينظر أصحاب أحد الإعتقادات إلى عقائد الآخرين من خارجها ، وأن يفهموها بمنظورهم هم وليس بمنظور أصحابها . فهذا لن يؤدي أبداً إلى أية إمكانية *تواصل* بين أصحاب العقائد المختلفة ، لأن الاختلاف في المنطلقات وزوايا النظر واتجاهاته سيحجب أدنى إحتمالية للتقاطع المعرفي .

إن أشهر أنواع القطيعة المعرفية التي تضرب أطنابها هذه الأيام ، هي تلك الموجودة بين اللادينيين والمؤمنين من أتباع الديانات «السماوية» . فالمؤمنون ، من جهة ، يعتبرون أن أديانهم وتوابعها من مصدر واحد ، لذا فمن الطبيعي عندهم أن لاتختلف تلك الاديان فيما بينها إلا بمقدار مايختلف زمن كل دين وظروفه عن زمن الدين الآخر وظروفه . لكن هؤلاء يعانون عموماً من حالة إنحباس معرفي داخل جدران الذات ، تجعلهم محصنين ذهنياً ضد أية محاولة عقلانية لمقاربة إعتقاداتهم ورموزهم المقدسة . وهكذا نجدهم يطلبون من غيرهم الإعتراف بشرعية معتقدات لهم لايملكون عليها دليلاً سوى إعتقادهم ذاته .

اللادينيون من ناحية أخرى ، لاخيار لديهم سوى إعتبار أن كل العقائد الدينية ترتكز على أكاذيب أو خرافات أو أوهام ، ويتناسون بالتالي الحقيقة البيولوجية الهامة من ان النفس البشرية مفطورة على التعلق بشكل للغيب .

اللادينيون يرون عموماً أن لاجديد في الدين : فأقدم الأديان أخذ عن ميثولوجيات الشعوب القديمة ، ثم أورثها للذين جاءوا بعده -بتطوير تفرضه الظروف التاريخية- الجغرافية المستجدّة . لكن هذا الموقف لايقل إنغلاقاً عن موقف الدينين ، بل هو أسوأ وأكثر جدارة بالرفض ، لأنه يصدر أصلاً عن اناس يعتبرون أنفسهم عقلانيين وحضاريين ومثقفين . وشطب عقيدة المتدين باعتبارها خرافة ، لايعني شطب المتدين ذاته ، الذي كثيراً مانجده يعيش بجانب اللاديني

جغرافياً ، ويضطران بالتالي لفعل *التواصل* المستمر . وبرأينا ، أن صاحبي توجهين عقائديين متباينين ، إذا كانا متقاربين جغرافياً ، قد يكونان أقرب إلى بعضهما من آخرين متقاربين في العقيدة ، إذا كانا متباعدين جغرافياً .

لكل إنسان نوع من الغيبيات– حتى وإن كان ملحداً . وطالما يوجد مستقبل مجهول ، سيظل هنالك إعتقاد بغيب . *والتواصل* ، برأينا ، هو الحل الأمثل لأصحاب الإتجاهات الغيبية المختلفة ، إذا ما أرادوا تقدماً معرفياً ، أو على الأقل: تعايشاً حضارياً .

مقارنة الأديان : المشروع

كما أشرنا مراراً ، للتعددية أهمية بالغة ، إذا ماأُحسن توجيهها عبر *التواصل*، في دفع مسيرتنا الحضارية من خلال التلاقح بين مختلف الآراء والأفكار ، وحماية الوطن من التطرّف عبر كسر أحادية التفكير . لكن هذه التعددية ، إذا ماانحرفت عن مسارها بشكل أو بآخر ، لغاية أو لأخرى ، قد تؤدي إلى نتائج سيئة للغاية : تتحول التعددية من غنى فكري ثقافي ضمن الشعب الواحد (بعكس التعددية الأميركية مثلاً–) إلى إنعزالية لمجموعة طوائف متنابذة متحاربة لايجمع بينها سوى العدائية المفرطة للآخر ، فينتشر التطرّف في أسوأ أشكاله ويصبح *التواصل* الفعل المستحيل . وهو ماحصل في لبنان السبعينات والثمانينات ، ومايهدد بحدوثه في أي وطن تعددي غير محصّن .

من أين تأتي الحصانة ؟

هل يمكن للسيف أن يضمن حالة تعايش غير ممكنة ؟

هل يمكن للسيف ، وليس العقل ، أن يفرض شكل *تواصل* غير نابع عن حالة وعي شمولي ؟ .

لا ! .

إن حالات التعايش الهشة ، تتكسر بسهولة إذا ماتغيّرت الظروف . وأشكال *التواصل* المؤقتة ، لاتستطيع تحدّي المتغيّرات الجذرية .

تلاقح التعددية لايتم إلا تحت ظلال العقلانية . والعقلانية لاتأتي إلا من المنظورات الشاملة المتعددة الجوانب .

التواصل ليس فعلاً إعتباطياً عاطفياً يزول بزوال دوافعه : هذه حالة شعورية آنية .

التواصل أولاً وأخيراً هو فعل عقل ، يختصر ذاته في الرغبة بالإمتداد إلى الآخر المخالف في الرأي لإغناء التجربة الذاتية وتجربة هذا الآخر .

يقال في أوروبا الآن ، إن هذه القارّة محصّنة ثقافياً عموماً ضد أشكال التطرّف الديني . وبغض النظر عن دور الاستعمار الأوروبي للشعوب الأخرى وإمتصاص خيراتها في تمكين الباحثين الأوروبيين في التفرغ بالكامل لبحولهم الثقافية التي أدت إلى ذلك التحصين (–لن ننسى طبعاً حرية الكلمة–) ، فإن لبعض العلوم الدينية الدور الأبرز في تلك القضية . وعلى رأس هذه العلوم تأتي النقدية الكتابية (نقد الكتاب المقدس) وعلم الدين المقارن . وعلى هذا الأخير ينصب جلّ إهتمامنا ، كمشروع ثقافي ، لأسباب كثيرة :

١ – إن المقارنة الدينية ، بين الأسفار المقدسة للأديان الثلاثة ، تثبت بما لايدع مجالاً للشك ، أن الآخر الذي نختلف معه عقائدياً وربما نعاديه ، قد يتفق معنا في معظم عقيدته ، وهذا يخفّف كثيراً من الإحتقان العدائي أو رفضي .

٢ – كسوريين ولبنانيين ، فإنّ علم الدين المقارن يكشف بجلاء أن معظم العقائد الدينية وأسفارها المقدسة أو شبه المقدسة ، المنتشرة في كافة أرجاء العالم حالياً (–عدا مناطق نادرة كشرق آسيا–) ، خرجت من سورية بشكل أو بآخر. لذلك فالسوريون واللبنانيون هم الأولى من غيرهم بدراسة تلك المسائل وتمحيصها والتعليق عليها .

٣ – عند إستعراضنا للدراسات علم الدين المقارن الميثولوجية السورية– اليهودية المسيحية ، والتي انتشرت «كصرعة» قبل سنوات ، ظهر أن الكثيرين ممن كتبوا في هذا الموضوع إمّا يفتقدون أدنى درجات المعرفة باللغات السورية القديمة ولغات الكتاب المقدّس ، وأعمالهم التي نُشرت قبل اكثر من عقد ، ليست سوى ترجمات منتقاة لمراجع هامة صدرت في الغرب ، تناولت هذه المسألة . ونحن حين نترجم كتب الدين المقارن الأجنبية ، إنما نقطع الطريق على أولئك المدّعين الذين يأخذون معلومات «بعيدة» من أسفار «قديمة» وينسبونها لأنفسهم .

الترجمة حلّ مؤقت :

للأسف الشديد ، فإنّ تلك الأسفار المقدّسة التي دوّن معظمها في سوريا ، غير موجودة في هذا الوطن ، لابلغتها الأصلية ولا عبر ترجماتها الشهيرة . ومن كل التراث اليهودي الهام جداً في هذا المجال ، لايوجد في مكتبات سوريا العامّة (باستثناء العهد القديم الذي ترجمه المسيحيون لحاجتهم إليه) سوى بضع رسائل من التلمود البابلي ، في حالة مزرية جداً ، في مكتبة جامعة دمشق ، والمدراش الهائل الحجم ، مثلاً ، لايوجد أي سفر منه في أية مكتبة سورية عامة.

لكن لو افترضنا جدلاً وجود تلك الأسفار في سوريا – أين هو فريق العمل الذي سيحسن قراءتها بلغاتها الأصلية ، ومن سيدعم مشروع دين مقارن كهذا ويوفر له فرص النجاح ؟

لذلك كان لابد لنا أن نستعين بما أنتجه الغرب في هذا المجال ، وأن نختارمجموعة منتقاة من دراسات علم الدين المقارن ، ونترجمها إلى العربية ، في محاولة لدفع قطار هذا التوجه إلى الأمام : توجّه ، للأسف ، يبدو غائباً بالكامل تقريباً عن وجودنا الثقافي .

لقد وقع إختيارنا تحديداً على تلك الأعمال التي تناولت مسألة علم الدين المقارن اليهودي–المسيحي–الإسلامي . وقد قسّمنا هذه المسألة إلى الموضوعات التالية :

١ – الجانب الروائي أو مايسمى في علم المصطلحات الدينية اليهودي «هاغاداه» : ويتناول المقارنة بين القصص الديني في اليهودية والمسيحية والإسلام. وهنا لدينا أيضاً توجهان :

أ – المقارنة بين الأسفار اليهودية المسيحية والقرآن .

ب – المقارنة بين الأسفار اليهودية المسيحية والقصص الديني خارج القرآن .

٢ – الجانب التشريعي أو مايسمى في علم المصطلحات الدينية اليهودي «هالاخاه» . وينقسم هذا بدوره إلى فرعين :

أ – المقارنة بين تشريعات الأسفار المقدسة اليهودية–المسيحية–وتشريعات القرآن.

ب – المقارنة بين تشريعات الأسفار المقدسة اليهودية-المسيحية-والتشريعات الإسلامية خارج القرآن.

٣ – دراسات مقارنة خاصة بالعهد الجديد .

خطة البحث المفترضة :

١ – الجانب الروائي :

أ – بالنسبة للمقارنة بين أسفار اليهود والمسيحيين والقرآن ، فقد وجدنا ، كما أشرنا ، أن بعض المفكرين الغربيين يمكنهم المساعدة في اختصار الكثير من الوقت والجهد . فهؤلاء ، بحكم تفرغهم الكامل للبحث ، والقدرات المادية والبشرية الموضوعة تحت تصرفهم ، استطاعوا إنجاز أعمال ضخمة في هذا المجال. وقد وقع اختيارنا بعد طول بحث ، على كتاب **Die biblischen Erzählungen im Qoran** ، للمفكر الألماني **H.Speyer** ، المؤلّف باللّغات الألمانية ، العربية ، العبرية ، اللاتينية واليونانية . وقد قمنا بترجمة جزئه الأول المتعلّق بخلق العالم وقصة آدم وقصة ابني آدم ، بمساعدة د.ميشائيل موترايش ، أستاذ الفلسفة العربية من جامعة غيسن الألمانية .

ب – بالنسبة للمقارنة بين تلك الأسفار والقصص الديني الإسلامية خارج القرآن ، فقد بدأنا بمشروع خاص بصحيح البخاري ، ثم ارتأينا أن يمتد هذا المشروع ليشمل كل القصص الديني في الإسلام . ونظراً لضخامة المادة إسلامياً من جهة وندرة المادة اليهودية المسيحية في سورية من جهة أخرى ، فنحن نعتقد أن هذا المشروع سيأخذ وقتاً لن يكون قصيراً .

٢ – الجانب التشريعي :

كخطوة مبدأية ارتأينا ترجمة كتاب الصديقة الدكتورة باتريشيا كرونة ، أستاذة التاريخ الإسلامي في جامعة كامبريدج **The Roman, Provincial and Islamic Law** إلى العربية ، وقد قمنا بذلك فعلاً . وسوف يعقب هذه الخطوة المبدئية خطوات أخرى في المنحى ذاته ، عبر ترجمات مختارة ، لتوفر هذه المادة بكثرة في المراجع الغربية .

٣ - بالنسبة للدراسات المقارنة الخاصة بالعهد الجديد ، فقد ارتأينا أن نترجم أعمالاً مختارة للمفكر الألماني بولتمان : وسوف تقدم هذا العام أول أعماله في هذا المجال .

لماذا هذه الدراسات ؟

نعود إلى السؤال الهام ، الذي لمّحنا إليه من قبل مراراً : «لماذا هذه الدراسات؟» - سؤال قد يطرحه كثيرون ، خاصة أولئك الذين يواجهون كل محاولة لتفعيل دور العقل ، بالتشكيك أو «بالتخوين» .

ونحن نجيب بالقول :

أولاً : إن علم الدين المقارن ، برأينا ، هو أهم فرع في العلوم الدينية في الدول المتقدمة - فما هو واقعه في كلياتنا ومعاهدنا ؟ دون أدنى جهد ، سيكتشف كل من يتعرف على مناهج الكلّيات التي تدرس العلوم الدينية عندنا هذه الأيام ، أنها لاتعرف شيئاً -أي شيء- عن علم كهذا . ولو سألنا مثلاً ، المختصين بتدريس العلوم الدينية عن المدراش ، لما وجدنا إجابة شافية-والمدراش هو أهم مصدر لعلم الدين المقارن اليهودي الإسلامي . بالمقابل ، فإن استقصاء آراء المستشرقين حول التراث الإسلامي سيظهر بوضوح أنهم لم يتركوا صغيرة ولاكبيرة دون بحث أو تمحيص .

ثانياً : إن هذا الوضع الراكد -ونحن نتراجع ركودياً- لم يعد مقبولاً بأي شكل ، خاصة في هذا العالم الذي يتسابق للوصول إلى أقصى مايمكن للعقل أن يبدع . والإعتقاد بأن العقل يناقض الإيمان ، أو أن كتاباً يمكن أن يحطم عقيدة : اعتقاد لامبرر له . فرغم كل علوم الدين المقارن التي بحثت في اصول اليهودية والمسيحية ، مايزال هنالك يهود مؤمنون ومسيحيون مؤمنون .

ثالثاً : إن بعض الخرافات اليهودية المسيحية التي تسللت إلى التراث الإسلامي بشكل أو بآخر (ولدينا قائمة طويلة بها) وتقدّست في عقولنا ونفوسنا بفعل عوامل كثيرة ، ماتزال تفعل فعلها في إعاقة التفكير ومنعه من الإنطلاق . والغريب أن تتخلى غالبية اليهود والمسيحيين عن مثل تلك الخرافات ، وهم أصحابها الشرعيون ، في حين نصر نحن على التمسك بها بأيدينا وأسناننا ، بل

لقد ارتفعت وتيرة هذا التمسك ، لعوامل يعرفها الجميع .

رابعاً : إن إخضاع الدين للتفكير العلمي يعني إدخال العلم في بؤرة كياننا ، وهكذا يمكن لهذا العلم الانتشار إلى الكيان كله . وعلم الدين المقارن ، كعلم موضوعي ، هو أولى خطوات عقلنة التدين .

مناهج علم الدين المقارن :

لقد لعبت الكشوفات الأثرية في سورية دوراً هاماً جداً في عقلنة النظرة إلى العهد القديم ، عبر الكشف عن أن الكثير من القصص المحورية في هذا الكتاب (كالخلق والطوفان مثلاً) ليست أصيلة : بمعنى أنها موجودة في التراث السوري القديم ، بشكل أو بآخر . ثم جاء ڤلهاوزن ليكشف عبر نقديته الكتابية ، أن جزءاً لابأس به من العهد القديم مؤلّف من تقاليد (مصادر) متناقضة أحياناً ، تم دمجها بعد كتابتها بزمن لابأس به . وكانت محاولات بولتمان ، أهم مقاربة برأينا لدراسة العهد الجديد من منظور علمي تماماً .

مقابل ذلك : ففي المنهج الإسلامي لمقارنة الأديان ، هنالك رأي سائد غير دقيق في منطلقاته ونتائجه يقول إن الأديان «السماوية» لابد أن تتقاطع كثيراً لأن مصدرها واحد . لكن ، في اليهودية مثلاً ، لايوجد سوى كتاب مقدس أوحد هو العهد القديم أو (תנ״ך) (توراة ، أنبياء ، كتابات) ، ويمكن أن نفهم بسهولة تقاطع القرآن مع هذا الكتاب المقدس . لكن كيف يمكن أن نفهم هذا التقاطع شبه الحرفي بين بعض نصوص القرآن ونصوص من التلمود أو المدراش – وهو تقاطع أكبر بكثير من التقاطع بين القرآن والكتاب المقدّس؟ علماً بأن المسلمين لا يقرون بأية قدسية للتلمود – بغض النظر عن الهجوم المقذع عليه– ولم نقرأ قط حتى الآن أية إشارة إسلامية إلى المدراش . والقرآن لايذكر سوى التوراة من أسفار اليهود التي نعرفها . وإذا افترضنا أن الكتاب المقدس إلهي الأصل : كيف نفسّر هذا التقاطع الدقيق للكثير من حوادثه المفصلية مع ميثولوجيات الشعوب السورية القديمة الوثنية افتراضاً ؟ .

لتجاوز هذه العقبة الأخيرة عند بعض اليهود والمسيحيين ، تتلمس الآن مقاربة جديدة لفهم علم الدين المقارن ، خاصة بين طوائف الإصلاحيين والمحافظين وإعادة البناء بين اليهود والكاثوليك والبروتستانت الليبراليين ولاهوتيي

الصيرورة بين المسيحيين ، تدعو إلى اعتبار التطابق المدهش بين بعض التراث المقدس والميثولوجيا السورية أو اليونانية ، كنوع من تواصلية عمل الله في الخلق. فالإله الذي عرّف نفسه لليهود والمسيحيين ، لابد أنه عرّف نفسه للشعوب التي سبقتهم . وبذلك فقدت الميثولوجيا حتتها الخرافي ، وراحت شيئاً فشيئاً تزاحم النصوص الدينية المقدسة في فهم مدلولات بعض الرموز .

بالنسبة إلى المنهج اللاديني –وهو الأكثر شيوعاً في الغرب– في علم الدين المقارن ، فإن كل تلك النصوص تعامل كنتاج للعقل البشري ، في حقب مختلفة زمانياً ومكانياً . ويعتمد هذا المنهج في مزاعمه على مايلي :

١ – تناقض الكثير من القصص الديني مع فهمنا الحالي للعلم– مثلاً : استحالة إثبات قصة آدم وحواء وإبليس ، بحذافيرها ، تاريخياً أو جغرافياً أو فضائياً ، وكذلك أيضاً قصة الطوفان . وافتقاد أي دليل تاريخي–أثري «حالياً» على صحة قصص بقية أنبياء «التكوين» و «الخروج» وغيرهما .

٢ – إن حديث بعض المسيحيين واليهود عن دور الله في الخلق ، عند الإشارة إلى قصص الخلق والطوفان وغيرهما في الميثولوجيات السورية القديمة ، هو أحد أشكال التطمين الذاتي الزائف . فتلك القصص ليست سوى محاولة بدائية لعقل بدائي لتفسير بعض الحوادث الكونية : تفاسير لم يعد لها شأن في واقعنا الحالي .

٣ – إن وجود حدث غير علمي اسطوري النزعة بتفاصيله الدقيقة وأسماء أبطاله ذاتها في كتابين أو أكثر ، يعني حتماً أن الأحدث أخذ عن الأقدم . فمن غير المعقول أن يصل إثنان مختلفان زمانياً ومكانياً إلى التفاصيل الدقيقة الخاطئة ذاتها ، إذا لم يأخذ الأحدث عن الأقدم .

قواسم مشتركة :

بعد كل ماسبق ، نتساءل : هل يمكن لهذه المناهج أن تلتقي – وكيف ؟! .

والجواب ، ببساطة : نعم . لكن إذا لم يضع واحدنا بحسبانه نتائج مسبقة ، يكرّس كل إمكانياته للبرهان عليها . وفي المقاربتين الدينية واللادينية لأمور الدين ، ومنها علم الدين المقارن ، اخطاء مبدئية ، إذا تم تجاوزها، يمكن الوصول

إلى نتائج هامة تفيد الطرفين ، ومن ثم قضية المعرفة ككل :

فالجانب الديني -خاصة المسلمين التقليديين واليهود الأرثوذكسي- يرى ، كما ألمحنا مراراً ، أنه يكفي الدليل الداخلي على مايعتقد أنه حقيقة حتى يكون هذا حقيقة . لكن الدليل الداخلي إذا أقنع الذات ، ليس بالضرورة ان يقنع الغير. وكما قلنا ، لايكفي الاعتقاد أن شيئاً ماهو حقيقي حتى يصبح هذا الشيء حقيقياً . مع ذلك ، ليس ثمة اعتراض أبداً أن يعتقد المرء أن شيئاً ما حقيقي دون أن يملك دليلاً على ذلك سوى اعتقاده . لكن الاعتراض سيكون مطلقاً إذا اعتقد هذا الشخص ذاته أن اعتقاده ذاك فوق العلم والنقد والقوانين المدنية ، باعتباره مقدساً أمام «دنيويات» ، ومن ثم يحاول فرضه على الغير كملجأ وحل.

من ناحية أخرى ، فالجانب اللاديني ، في نقديته الدينية ، يريد إسقاط الرموز المقدسة التقليدية دون أن يدري أنه هو أيضاً ، يخلق رموزاً مقدسة حديثة تحمل أسماء من نمط «العلم» ، «العقل» ، «الموضوعية» ، «الحيادية» ، ... إلخ . فعلى سبيل المثال ، وفي ظل اجتياح الداروينية الجديدة لحجرات العقل الغربي ، صارت نظرية النشوء والارتقاء «العلمية» تأخذ طابعاً قدسياً تزمتياً ، يدافع عنه النشوئي مثلما يدافع اليهودي الأرثوذكسي عن رموز العهد القديم . هذا يعني أن اللاديني أسقط نظرية دينية تقليدية تحت شعار رفض المقدس ، لكنه قدّس شيئاً آخر خلقه بنفسه ، مايزال في طور «النظرية» . والتجربة الماركسية أيضاً ماتزال ماثلة في الذهن ، وغيرها كثير في تاريخنا المعاصر .

عود على بدء :

هل الأمل مفقود في خلق نقاط تقاطع بين التيارين ، خاصة في مجال علم الدين المقارن ، الذي نركز عليه جهودنا هنا ؟ .

وكما أجبنا من قبل : لا . فثمة أمور «موضوعية - ملموسة» كثيرة تسمح بتحديد نقطة انطلاق مشتركة ، يمكن منها الوصول إلى نقاط تلاق أخرى كثيرة. ويتلخّص هذا برأينا ، في التالي :

١ - الانطلاق بما بين أيدينا من نصوص تراثية بغض النظر عن مؤلفيها،

والآراء المختلفة في ذلك .

٢ - التعامل مع النص التراثي دون إقحام مفاهيمنا الآنية أو مفاهيم السابقين فيه ، حتى لايفقد مدلولاته الواضحة .

٣ - الوصول إلى نتائج عبر استنطاق النص ، بغض النظر عن مواقفنا وآرائنا واعتقاداتنا ، بمعنى أن لانلوي النص حتى يوافق رؤيا خاصة بنا .

وأخيراً :

إن هذا المشروع الذي أخذناه على عاتقنا ، والذي قد يكون اللبنة الأولى في حائط التحصين ضد الجهل والتعصب والتطرف ، بحاجة إلى آراء كل من عنده رأي في المسألة . ونحن على استعداد لأن نأخذ بعين الاعتبار كل المواقف الجدية والموضوعية والتي ستغني بحثنا حتماً : بحث لايهدف في النهاية إلا إلى دفع مسيرة الحوار وبالتالي التحضّر .

خلاصة وهدف :

من تجاربنا العملية على أرض الواقع ، نحن نعتقد أن لافروق «ذكائية» البتة بين مواطننا ومواطن أكثر الدول تقدماً -كاليابان وألمانيا . إذن : ماسبب الركود العقلي الذي نعيشه والذي يصوّر في الخارج وكأنه قدرنا ؟ السبب هو : آلية التفكير . فالمواطن في الدول المتقدمة يربّى على آلية تفكير بحيث توضع أمامه احتمالات عديدة ، ويُترك لعقله ، عبر فعل «التفكير» اختيار مايراه الأصلح - والبرهنة على صحة اختياره . وهكذا يحلق العقل باستمرار نحو احتماليات جديدة وأفكار جديدة . في حين يخلق «مواطننا» في جو يفرض عليه احتمالية واحدة ، وبالتالي أسلوب تفكير واحد ، وذلك بدءاً بتحية الصباح وانتهاءً بمفهوم خلق الكون . وتقليدياً ، كان «التكفير» السلاح الأمضى لمنع أي أسلوب «تفكير» جديد . وحتى نستطيع أن نخطو خطوة بسيطة نحو أسلوب الاحتماليات المتعددة ذاك ، فقد ارتأينا حصر اهتماماتنا في بحثنا هذا في نقاط ست يمكن للمشارك اختيار واحد منها ، يقدّم فيها مداخلة ، تغني البحث حتماً. وهذه النقاط نلخصها كما يلي ، مع الرجاء بأن يختار الباحث مايغني الموقف النقدي من دائرته هو :

١ – نحن نعتقد أن لكلية الشريعة «الرسمية» دوراً هاماً جداً في تنشئة أجيال سيصبحون في المستقبل من القادة الفعليين للمجتمع . لذلك لابد أن يكون هؤلاء مشبعين بالروح العلمية حتى يشبع المجتمع فعلاً بالروح العلمية . فإلى أي مدى يبدو علم مقارنة الدين علمياً في تناوله للموضوع في كلية الشريعة ؟ هذا إذا كان هنالك علم مقارنة دين فعلي في تلك الكلية .

٢ – حين يتساءل المرء : ماسر هذا التقاطع الدقيق بين القصص الديني في القرآن والتراث اليهودي أو النصراني (النصراني غير المسيحي) ، يقال إن السبب هو كون المصادر كلها من الله . ورغم أن بحوث النقدية الكتابية تقدمت جداً في نقدها لنصوص الكتاب المقدس وتشريحه وإظهار مصادره أو معقولية حوداثه ، فإن بعضهم يرى أن التقاطع بين القصص الديني في القرآن والتلمود أو المدراش أكبر منه بين القرآن والكتاب المقدس، فكيف يمكن للباحث المسلم أن يفسر التقاطع خارج الكتاب المقدس مع العلم أن قلة نادرة جداً من اليهود ماتزال تعتبر التلمود كتاباً مقدساً ، كما أن بحوث النقدية التلمودية تقدمت جداً أيضاً في شرح أصول هذا التلمود وشخصية كاتبيه وزمن ومكان كتابته ، بما لايدع مجالاً للشك أن لاعلاقة لله به : بغض النظر عن المدراش الذي لا يقول أحد بألوهية مصادره ؟

٣ – صار تقليدياً ومتعارفاً عليه للغاية ذلك التقاطع الضخم بين التوراة وميثولوجيا الشعوب السورية القديمة. ماهو موقف الباحث الديني المسيحي من هذا التقاطع ، وهل حقاً أن الله أظهر «خططه» لتلك الشعوب قبل أن يظهرها للشعب اليهودي- على افتراض صحة مزاعم اليهود تاريخياً ؟ .

٤ – التفسير اللاديني للكتب المقدسة يجنح دائماً إلى تصنيفها في خانة الميثولوجيا وربما الخرافة . لكن هذا التفسير ، رغم تداوله كثيراً بين معظم طبقة الانتلجنسيا ، لايزال يفتقد القاعدة الشعبية الواسعة . فكيف يستطيع الشخص اللاديني أن يفسر تخلّي القاعدة الشعبية عن طروحاته التي يقول إنها علمية أو عقلية وتمسكها بعنف بما يعتقد أنه ميثولوجيا أو خرافة ؟

٥ – في هذه المرحلة المغرقة في أهميتها من تاريخنا المعاصر ، تبدو مسألة «الوحدة الوطنية» أقدس مايجب تقديسه وأغلى مايجب الدفاع عنه . والحديث «الكلامي» عن الوحدة الوطنية غير مجد مادامت كتبنا ومحاضراتنا وكلامنا

خلف الأبواب المغلقة تعارضها بالكامل . الوحدة الوطنية والقطعية المعرفية خطان متوازيان لايلتقيان أبداً . فكيف يمكن إرساء قواعد علمية لتواصل معرفي: بين المذاهب في الدين ذاته ، بين الأديان في الوطن ، وبين الطرفين الديني واللاديني ؟

٦ – علم مقارنة الأديان يحمل في طياته تقاطعاً جليّاً مع علم نقد النص أو علم فهم النص . ويبدو ذلك بشكله الأوضح عندما تقوم مقارنة الأديان على أساس دراسة ومقارنة النصوص الدينية مع النصوص الدينية الأخرى أو النصوص التي لها أثرها في القاعدة الاجتماعية والفكرية التي تحرك الشرائح الإجتماعية (نصوص ميثولوجية ، موروث شعبي) . ماهي الرابطة الداعمة من علم النص لعلم مقارنة الأديان ؟ .

● ● ●

نماذج تفسيرية مختصرة

إذن ، كما أشرنا سابقاً ، فقد قسمنا عملنا في مسألة الدين المقارن إلى قسمين : قسم يعتمد الترجمة أساساً ، وقسم يعتمد التأليف أساساً .

القسم الأول : يهتم جوهرياً بعلم الدين المقارن الخاص بالقرآن ؛ والقسم الثاني : يتناول التقاليد الإسلامية المابعد قرآنية وعلاقتها بالتقاليد غير الإسلامية ، متخذين كخطوة مبدأية الجانب الميثولوجي .

إنَّ كل من يمتلك إطلاعاً وافياً على الجوانب الميثولوجية في التقاليد الإسلامية المابعد قرآنية والتقاليد الهاغادية ، يشعر بمدى التقاطع المذهل بين التراثين . وباستثناءات قليلة ، لانمتلك دليلاً دقيقاً على انَّ هذا الطرف آخذ من ذاك . مع ذلك ، فقد اقترحنا في أحد أعمالنا ان ثمة دوراً للربانيين اليهود الذين اعتنقوا- أو أظهروا اعتناق- الإسلام في إدخال هذا الكم الهائل من التراث الميثولوجي الرباني في التقاليد الإسلامية : وركّزنا أساساً على كعب الأحبار (توجد أسماء أخرى من أمثال : عبد الله بن سلام ، وهب بن منبه) ، لكن بعض المستشرقين من الأصدقاء ، رأوا في ذلك مبالغة في تعظيم شأن هذا الرجل ، وبرأيهم : فإنَّ كثيراً من الميثولوجيات -وغير الميثولوجيات- أقحمها يهود غيره ونسبوها إليه لمكانة الرجل وسمعته العلمية في التاريخ الإسلامي . غير انَّ ماأدهشنا فعلاً ، هو أن نجد مفكراً أزهرياً يشاطرنا الكثير من تلك الآراء ، من أن كعب الأحبار هو مصدر هام للتراث الميثولوجي الحاخامي في التقاليد الإسلامية : الأستاذ محمود أبو رية في كتابيه : «أضواء على السنة المحمدية» ، و«شيخ المضيرة أبو هريرة» ، واللذان لم نكن قد إطلعنا عليهما حين قدمنا بحثنا عن كعب الأحبار . مع ذلك ، ففي اعتقادنا أنه لو تقصّى الأستاذ أبو رية مصادر تلك الحكايا في التراث اليهودي ذاته ، لكان البحث أغنى وأعمّ فائدة ، وهذا ماناأمل أن نقوم به شخصياً .

من ناحية أخرى ، قد لانتفق بالكامل مع الأستاذ أبو رية في اعتبار هذه القصص إقحام يهودي إتوالي الطريقة ، لأنه ليس بين أيدينا سوى تقاطع النصوص أو تطابقها ، وهذا لايكفي كدليل دامغ على الاقتباس . مع ذلك ، ففي أمثلة نادرة ، نستطيع ان نؤكد الاقتباس بموازاة الطرفين ، المقتبس والمقتبس عنه .

إشارات من التاريخ :

تميزت علاقة عمر بن الخطاب بالفتوحات الضخمة شرقاً وغرباً وشمالاً . ومن المعروف أن هذه المناطق كانت تضم جاليات يهودية ضخمة ، خاصة في العراق ، حيث الأكاديميات اليهودية التلمودية في قمة عطائها وبلورها الإيديولوجي . لكن مرحلة عمر بن الخطاب تميزت بمسألة هامة جداً على الصعيد الديني اليهودي : أخذ القدس من المسيحيين ، وإعادة الاعتبار «للصخرة» التي تحتل مكانة مقدسة للغاية في التراث الميثولوجي الرباني . وهكذا، فالموقف اليهودي من عمر بن الخطاب يتميز بإيجابية غير اعتيادية عموماً . من ذلك مايقوله عنه أحد المصادر اليهودية «الرسمية» الحديثة :

«عمر بن الخطاب ، هو الخليفة الثاني (٦٣٤ – ٦٤٤) ، والذي فتح فلسطين، سوريا ، العراق ، فارس ومصر . نظم عمر الإمبراطورية الإسلامية ، وضع للفاتحين الأحكام التي تؤكد مكانتهم الخاصة (رغم ضآلتهم العددية) ، جعل التقويم على أساس الهجرة ، وأرسى أسس النظام التشريعي : اعتمدت الاعراف التي أدخلها على الشكلين البيزنطي والفارسي . وكرجل بسيط الفهم والسلوك، تبنى موقفاً إنسانياً مع غير المسلمين ، فاستحق لقب الفاروق (الذي يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل) . وبحسب أحد التقاليد ، فإنّ اليهود هم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم ... وتقول المصادر اليهودية إنّ عمر زوّج ابنة ملك الفرس من بستاناي وعيّنه في مركز جالوت [رئيس يهود السبي] . ويقال إنّ كعب الأحبار، وهو يهودي تحوّل إلى الإسلام وكان ضمن حاشية عمر حين فتح الأخير القدس ، دل عمر على مكان الصخرة «إيفن شتياه» ، (حجر زاوية العالم) على جبل الهيكل ، فأمر بتنظيف الصخرة واستُخْدِم المكان كموضع للصلاة حتى زمن عبد الملك (٦٠٥ – ٦٨٥) والذي بدوره بنى قبة الصخرة (التي صارت تعرف شعبياً باسم مسجد عمر) في هذا المكان . وتقول بعض المصادر العربية والمسيحية إنّ أحد شروط المسيحيين سكان القدس للإستسلام لعمر كان تحريم إقامة اليهود في القدس[١٢] ، لكن موثوقية هذه المصادر تبدو

---

(١٢) – يرد في الطبري ، ط دار سويدان ، ٣ : ٦٠٩ ، انه ضمن شروط المسيحيين على المسلمين في فتح القدس ، أن «لايسكن بإيلياء [القدس] معهم احد من اليهود» .

مشكوكاً بها ، لأنّ اليهود عاشوا في القدس زمن العرب . سمح عمر لليهود بإعادة بناء حضورهم في القدس[13] بعد حقبة ٥٠٠ سنة . ويبدو أنه خصص لهم موضعاً للصلاة على جبل الهيكل (والذي طردوا منه في وقت لاحق) . يعتبر التقليد اليهودي عمر حاكماً خيراً ، ويسميه أحد المدراشيم (نستاروث د راڤ شيمون بار يوحاي[14]) صديق إسرائيل . يقول الطبري ، إنّ حكيماً يهودياً أخبر عمر أنّ قدره أن يصبح حاكم الأرض المقدّسة . وُصِف عمر بأنه صاحب شرائع تمييز[15] ضد الأقليات في أراضي المسلمين ، لكن هذا الزعم لايستند إلى أسس علمية» .

لكن : من هو بستاناي؟

بستاناي بن حنانيا (٦١٨ - ٦٧٠ م. تقريباً) هو أول جالوت في بابل بعد الفتح العربي . كان بستاناي قد عيِّن من قبل الحاكم الفارسي جالوتا لليهود ، وبعدما احتل المسلمون بابل ، أقر الخليفة عمر بستاناي كجالوت ،وزوّجه من ازدونداد ، إحدى بنات الملك أحشورش الثاني الأسيرات ، الذي كان ملك فارس ، في حين تزوّج الخليفة ذاته من أختها ، وأقرّ بالتالي واقعياً اعتبار بستاناي كأحد خلفاء ملوك فارس . (يقول «سفر هاقبالاه» لابراهام بن داد ، إنّ المرأة هي ابنة يزدجرد الثالث ، ابن احشورش ، وأنّ الخليفة كان علياً[16]) .

---

(١٣) - في آخر أيلول ، عام ٧٠ ، سقطت القدس كلها في يد الرومان ، فقلبوها رأساً على عقب ولم يبق قائم منها إلا جزء من الحائط الغربي بأبراجه الثلاثة ... وأمر تيطس ، حاكم فلسطين آنذاك ، بحرث المدينة كلها عدا هذه الأبراج الثلاثة (راجع ، مثلاً : د.حنا الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ، ١ : ١٢٤- ١٢٥) . أعاد الإمبراطور هارديانس بناءها ودعاها آيليا كابيتولينا عام ١٣٥ . وعام ٣٣٥ ، شيّد فيها قسطنطين كنيسة القبر على أنقاض الكابيتول . وحين دخلها العرب عام ٦٣٨ ، كان المسيحيون قد حوّلوا هيكلها إلى مزبلة .

(١٤) - هذا واحد من أهم المدراشيم اليهودية التي تؤرخ منذ دخول المسلمين فلسطين حتى سقوط الحكم الأموي . وهو موجود لدينا بلغته الأصلية وترجمتين ألمانية وإنكليزية .

(١٥) - ويقصدون بذلك الشروط العمرية التي ترجح المصادر اليهودية ان واضعها هو عمر بن عبد العزيز . نلاحظ هنا ، أنّ هذا الخليفة هو الذي طرد اليهود من الصلاة في الهيكل . انظر :
Encyclopedia Judaica, 12 : 1382 .

(١٦) - انظر : Encyclopedia Judaica, 4 : 1537 .

الرموز الثلاثة :

ثلاث شخصيات يهودية بارزة «قيل» إنها اعتنقت الإسلام ، يوجد باسمها كم ضخم من التراث الميثولوجي الرباني في التقاليد الإسلامية : عبد الله بن سلام ، وهب بن منبه وكعب الأحبار . فكيف تنظر المصادر اليهودية الحديثة إلى هذه الشخصيات ؟

عبد الله بن سلام (القرن السابع) ، هو واحد من أتباع محمد اليهود . اسم والده ، سلام ، لم يكن يستعمل في ذلك الزمن إلا بين يهود جزيرة العرب . تعتبر عائلة سلام أنها تنتمي إلى بني قينقاع ، إحدى قبائل يثرب (المدينة) اليهودية ، رغم أن بعضهم يربطها بقبيلة زيد اللات العربية الكبيرة ، الأمر الذي يعني أنهم كانوا تحت حماية الأخيرة . يقال إنَّ عبد الله اعتنق الإسلام على يد محمد بعد وصول الأخير إلى المدينة مباشرةً . وحين قال أبناء ملة (عبد الله) السابقين لمحمد «إنه (ابن سلام) سيدنا وابن سيدنا» ، دعاهم محمد للسير في هدى عبد الله . لكن اليهود رفضوا ، فلم يعتنق الإسلام آنذاك إلا أسرته ، التي كان أشهر أعضائها عمته خالدة . وبحسب مصادر اخرى ، فقد اعتنق عبد الله الإسلام بسبب قوة محمد في الإجابة على اسئلته . مع ذلك ، ثمة رواية أخرى، تبدو مقبولة اكثر ، تجعل اعتناق عبد الله الإسلام يحدث في تاريخ أكثر تأخراً . بعد وفاة محمد ، أصبح عبد الله في حاشية عثمان وقام بمحاولة فاشلة لمنع قتله . وبعد سنة من ذلك حذَّر علياً من مغادرة المدينة . وإذا ماأسقطنا الروايات الأسطورية الواضحة التحيّز والمتعلقة بعبد الله ، فسوف لن يبقى الكثير من المعلومات العينية . أما علاقته بأحمد بن عبد الله بن سلام ، وهو احد المترجمين لنصوص الكتاب المقدس ، فهي غير واضحة . لقد تم تقديم علماء اليهود في المدينة كطارحي أسئلة على محمد اساساً ، لكن لم يبرز منهم غير عبد الله . وتشكل الأسئلة الثلاثة المنسوبة له جوهر كتاب حمل عنوان أسئلة عبد الله بن سلام ، والذي ذكر للمرة الاولى عام ٩٦٣ م ، والذي يعرف في العديد من النسخ المعدّلة باسم الألف سؤال . خارج سياق هذا العمل ، يُذكر عبد الله مراراً وتكراراً كمصدر للقصص من الأزمنة الكتابية. ومؤخراً قدمت

مقاطع من الغنزا نسخة يهودية من قصة عبد الله والتي يظهر فيها بوصفه أبشالوم(١٧) .

وهب بن منبه (القرنان السابع والثامن) . هو واحد من أهم المفسرين الأوائل للقرآن . ولد وهب ، الذي هو من أصل يهودي ، في صنعاء باليمن عام ٦٥٦م. تقريباً . وقد اقترحت لوفاته تواريخ مختلفة : ٧٣٢ ، ٧٣٦ ، ٧٣٨ تقريباً . جاء أسلافه من فارس ، وربما اعتنقوا اليهودية في اليمن . ولد وهب مسلماً ، لكن كتّاب السير العرب يذكرون أنه كان من اهل الكتاب أصلاً . كان وهب قاضياً في صنعاء وهو واحد من أبرز المحدّثين المسلمين ، وله تُعزا أعمال كثيرة استخدمت كمصادر تفسيرية هامة للقرآن وقصص الانبياء . هنا يبرز كتاب الإسرائيليات ، وهو عمل مأخوذ عن حاخامي اليمن اليهود ، وكذلك عن المسيحيين . يرد اسم وهب كمرجع مراراً وتكراراً عند الطبري ، الثعلبي والكسائي ، وهو أيضاً أهم مصدر للإسرائيليات . يقدّم الكثير من حكاياه قصصاً كتابية أمينة ، أما الأخطاء والتحريفات فيمكن أن تعزا إلى كتّاب لاحقين(١٨) .

كعب الأحبار ، هو من جنوب جزيرة العرب ، عاش زمن عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني (٦٣٤ – ٦٤٤) ، وعثمان بن عفّان ، الخليفة الثالث (٦٤٤ – ٦٥٦) . ينحدر كعب على الأرجح من الحميريين المتهودين . اعتنق الإسلام أثناء حكم عمر . تشير صفة الأحبار (جمع حبر = عالم ديني غير مسلم) إلى أنه كان مصنفاً بين العلماء . وفي الأدب الإسلامي تُذكر باسمه فعلاً أقوال عديدة للحاخامين وأقوال من الهاغاداه ، وهو مايجعلنا نستنتج أنه كان يعرف التقليد الشفوي [التلمود والمدراش] . كان كعب أحد أتباع عمر حين دخل الاخير القدس ، وبناءً على طلبه ، حدّد له [كعب] الموضع الذي كان الهيكل مبنياً عليه . وبحسب التقاليد ، فقد حاول المسيحيون إخفاؤه عن الفاتحين . عندما كُشف عن هذا الموقع ، حاول كعب حثّ عمر على بناء المسجد (مسجد عمر) شمال الصخرة ، بحيث توجّه إليها القبلة [في الصلاة] بدلاً من

(١٧) – انظر : . Encyclopedia Judaica, 2 : 54

(١٨) – انظر : . Encyclopedia Judaica, 16 : 241 - 242

مكة . لكن عمر رفض هذا الاقتراح ، معتبراً أنه موحى بميول يهودية . وما لبث أن وبّخ كعباً بقسوة وجعل قبلة المسجد في مقدمة جبل الهيكل (جنوب الصخرة). وينسب الجغرافي الهمذاني لكعب قولاً يشهد على توقيره للصخرة : «قال الله للصخرة : أنتِ عرشي ومنك صعدت إلى السماء ...» وبحسب الطبري وابن الأثير ، ظلّ كعب مع عمر حتى قتل[١٩] . وكان قد حذّر عمر قبل الهجوم عليه من انه سيموت قريباً . كان كعب حاضراً في بلاط الخليفة الثالث . وهناك كانت له بعض المشاحنات مع مسلم تقوي ، هو أبو ذر . يقول البلاذري : «إنّ عثمان سأل كعباً ماإذا كان يُسمح للحاكم أن يأخذ نقوداً من بيت مال المسلمين إذا كان بحاجة لذلك على أن يردها فيما بعد ولم يجد كعب غضاضة في هذا العمل . فقال له أبو ذر عندئذ : أتعلّمنا يابن اليهود[٢٠]» .

روى الطبري والسعودي حوادث مشابهة . وهذه الحوادث (إضافة إلى القصة المذكورة آنفاً والمتعلّقة بالقبلة) تظهر أن موقف المؤرخين من كعب لم يكن متجانساً . لكن مؤلّفي قصص الأنبياء لايقرّون بذلك إذ يعتبرونه مرجعاً رئيساً[٢١] .

لماذا كعب ؟

رغم أهمية عبد الله بن سلام ووهب بن منبه اللذين يتردد اسميهما باستمرار كمصدرين لتفاصيل ذات صبغة ربانية في التراث الميثولوجي الإسلامي ، فإنّ كعب الأحبار هو الأكثر جدارة بالانتباه لدوره البارز على الصعيدين الميثولوجي والسياسي ، فكيف عرفت بعض المصادر الإسلامية التاريخية هذا الرجل ؟

يقول الذهبي : «كعب بن ماتع الحميري اليماني ، العلاّمة الحبر ... الذي

---

(١٩) - انظر مناقشة مقتل عمر في كتابنا ، «يوم انحدر الجمل من السقيفة» .
بالنسبة للنص المتعلق بعمر في المرجع اليهودي ، انظر مقدمة الطبعة الثالثة من كتابنا ، «يوم انحدر الجمل من السقيفة» .
(٢٠) - انظر : أنساب الأشراف ، ٤ : ٥٤٢ .
(٢١) انظر : Encyclopedia Judaica, 10 : 488 .

كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي وقدم المدينة من اليمن في ايام عمر (رض) . فجالس أصحاب محمد (ص) ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ويحفظ عجائب ، ويأخذ السنن عن الصحابة ، وكان حسن الإسلام ، متين الديانة ، من نبلاء العلماء[٢٢]» .

تتناقض الروايات التاريخية في مسألة إسلام كعب : هل حدث في المدينة أم خارجها ؟ هل كان قبل فتح القدس أم بعده؟ وفق حدود علمنا ، ينفرد ابن أعثم في رواية قصة إسلام كعب ، فيقول : «ثم دخل عمر (رض) إلى بيت المقدس ، ونزل في كنيستها ... وأقبل إليه كعب الأحبار يريد الإسلام ، فعرض عليه عمر الإسلام ، وقرأ عليه : ﴿ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمراً مقبولا﴾ [٤ : ٤٧] . فلما سمع كعب ذلك أسلم في ساعته، ثم قال : ياأمير المؤمنين ، مكتوب في التوراة : «إنَّ هذه البلاد التي كان بنو إسرائيل أهلها يفتحها الله عزّ وجل على يد رجل من الصالحين ، رحيم بالمؤمنين ، شديد على الكافرين ، سرّه مثل علانيته ، قوله لايخالف فعله ، القريب والبعيد عنه في الحق سواء ، أتباعه قوم من أهل التوحيد ، رهبان الليل ، فرسان النهار ، متراطمون متواصلون متباذلون ، يغسلون فروجهم ويتزرون على أوساطهم ، أناجيلهم في صدورهم وصدقاتهم في بطونهم ، ألسنتهم رطبة بالتكبير والتقديس والتهليل ، وهم الحامدون الذين يحمدون الله عزّ وجل على كل حال ، وفي سهول الأرض والجبال ، اول أمة تدخل الجنة يوم القيامة[٢٣]» . فقال عمر : ويحك ياكعب ، أحق ماتقول ؟ فقال كعب : أي والذي يسمع ماأقول . فخر عمر ساجداً[٢٤]» .

إذن : مما سبق -وغيره كثير- يمكن أن نستنتج أن إسلام كعب حدث عام ٦٣٨ م تقريباً ، أي بعد خلافة عمر بنحو من أربع سنين . لكن كعب ، «كعب

---

(٢٢) - سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣ ، ٣ : ٤٨٩ .

(٢٣) - هذا الكلام للمسكوب بعربية فصيحة ، لم نجده في أي مرجع يهودي حتى الآن . والأرجح أنَّ كعباً اخترعه ، ليس إلاّ .

(٢٤) - كتاب الفتوح ، ذكر إسلام كعب ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١ : ٢٩٦ - ٢٧٠ .

الأحبار ، الذي لم يكن شاباً يافعاً آنئذٍ ، فالعلوم الهاغادية التي يختزنها في رأسه برأينا بحاجة إلى سنوات خبرة طويلة ، لابد أن يدفعنا إلى التساؤل : لماذا لم يحصل إسلامه هذا في عهد النبي أو أبي بكر ؟

يتناول هذه المسألة أحد المصادر ، فيذكر معللاً : «قال العبّاس لكعب ، مامنعك ان تُسلم في عهد النبي وأبي بكر ؟ ، فقال [كعب] : إنَّ أبي كتب لي كتاباً من التوراة ، فقال أعمل به ! وختم على سائر كتبه ، وأخذ عليّ بحق الوالد على الولد ألاّ أفضّ الختم عنها ، فلما رأيت ظهور الإسلام قال : لعلّ أبي غيب عني علماً ؟ ففتحتها ، فإذا صفة محمد وأمته . فجئت الآن مسلماً»[٢٥].

هذا هو التفسير المنسوب إلى كعب الأحبار : لكن ، إذا صحّ ، فلماذا لم يفتح تلك الكتب إلا في زمن عمر ، وفي زمن فتحه للقدس على وجه التحديد؟

في اعتقادنا ، أن التفسير المحتمل الوحيد ، النابع من فهمنا الدقيق للعقلية اليهودية كما تقدّمها لنا الأسفار الحاخامية ، التلمودية والمدراشية ، أن كعباً لم يكن واثقاً في البداية من أنَّ الإسلام سيكون دولة تهز العالم ، خاصة وأنَّ المشاكل حاقت بأبي بكر ودولته الوليدة بعد وفاة النبي مباشرةً : فمن جهة الصراع الداخلي على الخلافة والذي وصل إلى قمته في أحداث سقيفة بني ساعدة ، ومن جهة أخرى الصراع الخارجي مع الذين ارتدّوا عن الإسلام أو الرافضين لخلافة أبي بكر . لكن بمجيء عمر ، ترسّخت دعائم الدولة ، وتوجّهت جموع الفاتحين تدك عرشي الفرس والروم ، ألد أعداء اليهود .

يقول التلمود البابلي ، رسالة عبدة الأوثان ، على سبيل المثال : «في الزمن الآتي ، سيأخذ القدّوس المبارك الكتاب بيده ، ويقول : «من كان منشغلاً بهذا سيظهر للعيان وينال أجره ... اجتمعوا يا كل الأمم» ... ستدخل روما في البداية، بسبب عظمتها ... وبصدد روما ، قيل : «فتأكل الأرض وتدوسها وتسحقها» .. وبعدما تذهب روما ، ستدخل فارس ... ويخرجون هم أيضاً

(٢٥) – محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية او دفاع عن الحديث ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت، ص ص ١٤٨ – ١٤٩ .

خالين ... [لأنهما] الأمّتان اللتان استعبدتا إسرائيل[٢٦]» . –وكالعادة ، ينتقم اليهود لأنفسهم من الذين أذلوهم ، بتخيل إذلال لهؤلاء في العالم الآخر . مع عمر بن الخطاب ، تهيأ لليهود أن يستمتعوا بإذلال الفرس والروم في هذا العالم!

الصخرة المقدسة :

لقد جاء كعب الاحبار عارضاً إسلامه وعمر يستعد لأخذ بيت المقدس سلمياً : كانت الفرصة ذهبية . فالمسيحيون أنهوا الوجود اليهودي في القدس ، وكوّموا الزبالة فوق مقدّساتهم ، لطمس معالمها –خاصة الصخرة . فما هي أهمية تلك الصخرة في المعتقد اليهودي ، مع ملاحظة أنه لاذكر لهذا الموضع بأية حال في القرآن الكريم ؟

تقول المشنا الرابعة في رسالة «يوما» في التلمود البابلي : «حين أُخِذ تابوت العهد ، كانت هنالك صخرة من أيام الأنبياء الاوائل ، تدعى «شيتيا» [الأساس]، فوق الأرض بثلاثة أصابع . عليها كان يوضع البخور[٢٧]» .

وتقول غمارا المشنا ذاتها : «صخرة ، شيتيا . لقد تعلّمنا في بورايتا مايلي : الكلمة شيتيا تعني ، أنَّ الكون مخلوق منها ، فشيتيا تعني الأساس . هذا بحسب من يقول ، إنه بدأ خلق العالم من صهيون ، كما تعلّمنا في البورايتا التالية : قال ح[٢٨] . إليعيزر : خُلِق العالم من الوسط بالذات ، كما هو مكتوب [أيوب ٣٨ : ٣٨] : «إذ يتلبّد التراب ويتلاصق المدر» (خُلِقت أولاً القطعة المركزية ، ثم التصقت بها الأجزاء الأخرى) .... يقول ح.اليعيزر : لقد رمى القدوس المبارك حجراً في البحر ، ومنه خُلِق العالم . كما هو مكتوب [أيوب ٣٨ : ٦] : «على أي شيء غرزت قواعدها ، أم من وضع حجر زاويتها» . لكن الحكماء ، قالوا : خُلِق العالم بداية من صهيون . كما هو مكتوب [مزمور ٥٠ : ١ – ٢] : «تكلّم الرب إله الآلهة . من صهيون كاملة

---

(٢٦) – ترجمة وتقديم ، نبيل فياض ، دار القدير ، ط ١ ، ص ١٩ ومابعد .

(٢٧) – The Babylonian Talmud, Tract Yoma (Day of Atonement), P.76 .

(٢٨) – ح = حاخام .

الجمال الله سطع» . هذا يعني ، إنه من صهيون بدأ يكون جمال العالم كلّه[٢٩]» .

من المراجع المعاصرة ، تقدم لنا «الموسوعة اليهودية» مسحاً شاملاً للآراء المتعلقة بتلك الصخرة : «إڤن شيتيا (אבן שתיה) ، تعبير من الأزمنة التنائية فُهِم في الأزمنة التلمودية بطريقتين مختلفتين : «الصخرة التي نُسِج العالم منها» و«صخرة الأساس» . ويفترض المعنيان مامضمونه أنّ العالم خُلِق من الصخرة والتي كونها تموضعت في وسط العالم في قدس أقداس (دڤير = محراب) الهيكل في القدس ، فهي تشكل بؤرة العالم . لقد وضع التابوت المقدس على هذه الصخرة ، وخلال حقبة الهيكل الثاني وضع الكاهن الأكبر عليها حوض النار حين دخل قدس الأقداس في يوم الغفران . [وكما رأينا] ، فالمشنا تقول ، انّ الصخرة في موقع الدڤير منذ «زمن الانبياء الأوائل[٣٠]» (أي: داود وسليمان) . وإنها دعيت شيتيا . لكن ح.يوسي بن حلافتا يفسّر المصطلح باعتباره يتلك اهمية نشوء كونية[٣١] . والمدراش الذي جاء بعد ذلك يعتمد هذا الرأي . ترجع للمشنا بوضوح تاريخ وضع الصخرة إلى زمن إعادة بناء الهيكل وتتجاهل الأبعاد الميثولوجية ، وعلى نحو مشابه ، تنكر آراء تنائية أخرى أن الخليقة بدأت من صهيون . قد يكون المرجع المشناتي سبق زمنياً الاعتقاد النشوء كوني ، وربما إنه جاء بعده ورفضه ، أو ربما افترض أن الصخرة التي تنشأ منها الكون هي التي أحضِرت إلى موقع الهيكل . لكن المدراش الذي جاء بعد ذلك يقول إنّ الهيكل كله مؤسس على الصخرة ، وإنّ للصخرة صفات سحرية.

إنّ العلاقة بين الإڤن والصخرة القابعة حالياً تحت قبة الصخرة (مسجد عمر) المبنية على جبل الهيكل غير واضحة تماماً . لكن التقليد الإسلامي يطابق بين الاثنين . وهذا هو الرأي الأكثر إنتشاراً اليوم . لكن المشكلة هنا هي حجم الصخرة : فالصخرة القابعة تحت قبة الصخرة تساوي تقريباً ٥١ × ٥٨ قدما ، وهي مساحة أكبر من كل قدس الأقداس الذي كانت الصخرة فيه . لكن

---

(٢٩) - The Babylonian Talmud, Tract Yoma (Day of Atonement), P.76 .

(٣٠) - ibid .

(٣١) - Tosef. ; Yoma, 3 : 6 .

للمدراش الذي جاء بعد ذلك يقول إنّ الهيكل بأكمله أُقيم على هذه الصخرة الأمر الذي يعني أنّ قدس الأقداس احتل مكاناً صغيراً فيها ليس إلا(٣٢) . وقد اعتقد في القرون الوسطى أن الأرض تآكلت بعوامل الحت كاشفة عن حجمها الكبير الحالي(٣٣) . تقول نظرية أخرى إنّ الصخرة كانت أساس مذبح المحرقة الكبير ، والكهف تحت الصخرة كان يستعمل بالتالي لجمع الرماد وبقايا القرابين الأخرى. في تلك الحالة سيكون قدس الأقداس قرب الصخرة الحالية ، وهو مايؤدي إلى صعوبات أركيولوجية وطبوغرافية(٣٤) .

من ناحية أخرى ، تنسب بعض المصادر الإسلامية إلى كعب الأحبار آراء فيما يخصّ الصخرة والقدس ، تشبه كثيراً المفاهيم اليهودية السابقة — وكلها

---

(٣٢) — يقول الأستاذ محمود أبو رية : «ظلّت الصخرة مكشوفة في خلافة عمر وعثمان مع حكمهما على الشام ، وكذلك في خلافة علي (رض) ، وإن لم يحكم عليها ، ثم كذلك في إمارة معاوية وابنه وابن ابنه ، فلما كان في زمن عبد الملك وجرى بينه وبين ابن الزبير ماجرى ، كان هو الذي بنى القبة على الصخرة وعظّم شأن الصخرة ... ليكثر قصد الناس لبيت المقدس فيشغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير» (أضواء على السنّة المحمدية ، ١٦٦ — ١٦٧) .

لكنّ «الموسوعة اليهودية» —النسخة الإنكليزية— (١٥ : ١٠٢٩) ، تقول : «إنّ عبد الملك هو الذي بدأ بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى في القدس مكان الهيكل عام ٧٠٠ م . لكنّ القطعة المثبتة الواقعة في مزار الصخرة تثبت بين عامي ٦٩٠ — ٦٩١ م . وتقول بعض المصادر إنّ الذي أكمل بناء المسجد هو الوليد بن عبد الملك عام ٧٩٥ . لقد كان بناء القبة ، كما تشير إلى ذلك النقوش داخلها موجهاً إلى حدٍّ ما ضد الجماعات المسيحية القوية آنذاك . وأدى تحديد موضع الهيكل في وضعية رائعة إلى تأثير سرياني في دوائر ذات توجه يهودي .

يفترض غولدتسيهر أنّ بناء [القبة] المظيم كان يهدف إلى تحويل الحجاج من مكة إلى القدس (Mohammedanische Studien, 2 (1890), 37 - 38) . لكن غويتاين Goitein يقول إنّ الهدف منه كان إكمال موضع الشعائر المقدسة» .

وتكمل الموسوعة ذاتها (١٠ : ٩٨٩) الحديث ، فتقول : «لقد تمّ بناء المبنى الحالي عام ١٠٣٣ م . فبعد غزو الصليبيين للقدس ، حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة وأسموها Templum Domini [هيكل الرب] وصار المسجد الأقصى كنيسة دعيت Templum Solomonis [هيكل سليمان] . لكنها أعيدا كمكاني عبادة إسلاميين بعد احتلال صلاح الدين للقدس عام ١١٨٧ م» .

(٣٣) — Radbaz, Respona, 2 (1882) no., 639, 691

(٣٤) — Encyclopedia Judaica, 6 : 985

أنظر : H. Albeck, Shishah Sidrei Midrash, 2 (1958), 469

S. Lieberman, Tosefta ki-Feshutah, 4 (1962), 772 - 773 .

ميثولوجية . ورد ، مثلاً ، في «نهاية الأرب للنويري» : «يقول الله لصخرة بيت المقدس في التوراة : انت عرشي الأدنى ومنك ارتفعت إلى السماء .. من مات فيك فكأنما مات في السماء ... [ويقول كعب أيضاً] : إنَّ العرض والحساب في بيت المقدس ، وإنَّ مقبور بيت المقدس لايعذب[٣٦] » . والفكرة الأخيرة ، كما سنوضح في حديثنا عن عذاب القبر ، يهودية بالكامل .

بالنسبة للعلاقة بين الصخرة والهيكل ، يقول جافيد بن سلومون بن أبي زعيراء إنَّ قبة الصخرة هي مكان الهيكل تحديداً[٣٧] . وابن ميمون يذكر أن القداسة ظلت في جبل الهيكل حتى بعد دمار الهيكل . لذلك فهو يحظر على من هو غير طاهر دخول جبل الهيكل .

يستمد جبل الهيكل مكانته الخاصة في الهالاخاه من كونه موقعاً للهيكل ، الذي أقيم في وسطه تقريباً . وهذه المكانة الخاصة لاتنطبق على الموقع الفعلي للهيكل ومايحيط به فحسب ، بل على الجبل كلّه ايضاً . وبحسب [المصادر القديمة] ، فالقدس ، المقدسة كلها ، تعتبر مماثلة «لمخيم إسرائيل» الذي أحاط بالحرم في البرية ، وجبل الهيكل ككل يعادل «مخيم اللاويين» . أما الهيكل مع محيطاته ، من مدخل ساحة الإسرائيليين ومابعد ، فيعتبر مماثلاً «لخيمة الحضور الإلهي[٣٨]» .

مع ذلك ، يذكر مصدر يهودي معاصر ، انه «عام ٦٣٨ م ، صلّى الخليفة عمر بن الخطاب على جبل الهيكل بعد فتح القدس ، بصحبة اليهودي اليمني المرتد [عن اليهودية طبعاً] ، كعب الأحبار[٣٩]» .

كعب مجدداً :

تُقدّم «موسوعة الإسلام – الطبعة الإنكليزية» مسحاً شاملاً لشخصية هذا

---

(٣٦) – ١ : ٢٣٢ .

(٣٧) – Responsa, 2 no.691 .

(٣٨) – Sif. Naso 1; Zav. 116 b

من أجل فهم هذه المصطلحات ؛ انظر : سفر الخروج

(٣٩) – Encyclopedia Judaica, 15 : 988

الرجل ، يمكن أن تضيف أشياء هامة ، رغم الصيغة الاختصارية للفقرة : «يهودي يمني تحول إلى الإسلام عام ٦٣٨/١٧ ربما (الطبري ١ : ٢٥١٤) ، ويعتبر أقدم مرجع في التقاليد اليهودية الإسلامية . حبر/حبر من العبرية حابر ، وهو لقب لعالم يأتي مباشرةً بعد الحاخام وكان متداولاً بين علماء اليهود البابليين ، ويفترض أنه يعادل عالم العربية (الخوارزمي ، مفاتيح ٣٥) ، :«يفترض ليدزبارسكي ... أن كعب كان يدعي أصلاً عقبيا أو يعقوب ، لكن مانعرفه عن هذا الرجل ، الذي جاء إلى المدينة أثناء خلافة عمر بن الخطاب ورافق الأخير إلى القدس عام ١٥ هـ/٦٣٦ م . (الطبري ١ : ٢٤٠٨) ، قليل جداً ، وبعد اعتناقه [الإسلام] ، صار على علاقة حميمة بالخليفة ، حيث تنبأ بموته قبل أن يحدث بثلاثة أيام (الطبري ١ : ٢٧٢٢) . كان [كعب] نصيراً شديداً لعثمان [ابن عفان] ، وهو ماأدى في إحدى المناسبات إلى معاقبته جسدياً من قبل أبي ذر الثقي (الطبري ١ : ٢٩٤٦ – ٢٩٤٧) . بعد ذلك حاول معاوية جذبه إلى دمشق كي يصبح مستشاره ، لكن يبدو على الأكثر ترجيحاً أنه انسحب إلى حمص ، حيث مات عام ٦٥٢/٣٢ – ٦٥٣ [راجع مثلاً : ابن الجوزي ، المنتظم ، وفيات عام ٣٢ هـ] ، أو عام ٣٤ هـ (الطبري ٣ : ٢٤٧٤ – ٢٤٧٥) أو عام ٣٥ هـ (ابن العماد ، شذرات ١ : ٤٠) . ووفقاً للهروي (زيارات ٩ : ٢٠ – ٢١) ، فإنّ قبره ومقامه موجودان في هذه البلدة ، لكن ياقوت (٢ : ٥٩٥) وابن بطوطة (١ : ٢٢٢ ؛ ترجمة جيب ١ : ١٣٩) يجعلان ديماسه في دمشق (حيث ماتزال موجودة شاهدة قبر تحمل اسمه ؛ جيب ، للمرجع السابق) . يعتبر ابن جبير (٥٥) والمقريزي (تحرير Wiet ٤ : ٦) أنّ [قبره] موجود في الجيزة في مصر ، في حين يقول الهروي (١٤ : ٣٥) إنّ بعض الناس يعتقدون أنه مدفون في المدينة وأنّ (٣٩ : ٩٤) قبر أحد أولاده في الجيزة.

رغم صعوبة تحديد شخصيته الحقيقية ، لأنه ملفوف كثيراً في الشرانيش الأسطورية ، يعتبر كعب أنه يمتلك معرفة عميقة بالكتاب المقدس والتقليد في جنوب شبه الجزيرة ، إضافة إلى حكمة شخصية تشهد عليها العبارات الكثيرة التي تعزا له دون نقاش لأنه كان يوحي بالكثير من الثقة (النووي ، تهذيب ٥٢٣) ، [كعب] هو الذي خلق أيضاً التقاليد المتعلقة بعمر بن الخطاب والتي تعتبر موثوقة . الجاحظ (حيوان ٤ : ٢٠٢ – ٢٠٣) يؤمن بأنه أهل للثقة

وسوف يظهر كمدافع عنه بالإشارة الضمنية أن [كعباً] ، في نقاشه للمعلومات الخاصة بالتوراة ، لم يقل «مكتوب في التوراة» بل «نجده في أسفار الأنبياء» . يتهم أحياناً بإدخال عناصر يهودية في الإسلام، مثل القصة التي احتفظ بها الطبري (١ : ٢٤٠٨ – ٢٤٠٩) ، والتي اتهم فيها عمر [بن الخطاب] كعباً بالتهود حين عامل جبل الهيكل في القدس كموضع مقدّس .

حاولت الأجيال اللاحقة أن تضفي على اسمه بريقاً عبر عزو عدد عظيم من التقاليد إليه ، خاصة تلك التي تحكي عن الأنبياء ، وتحديداً حديث «ذو الكفل» ، المطبوع في بولاق عام ١٢٨٣ (بروكلمان ، ١ : ١٠١٠) أو أسطورة يوسف في Aljamiado المحررة في ترجمة لاتينية من قبل F.Guillen والتي درسها M.Schmidt ، والمأخوذة في الواقع عن الثعالبي (قصص الأنبياء) . السكاني يذكر اسم كعب في قصة عن يوسف وهو أيضاً مذكور كمرجع في «يوسف وزليخة» للفردوسي[٤٠]» .

كعب في خلافة عمر :

وأسلم كعب ، «كعب الأحبار» . واخترق شعباً ، لم يكن آنذاك ، كما ذكر ابن خلدون ، «اهل كتاب ولاعلم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والامية ، [فلذلك كانوا] إذا تشوفوا إلى معرفة شيء مما تتشوف إليه النفوس البشرية في إسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنما يسالون فيه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدون منهم ، وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم ... وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا من التوراة ، أو مما كانوا يفترون[٤١]» .

وهكذا ، بعدما اسلم كعب «في الدولة العمرية ، جعل يحدث عمر (رض)، فربما استمع له عمر ، فترخص الناس في استماع ماعنده ، ونقلوا ماعنده من

---

(٤٠) – Encyclopedia of Islam, art. Ka'b
نسخة مكتبة الأسد .
(٤١) – المقدمة ، ٩ : .

غث وسمين[٤١]» . ووصل الامر إلى آن كعباً «كان يلقي دروساً في المسجد[٤٣]» .

إلى بيئة غير مثقفة ، دخل هذا الرجل المثقف بثقافات عصره ، واستطاع في فترة قياسية ، بفضل علومه وقدراته ، أن يصل إلى الواجهة . وكي يرفع من قيمته في تلك البيئة ، راح يخترع أحاديث ، ينسبها –زوراً– إلى التوراة ، يرفع فيها من قيمة نبي المسلمين . قال كعب مرة : «أجد في التوراة قوماً من ولد اسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ، ينطقون بالحكمة ، ويضربون الامثال ، لانعلمهم إلا العرب[٤٤]» .وقال أيضاً إنه جاء في التوراة : «يامحمد ، إني [الله] منزّل عليك توراة حديثة ، تفتح أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غفلا[٤٥]»؛ «أسماء النبي في الكتب السالفة : محمد وأحمد وحمياط –أي حامي الحرم[٤٦]» ؛ وقوله عن التوراة : «في السطر الاول [منها] : محمد رسول الله عبده المختار ، لافظ ولا غليظ ولاصخاب بالأسواق ، ولايجزي بالسيئة السيئة، ولكنه يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام[٤٧] . وفي السطر الثاني : محمد رسول الله ، أمته الحمادون ، يحمدون الله في السراء والضراء[٤٨]» .

لكن عمر لم يلبث ، متأخراً ربما ، أن فطن إلى كيد كعب وتبين له سوء دخلته ، فنهاه عن الحديث ، وتوعده إن لم يترك الحديث عن الأول أو ليحلقنّه بأرض القرود[٤٩] . وفي هذا يقول الأستاذ أبو رية : «وعلى أن عمر ظلّ يترقب

---

(٤٢) – تفسير إبن كثير ٤ : ١٧ .

(٤٣) – انظر : محمود أبو ريّة ، شيخ المضيرة ، ٩١ .
طبقات إبن سعد ، ٧ : ٨٩ .
فجر الإسلام ، ٢ : ١٩٨ .

(٤٤) – العمدة لإبن رشيق ، ٨ .

(٤٥) – السيوطي ، الإتقان ، ١ : ٥٣ .

(٤٦) – أضواء على السنة ، ١٥٢ .

(٤٧) – وهذه هامة جداً كما سنرى لاحقاً .

(٤٨) – رواه إبن سعد في طبقاته عن إبن عباس ؛ وقريب منه في البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٤٩) – انظر : أضواء على السنة ، ١٥٣ ؛ البداية ، ٨ : ٢٠٦ ؛ وفي «سير أعلام النبلاء» ، يقول =

تلك الداهية بحزمه وحكمته ، وينفذ إلى أغراضه الخبيثة بنور بصيرته، كما ترى في قصة الصخرة[٥٠] -فإنَّ شدة دهاء هذا اليهودي قد تغلّبت على فطنة عمر وسلامة نيته ، فظلّ يعمل بكيده في السر والعلن ، حتى انتهى الأمر بقتل عمر ، وتدل القرائن كلها على أن هذا القتل كان بمؤامرة من جمعية سرية ، وكان هذا اللهمي من أكبر أعضائها ، وعلى رأسها الهرمزان ملك الخوزستان الذي كان قد جيء به إلى المدينة أسيراً ، وعهدوا بتنفيذها إلى أبي لؤلؤة الأعجمي[٥١]».

ويخبرنا مصدر إسلامي أن عمر بن الخطاب ، دخل «على أم كلثوم بنت علي وهي زوجته ، فوجدها تبكي ، فقال : مايبكيكِ ؟ قالت : هذا اليهودي - أي كعب الأحبار- يقول إنك على باب من أبواب جهنم! فقال عمر : ماشاء الله . ثم خرج فأرسل إلى كعب ، فجاءه ، فقال : ياأمير المؤمنين ، لاتعجّل عليّ، والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجّة حتى تدخل الجنة! فقال عمر : ماهذا ؟ مرة في الجنة ومرة في النار! فقال كعب : ياأمير المؤمنين ، والذي نفسي بيده إنا لنجدك في كتاب الله (!!!) على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها ، فإذا متَّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة! ولما طعن عمر جاء كعب فجعل يبكي بالباب ، ويقول : والله لو انَّ امير المؤمنين قسم على الله أن يؤخره لأخّره[٥٢]».

في مصدر إسلامي آخر ، يقول كعب لعمر : «أجدك في التوراة تقتل شهيداً! قال عمر : وأنّى لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب؟ ... قال كعب : كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر (؟!) ، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه ، وكان إلى جانبه نبي (؟!) يوحى إليه ، فأوحى الله إلى النبي أن يقول له : أعهد عهدك واكتب لي وصيتك ، فإنك ميتٌ إلى ثلاثة أيام [نلاحظ أن كعباً قال لعمر الشيء ذاته ، كما تزعم معظم المصادر الإسلامية] . فأخبره النبي بذلك . فلما كان اليوم الثالث ، وقع بين الجدار والسرير ، ثم جاء إلى ربّه ، فقال :

- اللهمي : المتركُ المدمت لو لأحلقلك بأرض الفروذ (٢ : ٤٢٣) .

(٥٠) - انظر كتابنا «يوم انحدر الجمل من السقيفة» .

(٥١) - أضواء على السنة ، ١٥٣ .

(٥٢) - انظر : فتح الباري ، ١٣ : ١٤ .

طبقات إبن سعد ، ٢ : ٣ : ٢٥٣ - ٢٦٣ .

اللهم إن كنت تعلم أني كنت أعدل في الحكم وإذا اختلفت الأمور اتبع هداك، وكنت ... وكنت ... فزد في عمري حتى يكبر طفلي ، وتربو امتي ، فأوحى الله إلى النبي أنه قد قال كذا وكذا وقد صدق وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة ، ففي ذلك مايكبر طفله وتربو أمته . فلما طعن عمر ، قال كعب : لئن سأل عمر ليبقيه الله . فأخبر بذلك عمر ، فقال : اللهم اقبضني إليك غير عاجز ولاملوم[٥٣]» .

كعب بعد عمر :

كما أخبرنا سابقاً ، فقد كان كعب «حاضراً في بلاط الخليفة الثالث» ، عثمان بن عفان ، حيث اشتهر بمشاحناته مع المسلم التقي ، أبي ذر الغفاري . لكننا في زمن عثمان ، نجده وقد تحوّل إلى الشام ، حيث اصطفاه معاوية وجعله من مستشاريه[٥٤] : ولن ننسى طبعاً المشاحنات بين معاوية وأبي ذر أيضاً .

كان عمر بن الخطاب قد ولّى يزيد بن ابي سفيان على الشام ، فلما أصيب الاخير بالطاعون ، وأحس أنه مائت لامحالة (مات عام ١٨٧ هـ) ، عين مكانه أخاه معاوية .

يذكر أحمد أمين أن معاوية جعله من مستشاريه لكثرة علمه (المقصود بالعلم هنا ليس العلم الوضعي طبعاً ، بل الحكايا الربانية) ، وهو الذي أمره أن يقصّ في بلاد الشام[٥٥]، وصار بالتالي أقدم الإخباريين في مسألة الأحاديث اليهودية[٥٦] . وكيف لايصفه معاصروه بكثرة العلم ، وهو يدعي امامهم : «مامن شبر في الارض إلا هو مكتوب في التوراة التي أنزل الله على نبيه موسى، مايكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة[٥٧]» .

---

(٥٣) – انظر : تاريخ الخلفاء ، ٩٠ – ٩٨ .
كامل بن الأثير ، ٢ : ٣٥٧ .
(٥٤) – كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ١٦٤ .
(٥٥) – الإصابة ، ٥ : ٣٢٣ .
(٥٦) – ضحى الإسلام ، ٢ : ٩٧ .
(٥٧) – ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢ : ٥٣٣ .

إنَّ دور كعب الاحبار في بلاط معاوية يمكنه ان يفسّر الحديث الذي نسبه كعب إلى التوراة(!) والذي زعم فيه أنه مكتوب في التوراة ، إنّ النبي «مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام» .

يذكر احد المصادر الإسلامية ، إنه بعد مقتل عثمان بن عفان في «يوم الدار» راح الحادي يحدو به «ويقول :

إنَّ الأمير بعده علي　　　وفي الزبير خلق رضي

فقال كعب الاحبار : بل هو صاحب البغلة الشهباء (يعني معاوية) ، وكان يركب بغلة ، فبلغ ذلك معاوية ، فأتاه ، فقال : ياأبا إسحق ، ماتقول هذا ، وهاهنا علي والزبير وأصحاب محمد (ص)! قال : أنت صاحبها[٥٨]» .

لكن الحقيقة أن علي بن أبي طالب هو الذي امتلك زمام الخلافة بعد عثمان الشهيد . مع ذلك ، فما كاد الخليفة الرابع يتصدّر واجهة الدولة آنذاك ، حتى تفجّرت المصاعب في طريقه : حرب الجمل ، فصفين فالنهروان . وكانت كل هذه الحروب في زمن قياسي ٦٥٦ – ٦٥٨ م . لينتهي الخليفة العظيم غيلة على يد أحد الخوارج عام ٦٦١ م . لكن مايلفت نظرنا هنا هو «أن معاوية أعلن خليفة في القدس عام ٦٦٠ م[٥٩]» ، أي قبل أن يقتل الخليفة الشرعي . «ولكنه لم يصبح خليفة فعلاً إلا عام ٦٦١ م . حين قتل علي وأزيح ابنه الحسن» . ويخبرنا المصدر ذاته أن «معاوية بنى مسجداً خشبياً على جبل الهيكل ... ويقول مجير الدين (القدس ١٤٥٦ – ١٥٢١) ، إنَّ مجموعة من الخدم اليهود كانت مسؤولة عن النظافة في المسجد وفي جبل الهيكل وكذلك عن النور ، ولأجل هذه الخدمة كانوا معفيين من الضرائب . وقد احتكر هؤلاء هذه الخدمة بشكل متوارث حتى ألغى عمر الثاني ذلك[٦٠]... حيث يفترض أن عمر الثاني هو الذي أبعد اليهود عن جبل الهيكل وقصر صلواتهم على بوابة

---

(٥٨) – المقريزي ، رسالة النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، ٥١ .

(٥٩) – انظر : Wetheimer, Battei Midrashot, (1894), 3 :
مدراش بيامي .
Encyclopedia Judaica, 15 : 1528

(٦٠) – هل يمكن ان نفهم بالتالي ، لماذا تصرّ «الموسوعة اليهودية» على إلصاق الشروط العمرية بعمر ابن عبد العزيز .

واحدة فقط (سالمون بن يهورام في تعليقه على المزمور ٣٠ : ١٠)[٦١]» . ويقال أيضاً ، إنه حين عيَّن «معاوية ابنه يزيداً خليفة ، دعم هذا التعيين معظم رؤساء أسباط[٦٢]» اليهود .

لقد «كان هنالك العديد من اليهود في بلاط معاوية[٦٣]» ، لكن «عدد المسيحيين كان أكبر بكثير من عدد اليهود[٦٤]» ، وهومايفسِّر ذكرهم من قبل المؤرخين العرب دون اليهود .

إذن . لقد سقطت كلّ الحواجز امام كعب الأحبار . بل إنَّ رأس إقليم الدولة الشامي ، معاوية ، كان يقول : «مارأينا امثل في هؤلاء المحدثين عن اهل الكتاب أمثل من كعب ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي (ص) أنه قال : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم ، فإما ان يحدّثوكم بباطل فتصدّقوه ، وإما ان يحدثوكم بحق فتكذّبوه[٦٥]» .

كان كعب يعمل على بث أحاديث داعمة للحكم الأموي ، مثل : اهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم بها ممن عصاه ؛ أو الحديث الذي يزعم معاوية فيه أن النبي قاله له : «إنك ستلي الخلافة بعدي! فاختر الأرض المقدسة (الشام) ففيها الأبدال[٦٦]» . وانتشرت أحاديث كعب الخرافية إلى درجة أنَّ عالماً إسلامياً شهيراً ، هو إبن عباس ، وقد سأل رجلاً مقبلاً من الشام : «من لقيت قال : كعباً ، قال : وسمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول ، إنَّ السموات تدور على منكب ملك! فقال : كذب كعب ، اما ترك يهوديته بعد[٦٧]» . وهكذا ،

---

(٦١) — Encyclopedia Judaica, 15 : 1528

(٦٢) — Encyclopedia Judaica, 15 : 641

(٦٣) — Encyclopedia Judaica, 15 : 641

(٦٤) — Encyclopedia Judaica, 15 : 641

(٦٥) — إبن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ٢٠٨ .

(٦٦) — إبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١ : ٣٦١ . ويعلّق السيد رشيد رضا على هذا الحديث (المنار ، ٢٧ : ٧٤٧ — ٧٥٤) ، فيقول : «إن هذه الأحاديث باطلة ... وإنما راجت في الامة بعناية المتصوفة ورواة الإسرائيليات ككعب» .

(٦٧) — إبن حجر ، الكافي الشاف وتخرج أحاديث الكشاف ، ١٣٩ .

يقول المفكر الكبير ، رشيد رضا : «لاتجد خرافة دخلت في كتب التفسير والتاريخ الإسلامي في أمور الخلق والتكوين والأنبياء وأقوامهم ، والفتن والساعة والآخرة ، إلا وهي منهما[٦٨] ، أي ، كعب ووهب ..»لذلك ، فإنّ أكثر ماقدّمه كعب ، برأي السيد رشيد رضا ، هو «خرافات إسرائيلية شوّهت كتب التفسير وغيرها من الكتب ، وكانت شبهاً على الإسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة أنه كغيره دين خرافات وأوهام ، وماكان فيها غير خرافة قد تكون الشبهة فيه أكبر ، كالذي ذكره كعب في صفة النبي في التوراة[٦٩]» .

إذن . لقد استطاع كعب -وأمثاله- ترويج «أقاصيص التلمود -الإسرائيليات [التي لم تلبث] أنْ أصبحت جزءاً من الأخبار الدينية والتاريخية[٧٠]» الإسلامية. «وقد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه ، وصاروا يتناقلون قوله بدون إسناد إليه ، حتى ظنّ بعض التابعين ومن بعدهم أنها مما سمعوه عن النبي[٧١]» . وهكذا ، لم يروا بأساً «من أن يقصوها بجانب آيات القرآن ، فكانت منبعاً من منابع التضخّم[٧٢]» .

أبو هريرة :

يحدثنا الصحابي ابو هريرة عن ذاته ، فيقول : «نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً وكنت اجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ... وكنيت بأبي هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها[٧٣]» ، وقد «غلبت عليه كنيته كمن لااسم له ... (إذ) اختلفوا في أسمه واسم أبيه اختلافاً كبيراً[٧٤]» .

أبو هريرة هو رجل من قبيلة دوس ، قدم مع قومه إلى النبي في غزوة خيبر ،

(٦٨) – المنار ٢٧ : ٧٨٣ .
(٦٩) – المنار ، ٢٧ : ٦١٨ .
(٧٠) – أحمد امين ، ضحى الإسلام ، ٢ : ٩٧ .
(٧١) – رشيد رضى ، المنار ، ٢٧ : ٧٥٢ .
(٧٢) – أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ٢ : ١١٩.
(٧٣) – انظر ترجمته في معارف ابن قتيبة ؛ وأيضاً : سير الأعلام ، ٢ : ٤٤ ؛ طبقات إبن سعد ، ٢ : ٤ : ٥٣ .
(٧٤) – إبن عبد البر ، الإستيعاب ، ٧١٨ – ٧١٩ .

فأشهر إسلامه ، وانضم لفقره إلي أهل الصفة[٧٥] . وأهل الصفة أناس فقراء لامنازل لهم ولاعشائر . وكان إذا تمشي النبي دعا طائفة منهم يمشون معه ، ويفرق طائفة منهم على الصحابة ليعشوهم[٧٦] . وقد أخذوا اسمهم عن الصفة، وهو موضع تجمع الفقراء في مؤخرة مسجد النبي في المدينة .

إذن : لقد التقى أبو هريرة النبي للمرة الأولى في غزوة خيبر ، التي حدثت برأي ابن سعد ، في جمادى الأولى عام ٧ هـ ، وفي ٢٨ رمضان من السنة ذاتها ، برأي أبي سعيد الخدري ، وفي شهر صفر من العام ذاته ، برأي الأستاذ أبو رية . ثم أرسله النبي إلى البحرين في شهر ذي القعدة من العام الثامن للهجرة. إذن : إنّ مجموع ماأمضاه أبو هريرة مع النبي ، وفق المراجع الثلاثة السابقة ، هي : سنة ونصف ، سنة وشهران ، سنة وتسعة أشهر على الترتيب .

أبو هريرة ، أغزر راوية في الإسلام ، «هو أشهر من سكن الصفة[٧٧]» . «وأهل الصفة ... مامنهم رجل عليه رداء ، وإنما عليه ... كساء ربطوه في أعناقهم ، فمنها مايبلغ نصف الساقين ، ومنها مايبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته[٧٨]» . وكان أبو هريرة ، الصحابي الجليل ، يقول : «لقد رأيتني وأني لأخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشياً عليّ ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون ومابي من جنون : مابي إلا الجوع[٧٩]» . وكان بالتالي يصحب النبي «على ملئ[٨٠]» بطنه ، أو يستقرئ كبار رجالات[٨١] الدعوة القرآن حتى يطعموه[٨٢] .

---

(٧٥) – انظر : طبقات إبن سعد .

(٧٦) – انظر : تاريخ أبي الفداء المختصر .

(٧٧) – فتح الباري ، ٧ : ٣٧٦ .

(٧٨) – البخاري ، ١١ : ٤٢٦ .

(٧٩) – فتح الباري ، ١٣ : ٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٨٠) – فتح الباري ، ٧ : ٦١ ؛ ١٣ : ٢٧١ .

(٨١) – كان اكثرهم استجابةً له ، جعفر بن أبي طالب . وكان ابو هريرة يقول : «مااحتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطئ التراب ، بعد رسول الله ، أفضل من جعفر بن أبي طالب» (فتح الباري ، ٧ : ٦٢) .

(٨٢) – فتح الباري ، ١١ : ٢٣٦ – ٢٣٧ .

حين توفي النبي ، كان أبو هريرة مع العلاء بن الحضرمي في البحرين[٨٣]. وعام ٢٠ هـ ، ولاه عمر بن الخطاب على البحرين بعد وفاة العلاء بن الحضرمي[٨٤] . لكنه سرعان ماعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي. وتخبرنا المصادر الإسلامية عن سبب ذلك فتقول ، إنه لما عاد أبو هريرة وجد معه عمر لبيت المال أربعمئة ألف ؛ فقال له عمر : أظلمت أحداً ؟ فقال : لا! قال فما جئت لنفسك؟ قال : عشرين ألفا . قال : من أين جئتها ؟ قال : كنت أتجر[٨٥] .. فقال له عمر : «عدواً لله وللإسلام ، عدوّاً لله ولكتابه؛ سرقت مال الله ؛ [أو] أسرقت مال الله[٨٦]» ؛ «حين استعملتك على البحرين وانت بلا نعلين ... مارجعت بك أميمة[٨٧] إلا لرعاية الحمير[٨٨]» . وضربه بالدرة حتى أدماه .

كان الخليفة قاسياً للغاية على الصحابي الشهير . فقد كان يمنعه عن أكثر مايحب : رواية الأحاديث النبوية . وكان يقول له ، ككعب الأحبار تماماً ، «لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القرود[٨٩]» ؛ أو ، «لتتركنّ الحديث أو لألحقنك بأرض دوس[٩٠]» – موطن ابي هريرة الأصلي . ويؤكد ابو هريرة

---

(٨٣) – راجع في ذلك : طبقات إبن سعد ؛ تاريخ الطبري ؛ سيرة إبن هشام ؛ الإستيعاب ؛ أسد الغابة؛ سير أعلام النبلاء .

(٨٤) – انظر : كامل إبن الأثير ، ط لايدن ، ٣ : ١٦
تاريخ الطبري ، ط لايدن ، ٥ : ٢٩٤ .
طبقات إبن سعد ، ط لايدن ، ٢ : ٧٧ – ٧٩ .
سير أعلام النبلاء ، ١ : ١١٦ ، ١٨٩ ، ١٩٢ .
أنساب الأشراف ، ١ : ٥٢٩ .
أسد الغابة ، ١ : ٣١ .
الإصابة ، ٤ : ٧ ، ٢٥٩ ؛ ٥ : ٢٣٣ .
البداية والنهاية ، ٧ : ١٢٠ .

(٨٥) – سير اعلام النبلاء ، ٢ : ٤٤٤ ؛ تاريخ الذهبي الكبير ، ٢ : ٣٣٨ .

(٨٦) – طبقات إبن سعد ، ٢ : ٤ : ٥٩ – ٦٠ ؛ فتوح البلدان ، ط أوروبا ، ٨٢ .

(٨٧) – أي : ماقذفت بك أمك أميمة إلا لرعاية الحمير .

(٨٨) – العقد الفريد ، ١ : ٥٣ .

(٨٩) – البداية والنهاية ، ٨ : ٢٠٦ ؛ سير أعلام النبلاء ، ٢ : ٤٣١ .

(٩٠) – أضواء على السنة ٥٤ .

ذلك شخصياً حين يقول : «ماكنا نستطيع أن نقول ، قال رسول الله (ص) ، حتى قبض عمر[٩١]» . وحين سئل مرة : «أكنت تحدّث في زمان عمر هذا ؟ قال: لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ماأحدّثكم ، لضربني بمخفقته[٩٢]» . لكن أبا جعفر الإسكافي يؤكد أنّ عمر ضربه فعلاً بسبب الحديث النبوي : «أبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية ، ضربه عمر ، وقال : ما أكثرتَ من الحديث وأحرِ بك أن تكون كاذباً على رسول الله[٩٣]» . وهكذا ، يستنتج العلامة رشيد رضا بحق ، أنه «لو طال عُمُرُ عُمَرَ حتى مات أبو هريرة ، لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة[٩٤]» .

أبو هريرة في ظلّ معاوية :

انضم أبو هريرة إلى جانب معاوية في الصراع بين الخليفة الرابع وأول سلاطين بني أمية . وقد فُسّر هذا من قبل بعض المؤرخين المسلمين بأنه مجرد بحث عن المنفعة الشخصية . من ذلك ماقاله الثعالبي ، على سبيل المثال:

تولى أبو هريرة عن نصرعلي ليستفيد الثريدا
ولعمري إن الثريد قليلٌ للذي ليس يستحق الهبيدا[٩٥]

كان الصراع السياسي بحاجة أيضاً إلى صراع ميثولوجي لإرضاءِ شبق العامة. وهنا ، قام الصحابي بدوره المرسوم على أفضل وجه ، فروى مع غيره «أخباراً قبيحة عن علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه[٩٦]» ، وبالمقابل ، نسب للنبي أحاديث من نمط : «الأمناء ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية[٩٧]» ؛ «ناول النبي (ص) معاوية سهماً ، فقال : خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة[٩٨]» ؛

---

(٩١) – سير أعلام النبلاء ، ٢ : ٤٣٣ .
(٩٢) – أضواء على السنة ، ٥٩ .
(٩٣) – إبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١ : ٣٦٠ .
(٩٤) – المنار ، ١٠ : ٨٥١ .
(٩٥) – ثمار القلوب ، ط نهضة مصر ١٩٦٥ ، ١١١ – ١١٢ .
(٩٦) – شرح النهج ، ١ : ٣٥٨ .
(٩٧) – إبن كثير ، البداية والنهاية ، ٨ : ١٢٠ .
(٩٨) – أضواء على السنة ، ٢١٥ .

حتى أنَّ أبا هريرة قال لعائشة بنت طلحة : «والله مارأيت وجهاً أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله[99]» .

كانت النتيجة مذهلة : فبعد أن كان الصحابي الشهير ، كما رأينا ، زمن النبي من اهل الصفة لايكاد يجد مايسد رمقه او يستر عورته ، نجده زمن معاوية وقد صار يلبس الخزّ والكتان الممشق[100] . بل حين مات أبو هريرة عام ٥٩ هـ ، مات في «قصر» له بالعقيق . ولما كتب الوليد ، حاكم المدينة آنذاك ، ينعي إلى معاوية وفاة أبي هريرة ، رد معاوية : «أنظر إلى من ترك ، وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم وافعل لهم معروفاً[101]» .

كعب وأبو هريرة :

والتقت العبقريتان : كعب وأبو هريرة . كان كعب بحاجة إلى أبي هريرة ، الصحابي والراوية الموثوق ، كي يمرر عبره مالم يكن يستطيع تمريره هو ذاته كمحدث يهودي مشكوك بأمره ، وكان أبو هريرة بحاجة إلى كعب في مسألة «تجارة الحديث» ، كعالم يهودي يمتلك من الأخبار والتفاصيل ماكان يفتقده أبو هريرة . وهكذا ، يحدثنا غير مصدر إسلامي من ان أبا هريرة «قد حمل عن كعب الحبر[102]» . فأبو هريرة كان يجتمع بكعب ، «فجعل أبو هريرة يحدث كعباً عن النبي ، وكعب يحدث أبا هريرة عن الكتب[103]» . وأبو هريرة ذاته ، يقول : «وافقت كعباً فحدثني عن التوراة ، وحدثته عن رسول الله حديث يوم الجمعة ؛ فقال كعب : فيه خُلِق آدم[104]» . ويشك ابن كثير في انَّ حديث يأجوج ومأجوج : «لعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار فإنه كثيراً ماكان يجالسه ويحدثه ، فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة إنه مرفوع[105]» . وقال أيضاً عن حديثه حول خروج الرايات السود من خراسان

---

(٩٩) – العقد الفريد ، ٦ : ١٠٩ .

(١٠٠) – أضواء على السنة ، ٢١٣ .

(١٠١) – أضواء على السنة ، ٢١٨ .

(١٠٢) – الإصابة ، ٥ : ٢٠٥ ؛ سير أعلام النبلاء ، ٢ : ٤١٨ .

(١٠٣) – سير أعلام النبلاء ، ٢ : ٤٣٦ .

(١٠٤) – أبو القاسم البلخي ، قبول الأخبار ومعرفة الرجال ، ٥٧ .

(١٠٥) – تفسير ابن كثير ، ٣ : ١٠٤ – ١٠٥ .

لايردها شيء حتى تنصب بايليا : «إنه من كعب الأحبار[١٠٦]» ..وهكذا ، ظهرت مشكلة فعلية في تشوش الناس بين حديث أبي هريرة وحديث كعب ، يلخصها بسر بن سعد ، بقوله : «لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة يتحدث عن رسول الله (ص) ، ويحدثنا عن كعب ، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله[١٠٧]» .

عبر كعب ، برأينا ، تعمقت معرفة أبي هريرة بالتوراة ، وشروحها ، حتى قال الحبر السابق : «مارأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من ابي هريرة[١٠٨]» . مقابل ذلك فالمخلصون للعقيدة الصافية من القلة القليلة الباقية ، كالسيدة عائشة مثلاً ، أخذوا موقفاً سلبياً من أبي هريرة . قال إبن قتيبة : «لما أتى أبو هريرة من الرواية منه ﷺ مالم يأت بمثله من صحبه من جلّة أصحابه والسابقين الأولين ، اتهموه وأنكروا عليه ، وقالوا : كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك ؟ وكانت عائشة (رض) أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه[١٠٩]» . وهكذا ، كان أبو هريرة «أول راوية اتهم في الإسلام[١١٠] » .

نماذج صغيرة :

ثمة أمثلة ذات طابع ميثولوجي ، جمعناها ضمن إطار بحثنا ، تحمل نوعاً من التأكيد على شيء من التطابق بين ماكان يرويه كعب ، ومانسبه أبو هريرة إلى النبي : وهي غيض من فيض .

نسب أبو هريرة للنبي قوله : «إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة[١١١]» . وقال كعب : «يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران

(١٠٦) – البداية والنهاية ، ١٠ : ٥١ .
(١٠٧) – سير أعلام النبلاء ، ٢ : ٤٣٦ .
(١٠٨) – مسند أحمد ، ٢ : ٢٧٥ .
(١٠٩) – تأويل مختلف الحديث ، ٤٨ .
(١١٠) – مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ١ : ٢٧٨ .
كان علي بن أبي طالب يقول : «أكذب الناس أبو هريرة الدوسي» (شرح النهج ، ١ : ٣٦٠).
(١١١) – فتح الباري ، ٦ : ٢٢٩ .
تفسير إبن كثير ٤ : ٤٧٥ .

عقيران فيقذفان في جهنم فيراهما من عبدهما[112] .

وينسب أبو هريرة للنبي قوله : «إنّ الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثبتة تحت العرش ، وهو يقول : سبحانك ما أعظم شأنك[113]» . ويقول كعب : «إن لله ديكاً عنقه تحت العرش ، وبراثنه في أسفل الأرض ، فإذا صاح صاحت الديكة ، فيقول : سبحان القدوس الملك الرحمن لا إله غيره[114] » .

وحين نسب أبو هريرة للنبي قوله : «إنّ في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام» عقّب كعب بسرعة : «صدق[115]» .

من ناحية أخرى ، فإنّ ثمة حديثاً غريباً ، ينسبه ابو هريرة للنبي ، ويقول : «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين[116]» . يمكن أن نجد له أصلاً في الحكايا الحاخامية ، فالشوفار ، وهو قرن حيوان يستعمل صفيره للأذان عند اليهود ، هو بحسب رسالة «روش هاشناه» التلمودية ، يخيف بصوته الشيطان وأرواح الشر فتهرب[117] .

عود على بدء :

بعد أن قدمنا شواهد كثيرة من التاريخ الإسلامي ذاته حول إمكانية تسلّل أجزاء كبيرة من «الهاغاداه» إلى التقاليد الإسلامية المابعد قرآنية ، نذكر هنا بعض الامثلة حول طرائق معالجتنا لبحثنا الموسّع الذي يحكي عن العلاقة بين «الهاغاداه» وتلك التقاليد .

باختصار : لقد حاولنا منذ البداية أن لا نفترض تعسّفياً ، حين نرى تطابقاً

---

(112) – الدميري ، حياة الحيوان ، ٢٣٢ .
(113) – نهاية الأرب للنويري ، ١ : ٢٢٠ .
(114) – النجوم الزاهرة ، ١ : ٣٤ .
(115) – تفسير ابن كثير ، ٤ : ٥١٣ – ٥١٤ .
(116) – انظر مثلاً : صحيح البخاري ، ١ : ١١٥ .
(117) – روش هاشاناه ، ١٦ ب .
من أجل معلومات إضافية حول الشوفار ، راجع : Encyclopedia Judaica, 14 : 1442

شبه تام بين قصة هنا وقصة هناك ، إن الأحدث مأخوذة عن الأقدم . فهذا مالانمتلك دليلاً عليه . لكن بالمقابل ، ثمة قصص دليلها القطعي واضح ، خاصة حين نقوم بالموازاة بين القرائن لجعل الصورة في أكمل أشكالها .

من النوعية الأخيرة ، نذكر «عذاب القبر» . و«عذاب القبر» حكاية إسلامية متداولة بشدة هذه الأيام في أوساط بعينها ، ونمتلك الدليل القطعي على انها «هاغاداه» حاخامية أُدْخِلت في التقاليد الإسلامية المابعد قرآنية في مرحلة ما ، خاصة وأنّ تدوين تلك الأخبار جاء بعد زمنٍ طويلٍ من الإخبار بها –هذا إذا تمَّ ذلك الإخبار فعلاً .

تقول الموسوعة اليهودية – النسخة الإنكليزية : «يقال إنَّ عائشة ، زوجة محمّد ، سمعت التقليد المتعلّق بعذاب القبر (حبوط هاقبر) من عجوزين يهوديتين في المدينة[118]» . وتقليد عذاب القبر الحاخامي ، كما يعرّفه «يهودا غور» في معجمه «العبري – العبري» هو التالي :

«חבוט הקבר ; היסורים שאחרי המות (שמלאכי חבלה מכים את גוף האדם אחרי מותו בקבר   לפי ספרי המוסר»[119] .

«عذاب القبر : مبادئ مابعد الموت (حيث ملائكة التدمير تعذب جسد بني آدم بعد الموت في القبر ، وذلك وفقاً لسفري هاموسار)» .

وتشرح «الموسوعة اليهودية – النسخة الإنكليزية» المسألة بإسهاب ، فتقول: ««חבוט הקבר» أو «الضرب في القبر» هو عذاب مذكور في هاغداه قديمة ، توسّع فيها القباليون [جماعة يهودية] . وبحسب هذا الاعتقاد ، لايُعاقب الميت على خطاياه بعذاب جهنم والتقمّص فحسب ، بل إنَّ ملاك الموت يضربه بسلسلة حامية كالنار بعد موته مباشرةً (وربما أن الذي يضربه هو الملاك المدعو دوما ، قارن رسالة بيراخوت التلمودية ١٨ ب) . ولايُستَبعد من هذا العذاب إلا الذين ماتوا في فلسطين ، أو الذين يدفنون خارجها بعد ظهر يوم الجمعة قبل غياب الشمس . ومن أجل تجنب عذاب القبر ، ينصح القباليون بفعل الخير

---

(١١٨) – Encyclopedia Judaica, 5 : 102

(١١٩) – יהודה גור מלון עברי 251 .

وأداء الصلوات بحرارة . ويفيد في هذا المجال بشكل خاص تذكّر المرء اسمه العبراني [لليهودي في المجتمع غير اليهودي اسمان عموماً : اسمه العبراني واسمه غير العبراني المرتبط بذلك المجتمع] حين يسأله عنه ملاك الموت . ومن أجل نقش الاسم في ذاكرتهم ، يضيف أتقياء اليهود بعد الانتهاء من تلاوة العميداه [في الصلاة اليهودية] آية من الكتاب المقدس ، يتوافق حرفاها الأول والأخير مع الحرفين الأول والأخير من اسمهم العبراني[١٢٠]» .

على الصعيد اليهودي ، يعتبر الكاتب القبالي موريس بن مردخاي زاكوتو (١٦٢٠ - ١٦٩٧) ، أشهر من تناول هذا الموضوع بالتفصيل . وفي عمله الشهير L,inferno Preparto ، طبعة عام ١٨١٩ ، يتحدث بإسهاب عن عذاب القبر ، وكيف تجز الملائكة الموتى في أقسام جهنم السبعة ، حيث تظهر للعيان العذابات الرهيبة التي يعاني منها الخاطئون . والعمل مكوّن من ١٨٥ مقطعاً شعرياً موزوناً ، كل مقطع مؤلّف بدوره من خمسة أبيات . ولهذا العمل شعبية ضخمة في اوساط اليهود القباليين . وقد نُشر للمرة الأولى في البندقية عام ١٧١٥ .

من الجانب الإسلامي ، فقد وجدنا في «البخاري» ، إذا صحّت الرواية ، مايدعم الرأي بأن هذه الحكاية مأخوذة فعلاً عن «هاغاداه» حاخامية . فقد روي عن السيدة عائشة قولها : «دخلت عليّ عجوزان ، من عجز يهود المدينة ، فقالتا: إنّ أهل القبور يعذّبون في قبورهم . فكذبتهما . ولم أنعم أن أصدقهما . وخرجتا . ودخل علي النبي ، فقلت له يارسول الله ، وذكرت له [الحديث]... فقال : صدقتا ، إنهم يعذّبون عذاباً تسمعه البهائم كلها . فما رأيته من بعد في صلاة إلا تعوّذ من عذاب القبر[١٢١]» . ويضيف «البخاري» ، بأن النبي خرج يوماً «وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً ، فقال : يهودٌ تعذّب في قبرها[١٢٢]» .

من النوعية الأولى التي لانملك دليلاً مباشراً على أن الأحدث مأخوذة عن

---

(١٢٠) - Encyclopedia Judaica, 5 : 102
(١٢١) - ٤ : ١٠٨ .
(١٢٢) - ١ : ٢٣٩ .

الأقدم ، نقدّم الأمثلة التالية :

ذكر إبن كثير في «قصص الأنبياء» الحكاية التالية : «قال في سورة طه : «اذهب إلى فرعون إنه طغى ، قال [موسى] : ربِّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي» [٢٤ - ٢٨] . قيل إنه أصابه في لسانه لثغة ، بسبب تلك الجمرة التي وضعها على لسانه والتي كان فرعون أراد اختبار عقله ، حين أخذ بلحيته وهو صغير فهمّ بقتله ، فخافت عليه آسية ، وقالت : إنه طفل فاختبره بوضع تمرة وجمرة بين يديه ، فهمّ بأخذ التمرة فصرف الملَك يده إلى الجمرة ، فأخذها فوضعها على لسانه فأصابته لثغة بسببها. فسأل زوال بعضها بمقدار مايفهمون قوله ، ولم يسأل زوالها بالكلية[١٢٣]» .

بغض النظر عن معقولية القصة منطقياً ، لأن الطفل كان سيحرق أصابعه قبل أن تصل الجمرة إلى فمه ، فالحكاية موجودة بشكل حرفي تقريباً في هاغاداه قديمة وردت في «مدراش راباه» على سفر الخروج (١ : ٢٦) ، نقدمها هنا باختصار : «لقد أسر جمال [موسى] الفريد البيت الملكي ، فتبنته ابنة فرعون ، والتي كانت تظهر حبها له باستمرار . كان الصبي يلعب مع فرعون ، وغالباً ماأخذ تاجه ووضعه على رأسه . ارتاع مستشارو الملك من هذا التصرف ونصحوا فرعون بقتله . لكن يثرو [شعيب] الذي كان من بين مستشاري الملك ألحّ أولاً على اختبار الطفل . فأحضر أمام موسى إناء ذهب وإناء جمر ، فكاد [الطفل] أن يمدّ يده إلى الذهب حين جاء الملَك جبريل وحوّل يده إلى الجمر . فوضع الطفل جمرة في فمه ، فأحرق لسانه ، وصار نطقه صعباً[١٢٤]» .

من القصص الإسلامية المتقاطعة بقوة مع الهاغاداه ، مارواه أبو هريرة وأورده البخاري في صحيحه ، والذي يتعلّق أيضاً بشخص موسى : «أرسِل مَلَك الموت إلى موسى ، فلما جاءه صكه [لطمه موسى على عينيه] ، فرجع إلى ربّه فقال : أرسلتني إلى عبدٍ لايريد الموت! فردّ الله عليه عينه ، وقال : إرجع فقل له

---

(١٢٣) - إبن كثير ، قصص الأنبياء ، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، ٢ : ٢٩ .

(١٢٤) - Encyclopedia Judaica, 12 : 396

يضع يده على متن ثور فله بكل ماغطّت يده بكل شعرة سنة»[125].

ويضيف الثعالبي تفاصيل أخرى، فيقول إنَّ المَلَك أتى موسى «بصورة آدمي» وأخبره بالأمر، فما زال يحاجّه ويلاجّه، وحين رآه نافذ العزيمة في ذلك، لطمه لطمةً فذهبت منها إحدى عينيه. فهو إلى الآن أعور. وفيه قيل:

ياملك الموت لقيت منكراً   لطمة موسى تركتك أعورا[126]

لكن الثعالبي ينهي الحكاية بقوله: «وأنا بريء من هذه الحكاية[127]».

من ناحية أخرى، يتحدث «تراث موشيه» من ضمنيل، مَلَك الموت، الذي جاء ليأخذ نَفْس موشيه [موشى]، لكن الأخير يضربه ويرده على أعقابه، فيعد الله موشيه بأنه هو ذاته الذي سيأخذ نَفْسه، الأمر الذي يغوي النبي بأن ينقش على عصاه اسم الله المحرّم لفظه [יהוה (يهوه) محرّم لفظه عند اليهود المتدينين]، مما جعل ملاك الموت يفر هارباً[128]. ويخبرنا «مدراش راباه» على التثنية، بأن موسى مات حين قبّله الله. وتعلّق رسالة «سوتاه[129]» التلمودية بأن الله ذاته هو الذي دفنه. وتقول رسالة «بساحيم[130]» التلمودية، إنَّ الله ذاته حفَّر قبر موسى منذ أمسية سبت الخليقة.

● ● ●

(١٢٥) – ك. الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة.
انظر أيضاً: الطهطاوي، هداية الباري، دار الرائد العربي، بيروت، ١ : ٨٢.

(١٢٦) (١٢٧) – عبد الملك الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط نهضة مصر، ١٩٦٥، ص ٥٣.

(١٢٨) – Encyclopedia Judaica, 12 : 954

(١٢٩) – 14 a.

(١٣٠) – 54 a.

ملحق ١ :

قائمة بأسماء مراجع مساعدة

نقدم هنا قائمة بأسماء بعض المراجع المساعدة الموجودة في المكتبات السورية العامة ، والتي يمكن استخدامها لمن أراد التحقق من النصوص أو الإحاطة بفكرة أكثر شمولية عن الموضوع . مع ملاحظة أنّ هذه المراجع تخصّ «الهاغاداه» حصراً ، لأنّ مصادر التقاليد الإسلامية المابعد قرآنية معروفة للجميع تقريباً :

١ – الموسوعة اليهودية ، الطبعة الإنكليزية ، نسخة مكتبة الأسد ، رقم : M.899

Encyclopedia Judaica, Fourth Print, 1978,

Keter Publishing House, Jerusalem Ltd.16 vol.

والنسخة موجودة أيضاً في مبنى «الموسوعة الفلسطينية» . وفي مبنى «الموسوعة الفلسطينية» توجد أيضاً من «الموسوعة اليهودية» نسخة عبرية أفضل من تلك الإنكليزية وأكثر شمولية .

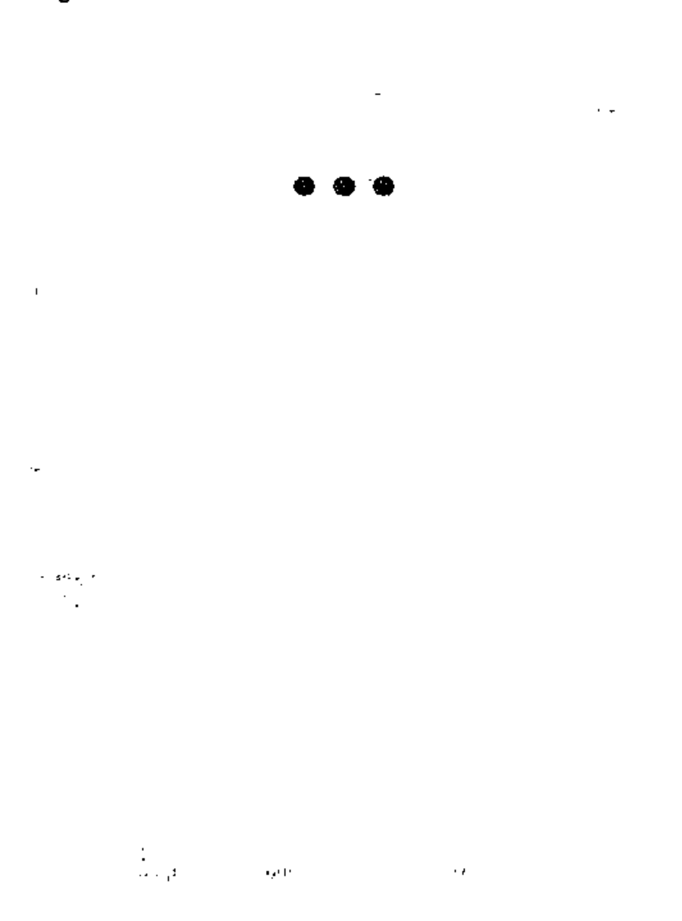
٢ – معجم يهودا غور المسمى ("יהודה גור מלון עברי") (معجم عبري) ، وهو معجم موسوعي هام جداً ، يحتوي كمية ضخمة من المعارف الدينية وغير الدينية اليهودية ، Copyright 1949, by "Dvir" Co.ltd. . نسخة مكتبة الأسد ، رقم M.4916 .

٣ – موسوعة الدين ، تحرير : مركيا إلياد ، النسخة الإنكليزية ، نسخة مكتبة الأسد . رقم M3289 .

٤ – التلمود البابلي ، نسخة مكتبة جامعة دمشق . الترجمة الإنكليزية : ترجمة ميكائيل رودكنسون . والنسخة غير مكتملة ، وتضم الرسائل التالية :

Hekalim; Erubin; Baba Metzia; Baba Kama; Baba Bathra; Rosh ha-Shana; Aboth;Shabbat; Abuda Zara; Shebouth; Hagigah;

Yoma; Pesachim; Sanhedrin; Succah; Moed Katan; Taanith Megilla .



ملحق ٢ :
كيف يفهم اليهود الحاليون كتابهم المقدّس؟

لامناص من الاعتراف بأن الإسرائيليين الحاليين يحاولون عموماً إضفاء الصبغة العلمية على أغلب وجوه حياتهم ، بعدما اكتشفوا ، ومنذ زمن غير قصير ، أن المستقبل للعلم ، وأن الوجود الحضاري والخرافة ضدان لايمكن ان يتعايشا في بيئة واحدة . من هذا المنطلق ، لانعتقد أن عالماً إسرائيلياً أوحداً – بمعنى العلم ، وليس بمعنى حفظ تلك التفاصيل المملة للهالاخا– يمكنه أن يقرّ «علمياً» بحقائق تاريخية لسفر التكوين : كيف باستطاعته إثبات الحقيقة التاريخية لقصة الخلق في السفر ، وهي موجودة ، بشكل أو بآخر ، في ميثولوجيا شعوب «الهلال الخصيب» ، الذين يعتبرهم اليهود قبل غيرهم ، «وثنيين»؟ وكيف يثبت الحقيقة التاريخية لقصة آدم وحواء وأبنائهما ، والموضع الجغرافي للجنة ، وكيفية هبوط آدم وزوجته على الارض ؟ كيف باستطاعة أي عالم إسرائيلي أن يؤكد أصالة قصة الطوفان بعدما كشفت مصادرها في الميثولوجيا المقابل توراتية ؟ وماذا بالنسبة لابراهيم ، الذي يمتلئ النص الخاص به في «التكوين» بالتناقضات : تناقضات داخلية كشفت عنها نظرية التقاليد ، وتناقضات خارجية كشفت عنها وثائق المنطقة والتي أثبتت بما لايدعُ مجالاً للشك استحالة حدوث القصة تاريخياً كما وردت في «التكوين» ؟

لقد حاول العلماء اليهود ، بعدما يئسوا من «التكوين» ، أن يلعبوا في «الخروج» –ليثبتوا على الأقل ، تاريخية شخصية موسى ، الذي يعتبر نبي الديانة المفترض . وكان الكتابان الهامان : «موسى والتوحيد» لفرويد و «موسى» لمارتن بوبر . فقد استخدم فرويد عبقريته «الإيحائية» الشهيرة لإثبات أن موسى شخصية تاريخية تنتمي إلى البلاط الملكي في بلاد النيل . لكنه وقع في خطأ مبدأي حين استخدم الترجمات غير العبرانية لاسم موسى [موشيه] حتى يستنتج من حرفي «مس» في تلك الترجمات أن النبي شخصية مصرية . فالحقيقة أن

لاشيء يبرر إغفال اسم موسى العبراني – قال فرويد إن موشيه تعني المنتشل وهذا خطأ منطقياً لأن موشيه مُنتشَل لامُنتشِل – باعتباره ركيزة النص الأصلي، الذي لابد أنه يمتلك في سياقه رمزية ميثولوجية . وإذا ماأراد واحدنا ، مثلاً ، فهم الرمزية الميثولوجية لمعنى اسم «ميكائيل» ، لايمكن أن يأخذه بترجمته الفرنسية أو العربية – حيث لامعنى إطلاقاً –بل عبر أصله العبراني الذي يعني «من مثل الله». مقابل ذلك ، فرغم الجهد الهائل الذي بذله المفكر بوبر لإثبات تاريخية قصة موسى ، فهو ينتهي إلى نتيجة مطمئنة ذاتياً ، تقول إنّ موسى هو أسطورة تاريخ وليس تاريخ أسطورة . لكن مارتن بوبر ، رغم معارفه العلمانية الواسعة وثقافته الدينية الموسوعية كيهودي حسيدي عميق ، فشل في أن يحدد أين تنتهي الأسطورة وأين يبدأ التاريخ . وشخصياً نعتقد أن الموقف الأسلم هو عدم الإنكار على «من يشاء» إيمانه بتاريخه حوادث الكتاب المقدس وشخوصه، لكن الإنكار الحازم على من يريد فرض هذا الإيمان كحقيقة مطلقة، . دون دليل تاريخي قاطع ، بالمعنى العلمي للتاريخ .

في هذا الإطار ، أرتأينا ان نترجم إحدى المقالات الهامة المنشورة في مجلة «التايم» الأميركية ، يوم ١٩٩٥/١٢/١٨ والتي أعدها من القدس «مارتن ليفن وفليس مارانز ، ومن فيلادلفيا ن.اوستلينغ» والتي تكشف بحق عن المحاولات المستميتة التي تُبذل لإثبات صحة التوراة تاريخياً : محاولات ، في اعتقادنا ، لن توصل إلى شيء .

بعد مقدمة إنشائية غير علمية ، تقول المقالة :

«بالنسبة لحوالي ٣ بلايين يهودي ومسلم ومسيحي ، هذه [فلسطين] هي الأرض المقدسة ، المكان الذي مشى فيه على الأرض ، كما يقول الكتاب المقدس والقرآن ، يسوع وابراهيم والملك داود والملك سليمان . وكل رفش تراب قلبها أركيولوجي استطاعت تقديم دليل حول كيف ، بل ماإذا ، هؤلاء وأشخاص كتابيون آخرون عاشوا فعلاً . وكون الحنوكاه وعيد الميلاد يقتربان [المقالة مكتوبة يوم ١٥ /١٢] ، فالمؤمنون حول العالم متناغمون أكثر من أي وقت مضى حول الأهمية الأركيولوجية للقى من هذا القرن ، وبشكل خاص من السنوات القليلة الماضية ، وذلك لتوطيد حقيقة الحوادث التي تحتل أساس إيمانهم .

إنّ بعضاً من أكثر الأسماء ، الأماكن والحوادث شهرة في الكتاب المقدس – الآباء : ابراهيم ، إسحاق ويعقوب ، الملك داود ؛ قاتل جوليات ؛ موسى وهروب الإسرائيليين من العبودية في مصر ؛ غزو يشوع للأرض ؛ ونبوءات إرميا المتشائمة –نُظر إليها في الواقع من منظور جديد بفضل فيضان الكشوفات الحديثة . والأركيولوجيون يحاولون دائماً أن يجدوا دليلاً جديداً والذي قد يساعد في حل أسئلة مازال دون إجابة : هل وجد موسى فعلاً؟ هل حدث الخروج؟ هل خاض يشوع معركة أريحا؟ هل طرد يسوع صرافي العملة ؟ متى ولماذا كتب أقدم أسفار الكتاب المقدس؟ .

أولاً ، إنّ الإسرائيليين الذين اكتشفوا الكهف المكشوف غطاؤه حديثاً قرب الطريق السريع اعتقدوا انهم وجدوا تماماً ذلك النوع من الأدلة . فداخل فجوة صخرية ، تقع شمال غرب القدس بثلاثين كيلومتراً ، كان هنالك ٢٣ تابوتاً ممتلئين بالعظام . وقد بدا أن تحليلاً سريعاً يظهر أن الأحرف على أحد صناديق العظام يمكن أن تهجئ كجزءٍ من الاسم حشموني ، وهي عائلته من الأغيار اليهود ، تعرف أيضاً بالمكابيين ، الذين اكتشافهم مصباح زيت عجائبي يحتفل به الآن في إنارة شموع الحنوكاه .

لقد ظهر للوهلة الأولى ، أن هنالك دليلاً مادياً أن هذه العائلة الأسطورية ، المعروفة فقط من كلمات الأبوكريفا [نلاحظ هنا أن سفري المكابيين اللذين يحكيان القصة يعتبران منحولين عند اليهود والبروتستانت] ، وجدت فعلاً ، والاكتشاف ، الذي أعلن الشهر الماضي ، خلق موجة عالمية من الإثارة (والاعتراضات من قبل اليهود المتطرفين ، الذين يعتقدون أن أي بحث بالرفات البشرية ينتهك الشريعة اليهودية) . لكن بعد أسبوعين ،جاءت الكلمة المخيبة للآمال من المرجع الإسرائيلي الخاص بالعلوم القديمة Israili Antiquites Authority : الأحرف على المدفن أسيئ تفسيرها . ولم يعد هنالك سبب للاعتقاد بأنها عظام المكابيين إطلاقاً .

تلك هي الإحباطات الحياتية في الحقول العلمية للأركيولوجيا الكتابية . إنَّ التنقيب في الماضي هو دائماً عمل مخادع ، حيث يحاول الباحثون ان يعيدوا بناء مجتمعات قديمة من قطع فخار او تماثيل او منازل متكسرة . لكن المحاولة لتعيين نتاجات صنعية من زمن العهد القديم في الأرض المقدّسة هي مشكلاتية

على نحو خاص . فمن ناحية ، لاتوجد فعلا وثائق مكتوبة من زمن الملك سليمان أو قبل ذلك . فالإسرائيليون القدامى ، بعكس العديد من جيرانهم ، كتبوا كما هو واضح معظم نتاجهم على أوراق قابلة للفساد وليس على آجر يتحمل مرور الزمن .

أكثر من ذلك ، فالمسألة برمتها شديدة الحساسية ، لأنَّ لكل واحد تقريباً حصته في الكتاب المقدس . فالمحافظون المتطرفون اليهود والمسيحيون لايحبون سماع أن أقساماً من الكتاب المقدس خيالية . والملحدون لايستطيعون الانتظار كي يثبتوا أن الشيء كله حكاية خرافية . وحتى بالنسبة للغالبية المعتدلة فالكتاب المقدس يشكل أساس الكثير من الثقافة الغربية بحيث أنه من المهم إلى درجة كبيرة معرفة ماإذا كانت قصصه تقوم على أساس حقيقي .

لكل اكتشاف مثل مغارة الدفن المكابية لاينجح ، يبدو أن هنالك آخر ينجح. ويعتقد القليل من العلماء أنَّ عجائب من نمط عليقة موسى المشتعلة أو قيامة يسوع لايمكن إثباتها علمياً يوماً : إنها ، في نهاية الأمر ، حوادث خارقة للطبيعة . مقابل ذلك ، القليل يشكون أن الشخصيات في القسم الأخير من العهد القديم ومعظم الجديد – نبوخذ نصر ، إرميا ، يسوع ، بطرس – وجدت فعلاً ، مع أن بعضهم سيشك دائماً بأجزاء من قصصهم .

لكن سلسلة الاكتشافات الحاسمة توحي أن بعضاً من حكايا الكتاب الأكثر قدماً تعتمد بثبات أيضاً على الناس وحوادث حقيقيين . عام ١٩٩٠ ، اكتشف باحثون من هارفارد كانوا يعملون في مدينة عسقلون القديمة ، شمال قطاع غزة، تمثالاً صغيراً لعجل برونزي مطلي بالفضة يذكر بالعجل الذهبي الضخم المذكور في «سفر الخروج» . عام ١٩٨٦ ، وجد الأركيولوجيون أقدم نصّ معروف من الكتاب المقدس الذي يرجع إلى عام ٦٠٠ ق.م . تقريباً . وهو يوحي على الأقل أن جزءاً من العهد القديم كتب مباشرةً بعد الحوادث التي يصفها . كذلك عام ١٩٨٦ ، حدد علماء هوية ختم قديم بأنه يرجع إلى باروخ، إبن نريا ، وهو كاتب دوّن نبوءات إرميا عام ٥٨٧ ق.م (لأنَّ اليهود والمسلمين لايعتبرون مولد المسيح لحظة مُحدّدة في التاريخ ، يفضّل العديد مصطلح B.C.E على B.C . B.C.E ترمز إلى «قبل الحقبة للمسيحية» أو «قبل الحقبة العامة»). يقول هرشل شانكس ، المحرر المؤسس للمجلة القوية «Biblical

«Archaeology Review» («مجلة الأركيولوجيا الكتابية») : «نادراً ماتأتي الأركيولوجيا وجهاً لوجه أمام الشعب المذكور فعلاً في الكتاب المقدّس» .

في ماقد يكون الأهم بين هذه الكشوفات ، اكتشف فريق من الأركيولوجيين نقشاً من القرن التاسع ق.م ، في هضبة قديمة تدعى تل دان ، في شمال فلسطين ، عام ١٩٩٣ . والكلمات المنقوشة على قطعة بازلت تشير إلى «بيت داود» و «ملك إسرائيل» . وكانت تلك المرة الاولى التي يكتشف فيها اسم الملك اليهودي خارج الكتاب المقدس ، ويظهر أنه يثبت أنه كان أكثر من مجرد أسطورة .

من ناحية اخرى ، يقول بعض العلماء ، إنّ كثيراً مما دوّن في الكتاب هو في أحسن الاحوال مشوّه ، وإنّ بعض الشخصيات والحوادث ربما تكون خيالية بالكامل .معظم العلماء يشكون في أن ابراهيم ، اسحق ، ويعقوب ، المؤسسين التقليديين لليهودية ، وجدوا قط . العديد يشكون في قصتي العبودية في مصر والخروج . وقلّة نسبية من التاريخيين المعاصرين يعتقدون في غزو يشوع لأريحا وبقية الأرض الموعودة . وفي الرأي الأكثر تطرفاً ، كل ماذكر سابقاً هو تلفيقات بالكامل ، اخترعت بعد الحقيقة المفترضة بقرون .

هذه الكشوفات والنظريات ، وغيرها كثير ، مناقشة بحماسة من كل الجوانب من قبل الأركيولوجيين ، العلماء الدينيين والتاريخيين . ولكن الجميع متفقون في بعض الأمور فقط . فعلى سبيل المثال يُعتقد عموماً أنّ النسخة الكتابية للتاريخ الإسرائيلي بعد حكم سليمان ، تعتمد على حقيقة تاريخية لأنها موثقة بروايات مستقلة عن الملوك والمعارك في النقوش المصرية والآشورية من ذلك الزمن .

مع ذلك ، فقبل تلك الحقبة –أي قبل ٩٣٠ ق.م– يختلف الخبراء في كل شيء تقريباً . في أحد أقطاب نسخة «المناوشة» العلمانية هذه تقف المجموعة المعروفة باسم «دعاة الحد الأعلى» ، الذين يعتبرون الكتاب المقدس دليلاً شرعياً للبحث الأركيولوجي . في القطب الآخر يقف «دعاة الحد الأدنى» ، أو العدميون الكتابيون ، الذين يعتقدون أن الكتاب المقدس وثيقة دينية وبالتالي لايمكن قراءته مثل أي نوع من الرواية الموضوعية .

يقول فرانك مور كروس ، الأستاذ الفخري في الدراسات الشرقية في هارفارد ، والذي يضع نفسه في الوسط تقريباً ، مفسّراً موقف العدميين الكتابيين : «إنهم يقولون عن المادة الكتابية : إذا لايمكن البرهان على أنها تاريخية ، فهي ليست تاريخية» .

في أحد الأوقات سيطر دعاة الحد الأعلى ثم سيطر دعاة الحد الأدنى ، على الأركيولوجيا الكتابية . بالنسبة للمستكشفين الأوائل ، الذين بدأوا زيارة الأرض المقدسة جدياً في منتصف القرن الماضي ، كان الكتاب المقدس ، كتابهم المقدّس . الباحث الجدّي الأول ، كان إدوارد روبنسن ، وهو مستشرق من المعهد اللاهوتي المتحد في نيويورك سيتي . في عامي ١٨٣٧ و ١٨٥٢ سافر إلى فلسطين وعيّن عدة من مواقع للمدن القديمة بسؤال العرب ، الذين حفظوا الأسماء التقليدية لقرون . ووجد قوساً ضخماً يدعم جبل الهيكل في القدس . وحدد موقع الماسادا . «لقد فعل أكثر من كل الذين جاءوا قبله أو بعده من أجل الطبوغرافيا الكتابية» ، يقول ماغن بروشي ، القيّم الفخري على مخطوطات البحر الميت .

أطلقت رحلات روبنسون موجة من الاستكشاف لم تتوقف قط . والعديد من الزوار الأوائل لم يكونوا قريبين من الموضوعية . كانوا تواقين لإثبات الكتاب المقدس كتاريخ ، لا إلى اختباره . وعند نهاية القرن ، قاد ذلك إلى حركة ارتجاعية خاصة بين نقّاد الكتاب المقدس من الألمان الليبراليين . وكان موقفهم المتخيل سلفاً المقابل أن الكتاب المقدس هو ميثة myth أساساً .

عاد رقّاص الساعة إلى الطريق الأخرى ثانيةً في عشرينات هذا القرن ، حين ظهر على المسرح وليم فوكسول البرايت . أستاذ للغات السامية في جامعة جون هوبكنز وابن لمبشر ميثودي ، أخذ طريقة أكثر علمية بكثير من كل سابقيه . فقد حاول أن يؤكد قصص العهد القديم عبر دليل أركيولوجي مستقل ، لا أن يفترض أن الكتاب المقدس صحيح برمته أو أنه خيالي بالكامل . وفي ظلّ تأثيره المعتبر ، صارت الأركيولوجيا الكتابية أخيراً مشروعاً علمياً ومنظّماً .

مع أنه كان محضّراً كي يرى أن الكتاب المقدّس يخطئ في دقائقه ، فقد افترض البرايت أنه صحيح مالم يثبت شيء آخر . لقد افترض جدلاً وجود ابراهيم، إسحق ويعقوب ، ثم استخدم الدليل المادي الظرفي ليستنتج أنهم ربما

عاشوا حوالي عام ١٨٠٠ ق.م . كما قبل فكرة الخروج من مصر والغزو العسكري لكنعان (فلسطين) ، وتابع كي يؤرخ هذه الحوادث حوالي ١٢٠٠ ق.م .

ورثة فكر البرايت ، بمن فيهم الأركيولوجيان ابراهام بيران والذي عاش حتى مرحلة متأخرة وييغال يادين ، قدّموا افتراضات مماثلة . قال ييغال يادين قبل وفاته عام ١٩٨٤ ببضع سنوات : «العهد القديم بالنسبة لي دليل . إنه التاريخ الموثق لشعبي» . يقول الكتاب المقدس على سبيل المثال ، إن الملك سليمان سوّر مدن حاصور ومجدو وجازر [مل ٩ : ١٦] ، خلال حكمه . وبثقة كافية ، ذهب يادين في أواخر الخمسينات ووجد بوابة مدينة عند آثار حاصور ، وأعاد تاريخها إلى زمن سليمان ، في القرن العاشر ق.م . وحين وجد أنّ مكتشفين أوائل استخرجوا بوابة مشابهة في جازر ، أعادها أيضاً إلى حقبة سليمان . ولأنّ الكتاب المقدس يذكر مجدو بالنَفَس ذاته مع المدينتين الأخريين، بحث –ووجد اصطلاحياً– عن بوابة ثالثة في مجدو ، واستنتج ان سليمان بنى الثلاث جميعاً .

يشير النقاد الحاليون إلى أن هذه الطريقة يمكن أن تكون محفوفة بالمخاطر علمياً . يقول جون وودهد ، المدير المساعد للمدرسة البريطانية للأركيولوجيا في القدس : «إنه برهان دائري ، لقد استخدم يادين المعلومة لإثبات الآية ، والآية لإثبات تاريخ المدن» . والحقيقة أن دافيد أوسشكيم ، مدير معهد الأركيولوجيا في تل أبيب يقول ، إن البوابات في المدن الثلاث لم تأت من الحقبة الزمنية ذاتها إطلاقاً . ويضيف «ربما تكون حاصور سليمانية ، لكن مجدو من وقت أحدث حتماً . أما جازر فهي إما/أو» .

في حالة الآباء [ابراهيم وسلالته] ، المشاكل أكثر سوءاً . فليس هنالك دليلٌ مباشرٌ ، غير الكتاب المقدس ، يوحي بأنّ مآثر ابراهيم –رفضه الوثنية ، رحلاته إلى كنعان ، إنقاذه لإبن أخيه لوط من الخاطفين في مدينة لايش الكنعانية (ستصبح دان لاحقاً) – حدثت يوماً . ويؤكد النقاد أن الكثير من الملوك والشعوب الذين يفترض أن ابراهيم قابلهم وجدوا في أزمنة تاريخية مختلفة للغاية .

في ردة فعل على هذه التناقضات وغيرها المنبعثة من الإتكال الزائد على

الكتاب المقدس ، ظهرت موجة ثانية من الشكوكيين الفائقين في السنوات الخمس الأخيرة . وفي اللقاء السنوي المعقود في الشهر الأخير في فيلادلفيا لجمعية الأدب الكتابي وأكاديمية الدين الأميركية ، المؤتمر الأبرز حول العلم الكتابي في العالم ، كانوا هم المسيطرين . وفي حين كانت ثمة فروق بين العلماء حول ما يعتقدون ، قام أحد دعاة الحد الأدنى من الراديكاليين ويدعى جون فيلد ستيرز من جامعة نورث كارولاينا ، شابل هل ، بتلخيص العديد من مواقفهم المعتمدة عموماً . فأعلن بثقة بابوية ، أن أقدم أسفار العهد القديم لم يكتب حتى كان الإسرائيليون في السبي في بابل ، بعد عام ٥٨٧ ق.م . لم يكن ثمة موسى ، لاعبور للبحر ، ولاوحي على جبل سيناء .

وكما كان على المؤمنين أن يذعنوا في مواجهة دليل يناقض افتراضاتهم ، كذلك تماماً على الرافضين أن يذعنوا في مواجهة العكس . فالحقيقة الأركيولوجية تقول إنَّ غياب الدليل ليس دليل الغياب . والتنقيب في الماضي هو مسألة غير محددة التصميم . ويمكن لضربة واحدة أن تطيح بجبل من الشكوكية . بين الاكتشافات التي تقوي الزعم الكتابي بالدقة التاريخية :

– عام ١٩٧٩ ، وجد الأركيولوجي غابرييل باركاي درجين من الفضة الدقيقة داخل أحد القبور في القدس . وكانا يعودان إلى حوالي عام ٦٠٠ ق.م، أي قبل دمار هيكل سليمان وسبي الإسرائيليين في بابل بفترة قصيرة . وحين فرد العلماء بحرص الدرجين في المتحف الإسرائيلي وجدوا بركة من «سفر العدد» محفورة على وجهيهما . الاكتشاف أوضح أن أجزاء من العهد القديم كانت مدونة قبل زمن طويل مما يعتقد الشكوكيون أنها كتبت .

– عام ١٩٨٦ كشف الأركيولوجيون أن قطعاً عديدة من فخار مصوّر دعيت bullae ، اشتريت من وسطاء عرب عام ١٩٧٥ ، استخدمت ذات يوم لتعليم الوثائق . وحدد ناحمان أفيغاد من الجامعة العبرية في القدس الدمغات المطبوعة على إحدى قطع الفخار بأنها آتية من ختم باروخ ، ابن نيريا ، وهو كاتب سجّل إعلانات يوم الديمومة للنبي إرميا . آخر حمل ختم براهمئيل ، ابن ابن الملك يواقيم ، الذي يقول : «سفر إرميا» إنه أرسل في مهمة غير ناجحة للقبض على النبي والكاتب – ويؤكد من جديد وجود الشخصيات الكتابية .

– عام ١٩٩٠ استخدم فرانك يوركو ، وهو عالم مصريات في متحف

الحقل للتاريخ الطبيعي في شيكاغو ، المفاتيح الهيروغليفية من مسلة معروفة باسم مسلة مرنفتاح لتحديد شخوص في نقش جداري من Luxor باعتبارها إسرائيلية قديمة . المسلة ذاتها ، تعود إلى عام ١٢٠٧ ق.م ، وتحتفل بانتصار عسكري للفرعون مرنفتاح . «لقد خربت إسرائيل» ، تقول المسلة ، موحية بأنّ الإسرائيليين كانوا شعباً مميزاً قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام ، وليس فقط لأن الكتاب المقدس يخبرنا بذلك .

– ١٩٩٣ اعلن إبراهام بيران من الكلية المتحدة العبرية –المعهد اليهودي للدين وجوزف ناڤه من الجامعة العبرية أنهما وجدا نقشاً يحمل عبارتي «بيت داود» و «ملك إسرائيل» . الكتابة –التي تعود إلى القرن التاسع ق.م ، بعد حكم داود بقرن فقط – وصفت نصراً لملك مجاور على الإسرائيليين . لقد حاول بعض أدعياء الحد الأدنى البرهان أن النقش ربما قرئ بشكل خاطئ ، لكن معظم الخبراء يعتقدون أن بيران وناڤه قرآه بشكل صحيح . وهكذا فزعم الشكوكيين أن الملك داود لم يوجد قط صعب الدفاع عنه الآن .

في العام الماضي [١٩٩٤] أخبر العالم الفرنسي أندره ليمير عن اكتشاف ذي علاقة «بيت داود» في «المجلة الأركيولوجية الكتابية» . مادته كانت مسلّة مشاه (المعروفة أيضاً بالحجر المؤآبي) ، وهي النقش الأكثر شمولاً بين كل النقوش المستردة من فلسطين القديمة .

بعدما اكتشف بين آثار ديبون الكتابية وتكسّر ، أعيد ترميم الحجر البازلتي في اللوفر ، حيث أمضى ليمير سبع سنوات في دراسته . وكان استنتاجه : إنّ عبارة «بيت داود» تظهر هناك أيضاً . وكما هو الحال مع نقش تل دان ، هذا النقش يأتي من أحد أعداء إسرائيل والذي كان يفتخر بانتصار له – إنه الملك مشا من مؤآب ، الذي ذكر ، في الكتاب المقدس . كان على ليمير أن يعيد بناء حرف مفقود ، حتى يحل شيفرة الكلمات ، لكن إذا كان الرجل على حقّ ، فسيكون هنالك الآن إشارتان من القرن التاسع ق.م ، لسلالة داود الملكية .

إنّ معظم العلماء ، وقد رأوا أن العلم يؤكّد الكتاب في بعض الأمثلة ويهدمه في أخرى ، مالوا إلى موقف متوسط . وكما يقول شانكس في المجلة الأركيولوجية الكتابية : «لاتستطيع أن تنظر إلى النص حرفياً : فهو لم يكتب كما كتب التاريخ المعاصر . لكن من ناحية أخرى ، فهو حتماً لم يُركّب» .

وفي حين يوافق معظم الأركيولوجيين على آراء شانكس مبدأياً ، مايزال هنالك متسع كبير لعدم الإتفاق بشأن أقسام من العهد القديم حيث الدليل معاكس او مايزال غائباً ، بما في ذلك العبودية في مصر ، وجود موسى ، الخروج وغزو يشوع العسكري للأرض الموعودة . وروايات الكتاب المقدس حول هذه الشعوب والحوادث هي القصص الأكثر شهرة في العهد القديم . لكن حتى العلماء الذين يعتقدون أنها حدثت فعلاً يقرون أنه لايوجد أي دليل على أنّ الخروج قد حدث . مامن سجل لهذه الحادثة الشهيرة يظهر في التواريخ المصرية لذلك الزمن ، والأركيولوجيون الإسرائيليون الذين جاؤوا إلى سيناء خلال البحوث المكثفة منذ عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٨٢ -السنوات التي احتلت فيها إسرائيل شبه الجزيرة- لم يجدوا قطعة دليل واحدة تدعم تيه الأربعين سنة المفترض للإسرائيليين في الصحراء .

القصة تتضمن الكثير جداً من المعجزات -الأوبئة ، انشقاق البحر الأحمر ، المن من السماء ، إعطاء الوصايا العشر- بحيث أن بعض النقاد يشعر أن القصة بكاملها تمتلك نكهة ميثة صافية . يقول الأب أنطوني اكس ، وهو محاضر كتابي في المدرسة الكتابية في القدس ، إنّ خروجاً ضخماً والذي قاد إلى غرق جيش فرعون ، كان لابد أن تتردد أصداؤه سياسياً واقتصادياً في كل المنطقة . وعلى اعتبار أن التناجات الصنعية التي حدثت في سيناء ترجع إلى نهاية العصر الحجري ، فمن المحيّر أنه لم يوجد دليل على عبور الإسرائيليين . أما وليم ديفير، وهو أركيولوجي من جامعة اريزونا ، فيدعو موسى بصراحة تامة شخصية ميثولوجية . ويلحّ بعض العلماء على أنّ القصة كانت تلفيقاً سياسياً ، كان الهدف منه توحيد الأسباط المتفرقة التي كانت تعيش في كنعان عبر اختلاق ماض بطولي .

بعكس الخروج ، فإنّ قصة يشوع وغزو كنعان يمكن أن تُختبَر ضد سجل أركيولوجي غني . الإجماع العلمي : أخبار سيئة من الرواية الكتابية . فوفقاً «لسفر يشوع» ، اندفع القائد الإسرائيلي وجيشه داخل كنعان ، فحطموا مدن أريحا ، حاصور ، وعاي ، وبعد ذلك استوطن الإسرائيليون الأرض .

تخبرنا الأركيولوجيا بحكاية اكثر تعقيداً . فالتاريخيون يوافقون عموماً أن غزو يشوع كان قد حدث في القرن الثالث عشر ق.م . لكن الباحثة البريطانية

كاثلين كنيون ، التي نقبت في أريحا ست سنوات ، لم تجد دليلاً على التدمير في ذلك الوقت . ويقول بروشي ، القيم الفخري على مخطوطات البحر الميت، «إنّ المدينة هُجِرت منذ بداية القرن ١٥ حتى القرن ١١ ق.م» . وكذلك أيضاً عاي ، كما يقول بروشي وغيره . وهكذا أيضاً ، وفقاً للمسوح الأركيولوجية ، كانت حالة معظم الأراضي المحيطة بالمدن . يقول بروشي : «مناطق الهضاب المركزية في اليهودية والسامرة لم تكن مأهولة عملياً . ولم يكن على الإسرائيليين أن يقتلوا ويحرقوا كي يستوطنوا» .

مقابل ذلك ، يبرهن الأركيولوجي أ.فنكلشتاين ، أنّ استيطان الأرض الموعودة كان عملية تدريجية استغرقت زمناً طويلاً ، وتضمنت شعوباً من خارج كنعان ومن داخلها . يقول في ذلك : «جاء بعضهم من أراضي الحثّيين ، بعضهم من الصحراء إلى الشرق وبعضهم من الجنوب . وأقبل أيضاً الفكرة أن لمّا انبعث من مصر ، وهذا الشعب جلب معه فكرة التوحيد» . ولم يصبحوا إسرائيليين إلا بعدما اتحدوا بنوع من الرباط القبائلي ، وفي حين أنهم حاربوا دون شك جيرانهم من أجل المكان ، فهذا لم يحدث إلا بعدما استقروا بثبات في كنعان . نظرية بديلة : الإسرائيليون كانوا ببساطة مجموعة منفصلة من الكنعانيين ضجِرةً من المجتمع الموجود .

إذا كان معظم العلماء لم يعودوا يقبلون بحرب غزو يشوع ، فهذا لايعني ان المسألة سويت بأية حال . فالمحافظون يملكون أفكار كثيرة حول كيف أن المد استطاع أن ينتقل عائداً إلى تفسير أكثر كتابية . فبعض الخبراء من أمثال إبراهام مالامات ، وهو مؤرخ كتابي في الجامعة العبرية ، يقترحون أنّ مامن دليل موجود على دمار في عاي ، مثلاً ، لأنّ المدينة كانت في موقع صعب قبل ٣٠٠٠ سنة . أما بريانت وود ، وهو مدير الروابط المناصرة للكتاب المقدس من أجل البحث الكتابي ، فيؤكد أن بحثه الخاص يدعم عدوان يشوع على أريحا . ويقترح أن كنيون ربما كانت متحيزة ، أو فقط أخطأت .

المدافعون عن الخروج لديهم أيضاً نظرياتهم ، مع أن وضعهم يظلّ عرضياً . لايوجد سجل مصري عن مغادرة الإسرائيليين ، كما يقترحون ، لأنّ الخاسرين لايسجلون أبداً هزيمة نكراء كهذه . وربما أنّ الناس يبحثون في القسم الخطأ من سيناء عن بقايا تيه الإسرائيليين ، أو ربما أن الإسرائيليين كانوا في شمال شبه

الجزيرة العربية دائماً . على أية حال ، كما يقول علماء عديدون ، أية أمة يمكنها أن تلفق زعماً بكونها استعبدت ؟

بل حتى الفكرة المقبولة على نطاق واسع . من أنَّ الآباء كانوا شخصيات ميثولوجية واجهت بعض التحديات . فعالم المصريات كنث كتشن من جامعة ليفربول قدّم مادعي «برهاناً خارقاً للعادة» في «مجلة الإركيولوجيا الكتابية» . ففي بداية هذا العام [١٩٩٥] يقول إنَّ القصص المتعلقة بابراهيم معقولة . ومعتمداً على سجلات غير كتابية ، برهن كتشن أنَّ كل شيء من السعر المعطى للعبيد إلى شكل الحرب إلى شرائع الإرث في ايام إبراهيم متناسق بشكل مدهش مع روايات الكتاب .

هل هو على حق؟ معظم العلماء لايظنون ذلك ، لكن اكتشافاً حاسماً واحداً –تاريخ مستقل قديم ربما حول جولات إبراهيم الأخيرة– باستطاعته تغيير أفكارهم في لحظة . على نحو مشابه ، فاكتشاف واحد باستطاعته أن يمحو كل الشكوك حول الخروج أو نهب أريحا او فقط حول أي شيء آخر في الكتاب المقدس . والكشوفات والنظريات الجديدة المتعلقة بالكتاب المقدس تبرز طيلة الوقت . وفي بداية السنة القادمة (١٩٩٦) ، سوف تقدم «مجلة الأركيولوجيا الكتابية» تقريرين حول اثنين من هذه الكشوفات : الأول هو طبعة أخرى لختم باروخ الكاتب ، وهذه مع بصمة على الحافة ربما تكون لباروخ ذاته . الثاني هو تحليل يزعم أنه حدد الموقع الدقيق الذي وضع فيه تابوت العهد («التابوت المفقود») . سيكون ذلك حتماً موضع جدل ؛ فالكاتب يؤكد أنه لابد قد وضع في فجوة مستطيلة تحت قبة الصخرة ، المزار الإسلامي المقدّس على جبل الهيكل .

كل هذه اللقى مفيدة وهامة . لكن مايتوق إليه العلماء فعلاً –مايمكن دعوته بالكأس المقدسة للأركيولوجيا الكتابية– هو أرشيف ملكي من زمن الملك داود او زمن الملك سليمان . مامن أرشيف كهذا وضع يوماً داخل فلسطين ، مع أن الأقطار المحيطة بها قدمت أرشيفات عديدة من الحقبة ذاتها . ويتنهد عموز بن طور ، وهو أركيولوجي من الجامعة العبرية ، قائلاً : «إنه مثل النفط المدهش . في كل مكان إلا هنا» . .

مع ذلك فعلماء عديدون يعتقدون أن الأرشيف موجود ، بل أن بيخال يادين

ظنّ أنه عرف أين هو : في مدينة حاصور القديمة ، في الجليل الأعلى . وقبيل موته ، كان يادين يخطط للقيام بحفريات كبيرة هناك للحصول على ألواح الفخار التي كان متاكداً انها مخبأة تحت سطح الأرض . وقد ورث عنه بن طور ، نصيره ، المشروع . وحتى الآن ، لم يجد بن طور سوى ألواح غير نظامية قليلة . لكن حاصور هي أكبر مدينة كتابية في البلد ، وستحتاج إلى سنوات من الحفر لاستكشافها بالكامل .

حين –وإذا– يحدد بن طور وخلفاؤه موضع الأرشيف ، فإنّ نتيجة ذلك على العلوم الكتابية ستكون عميقة . وعوضاً عن الإتكال على نقوش وشظايا نصف واضحة ، سيتاح للتاريخيين فجأة كمية ضخمة من المعلومات ، مقدمة ليس لدفع الأفكار الدينية نحو الأمام بل لتدوين حوادث علمانية . والدقة التاريخية للكثير من الكتاب المقدس المقدس سوف تسوّى ، بطريقة أو بأخرى ، بضربة واحدة تقريباً .

يؤكد العديد من الأركيولوجيين المحترفين أن هذه المسائل لاتهمهم . يقول وودهد من مدرسة الأركيولوجيا البريطانية : «لايهمني ماإذا كان هنالك داود أو سليمان . مايهمني هو إعادة بناء المجتمع : ماالذي كان يُتاجَر به في الأوعية الفخارية ، ماإذا هذه الأوعية أو محتوياتها كانت عرضة للمتاجرة ، ماإذا الفخار كان من ... لا أتعامل مع الكتاب المقدس إطلاقاً» . بل إنّ أولئك الذين يتعاملون مع الكتاب المقدس يلحّون أن هدفهم هو العلم ، لا النصوص المقدسة. يقول بروشي : «الأركيولوجيا تلقي بالضوء على الكتاب المقدس . وهي لايهمها محاولة إثباته» .

هوامش حول المقالة :

تكمن أهمية المقالة السابقة ، المنشورة في واحدة من أهم المجلات العالمية ، فقط في كونها «يمكن» أن تقدّم للقراء العرب نوعاً من المقاربات إلى الكتب المقدسة ، وأسلوب تعامل القائمين على هذه «الكتب المقدسة» مع تلك المقاربات . رغم كل مايقال ، فإسرائيل تبقى دولة قامت على أساس ديني عنصري ميثولوجي . لكن هذا لم يمنع إعمال العقل في جذور هذا الأساس وذكّه إذا أثبت العلم والعقل أنه قائم على الرمال : دون أن ترتفع دعاوى

التكفير والتخوين ، كما يحدث عادة عند اطراف غير يهودية ، يبدو انها حريصة على التمسك بالميثولوجيا الربانية أكثر من اليهود أنفسهم .

هذه المقالة ، برأينا ، لاتضيف شيئاً إلى المطلعين على علوم الكتاب المقدس ، أركيولوجية كانت ام نقد كتابية أم مقارنية : مقالة تجميعية غير بحثية ولامتعمقة -مقالة «صحيفة» بالمعنى الكامل للكلمة . رغم ماسبق ، ثمة آراء لنا حول المقالة، يمكنها ان تضيف شيئا يفيد البحث :

١ - هذه المقالة متحيزة وبعيدة أحياناً عن روح العلم والموضوعية . فقد بدأت بالحديث عن ذكرى مرور ٣٠٠٠ عام على تأسيس القدس . وقد أسقطنا هذا الكلام من ترجمتنا لأنه غير علمي : لايوجد دليل «غير ميثولوجي» يؤكد ان عمر القدس ثلاثة آلاف عام تحديداً ، ولايوجد دليل «غير الأساطير» يؤكد أن بني إسرائيل هم الذين أسسوا القدس -بل حتى الأساطير العبرانية ذاتها لاتؤكد ذلك . وآثرنا أيضاً ان نسقط الفقرة الأخيرة من المقالة ، التي تحكي دون دليل عن تزايد جموع المؤمنين رغم كل الشكوك التي تتراكم باستمرار على رأس العهد القديم . وهذا الكلام غير دقيق إن لم يكن خاطئاً بالكامل . المقالة متحيزة . وحتى لو حاولت أن تتلوّن بشيء من العلم والموضوعية ، فهي برأينا ، تحاول مستميتة أن تثبت أفكاراً موضوعةً سلفاً .

٢ - في اعتقادنا أيضاً ، كتّاب المقالة ينتمون إلى جماعة «دعاة الحد الاعلى» ، وإن حاولوا أن يظهروا بقالب الحياديين . ويظهر هذا في مايلي :

أ - لم يذكر محررو المقالة أي شيء عن مؤتمر فيلادلفيا ، الذي سيطر عليه الشكوكيون أو «دعاة الحد الأدنى» : فهل سيطر هؤلاء على مؤتمر كهذا من فراغ؟ .

ب - أشار محررو المقالة إلى جون ڤان ستزز من الراديكاليين الشكوكيين بنوع من الاستهزاء غير الموضوعي ، وكيف أعلن «بثقة بابوية» أن أقدم أسفار العهد القديم لم تكتب حتى زمن السبي : لكنهم ، بالمقابل ، لم يقدّموا الأسس العلمية أو الفكرية التي بنى عليها السيد ڤان ستزز نتائجه .

ج - اعتمد محررو المقالة تقديم مجموعة من الكشوفات التي «يفترض» أنها تدعم الدقة التاريخية للكتاب المقدس : لكن المشكلة أنهم قدموها كحقائق

نهائية، خاصة في حالة اكتشاف العالم الفرنسي أندره ليمير، الذي أضاف من عنده كي يصل إلى عبارة «بيت داود».

د ـ ركّز كتاب المقالة على شخص وييغال يادين، للعلم، شخصية صهيونية مسكونة بالأساطير التوراتية ـ وهذا حقه. لكن ليس من حقه، ولا من حق المجلة، تقديم هذه الأساطير وكأنها العلم بذاتها دعماً لبعض الأطروحات الميثولوجية ذات النكهة السياسية.

هـ ـ إذا كان كتاب المقالة يعللون أنفسهم باكتشاف إرشيف سليمان (ـ وسواه ـ) لقلب المسألة رأساً على عقب، فمن حق غيرهم أن يعلل النفس، كما حصل غالباً مع ييغال يادين، بإعادة تفسير للنقوش المكتشفة تحافظ على المسألة في خانة الميثولوجية ـ خاصة وإنه لا سبيل لأي علم، مهما كانت نوعيته، إثبات الحقيقة التاريخية للإصحاحات الأولى من سفر التكوين الميثولوجي الصرفة.

ملحق مقارنات

ما بين

اليهودية والإسلام

الفصل الأول

أفكار تنتمي إلى اليهودية والتي عبرت إلى القرآن

تمتلك الأفكار الجديدة المستعارة من دين إلى دين آخر طابعاً مزدوجاً. إما أنها جديدة جذرياً، وهنالك لا يكون حتى ذلك الوقت في الدين المستعير حتى إنذار بها، بحيث أن المفاهيم بالذات جديدة، وتتطلب وفقاً لذلك كلمات جديدة للتعبير عن ذواتها؛ أو أن تكون الأجزاء المكونة لهذه الأفكار موجودة منذ زمن طويل لكنها ليست بهذا التركيب، الشكل الذي يتم فيه مزج هذه المفاهيم يكون جديداً، ومن ثم فالمنظور الذي ينشأ عن هذا العرض غير العادي يكون جديداً. وعلينا نتيجة لذلك تقسيم هذا الفصل وفقاً لهذه الفروق.

المقطع الأول

مفاهيم مستعارة من اليهودية

بما أن الإيذان بمفاهيم لديانات غير معروفة حتى ذلك الوقت يبدو مميزاً دائماً بإدخال كلمات جديدة للتعبير عنها، وبما أن اليهود في الجزيرة العربية، حتى عندما يكونون قادرين على التحدث باللغة العربية، كانوا يحتفظون لأنفسهم بتسميات حاخامية عبرية لمفاهيمهم الدينية، وهكذا فالكلمات التي من اشتقاقها يتبين أنها ليست عربية بل عبرية، أو من الأفضل القول أيضاً إنها

حاخاميّة، يجب أن تقدّم لإثبات الأصل اليهودي للمفاهيم التي أعرب عنها. ويبدو أنّ المقطع الذي تم اقتباسه للتو عن اللغة الأجنبية التي يتحدّث بها أولئك الذين اتُّهموا بمساعدة محمد في كتابة القرآن إنما يشير إلى استخدام اليهود للغة غير العربية. والهدف من هذا الفصل هو تعداد الكلمات التي عبرت من العبرية الحاخامية إلى القرآن، وهكذا إلى اللغة العربية.

تابوت،[1] النهاية ـوت دليل مؤكد إلى حد ما على أن الكلمة ليست من أصل عربي بل من أصل عبري حاخامي؛[2] لأنّ هذه اللّهجة من العبرية كانت قد تبنت مكان نهايات أخرى هذه النهاية، وهو أمر شائع جداً أيضاً في الكلدانيّة والسريانية بحيث. يمكن لي أن أغامر بالتأكيد أنه لا توجد كلمة عربية نقية تنتهي بهذه الطريقة.[3] تظهر كلمتنا في مقطعين مختلفتين بمعنيين مختلفين: أولاً حيث يقال لأم موسى أن تضع ابنها في تابوت،[4] والمعنى الموجود هنا

(1) تابوت. תיבה. إضافة من المترجم: בגאומטריה של המרחב, תיבה היא פאון תלת-ממדי בן שש פאות, שכולן מלבנים.
אף שצורת התיבה נדירה בטבע, היא נוחה מאוד לשימושים תעשייתיים, למשל משום שאפשר לרצף בה חללים מרחביים בקלות יחסית. לתיבות אריזה, ספרים, חדרים בבניין ובניינים, יש בדרך כלל צורת תיבה.
תיבה היא מקרה פרטי של מקבילון. תיבה שכל פאותיה הן ריבועים נקראת קובייה.

(2) العبرية الحاخامية תיבותא (تيبوتا).

(3) قارن: ملكوت وطاغوت.

(4) القرآن 39:20. قارن תֵּבַת גֹּמֶא. ملاحظة من المترجم: العبارة من سفر الخروج، 3:2: [וְלֹא־יָכְלָה עוֹד הַצְּפִינוֹ וַתִּקַּח־לוֹ תֵּבַת גֹּמֶא וַתַּחְמְרָה בַחֵמָר וּבַזָּפֶת וַתָּשֶׂם בָּהּ אֶת־הַיֶּלֶד וַתָּשֶׂם בַּסּוּף עַל־שְׂפַת הַיְאֹר: وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ أَخَذَتْ لَهُ سَفَطاً مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ.]

عبري بحث[1]؛ ومن هذا نشأ أن تابوت العهد[2] كان يسمى أيضاً بهذا الاسم. وهكذا يتم استخدامه خاصة[3] بمعنى المجيء إلى أمام التابوت في الصلاة. في السورة الثانية[4] نجده مذكوراً كعلامة على الحاكم الشرعي الذي من خلاله سيعود[5] تابوت العهد[6].

التوراة، أو الشريعة.[7] هذه الكلمة مثل المكافئ اليوناني في العهد الجديد تستخدم فقط للوحي اليهودي؛ وعلى الرغم من أن محمداً، الذي يمتلك فقط تقليداً شفوياً، لم يكن قادراً على التمييز على نحو دقيق للغاية، فمن الواضح مع ذلك أنه فهم أسفار موسى الخمسة فحسب تحت هذا الاسم؛[8] لأنه من بين

---

(1) {39} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. مترجم.

(2) ארון في التوراة. ملاحظة من المترجم: من تلك المواقع في التوراة، مثلاً، تث 26:31: «לָקֹחַ אֵת סֵפֶר הַתּוֹרָה הַזֶּה וְשַׂמְתֶּם אֹתוֹ מִצַּד אֲרוֹן בְּרִית־יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם וְהָיָה־שָׁם בְּךָ לְעֵד.
[خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَاةِ هذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِداً عَلَيْكُمْ]

(3) עבר לפני התיבה. قارن مشنا براخوت 4:5. تعليق المترجم: الجملة معناها مر أمام التابوت. من أجل مزيد من المعلومات الليتورجية عن ذلك، راجع: https://archive.org/details/jstor-1451037.

(4) يستخدم العرب عبارة تابوت السكينة بمعنى تابوت العهد أيضاً. Barthélemy d'Herbelot, *Bibliothèque orientale, ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l'Orient*، كلمة أشمويل).

(5) تُعطى صيغة المذكر لهذه الكلمة هنا، وهو ما نجد دليلًا عليه في واقعة أن فيه إنما تشير إليه، الأمر الذي يبدو غريباً، ما لم يكن أن الكلمة القديمة ארון في الذهن ربما، والحرفان النهائيان ـوت كونهما غريبان على اللغة العربية، فليسا إشارة مؤكدة على جنس الكلمة. (ملاحظة المترجم: راجع الهامش 114).

(6) القرآن 249:2.

(7) توراة. תּוֹרָה. βιβλίον.

(8) أكد العرب المتأخرون العكس تماماً يقول أحمد بن عبد الحليم (Maracci in Loc, I, p. 5): فقوله أخبرني بصفة رسول الله في التوراة قد يراد فيه نفس الكتب كلّها وكلّها تسمى توراة؛ ثم يضيف: ولفظ التوراة قد عُرف أنه الكتب؛ يراد جنس الشيء يقرأها أهل الكتاب فيدخل في ذلك الزبور ونبوة إشعيا وسائر النبوات خلا الإنجيل.

أنبياء اليهود بعد الآباء فإنه يعدّ موسى وحده كمشرّع. لأن القسم الأعظم من الشريعة يُذكر في سياق الإنجيل.[1]

جنّة عدن، أو الجنّة.[2] كلمة «عدن» ليست معروفة باللغة العربية بمعنى المتعة أو السعادة، لكن هذا هو المعنى الذي يناسب الكلمة في هذا السياق.[3] في العبرية هذا معنى راديكالي؛ مع ذلك فهذا التفسير، أي جنّة عدن، الذي غالباً ما يرد في الكتاب المقدس، لا يمكن أن يفسر على أنه الفردوس؛ لكن عدن[4] هناك هي بالأحرى اسم علم للمنطقة التي كان يسكنها أوّل أبوين في براءتهم، والجزء الذي كانا يعيشان فيه بالفعل كان حديقة من الأشجار. ومن الطبيعي فقط أن هذه المنطقة الدنيوية من العصر الذهبي يجب أن تمتلك تدريجياً أحجار زاوية حتى تعتبر كفردوس، وبذلك فالكلمة نفسها[5] لم تعد تعني اسم مكان بل تُطلق على حالة من النعيم؛[6] على الرغم من أن اليهود ظلّوا يعتقدون أن عدن مكان أيضاً. ومن الواضح من ترجمة «حدائق المتعة» أن يهود ذلك

لكن هذا لا يغيّر من قناعتنا التي أعربنا عنها للتو.

في كتاب محمد (ص) في الكتب المقدّسة، لسامي العامري، وجدنا ما يلي: ولفظ التوراة، قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يقرّ بها أهل الكتاب، فيدخل في ذلك الزبور، ونبوة أشعياء وسائر النبوات غير الإنجيل. مترجم.

(1) الإنجيل. قارن: القرآن: 2:3، 43، 58، 86؛ 70:5؛ 157:7؛ 112:9؛ 5:62.

(2) جنّات عدن [גן עדן].

(3) يقدّم المفسرّون العرب مروحة كبيرة متنوعة من المعاني لهذه الكلمة، لكنهم لا يعرفون شيئاً عن المعنى الذي نقدّمه نحن فقط لأنه غريب على اللغة العربية. ويبدو أن إلفيرار يحدد المنظور القائل إن أقاما إضافة إلى عدن على أنه يعني الدوامية، لأن الأتقياء سيبقون هناك إلى الأبد.

(4) [עדן].

(5) مثلاً، [עדן].

(6) يستخدمه محمد على هذا النحو في القرآن، 73:9؛ 23:13؛ 33:16؛ 30:18؛ 62:19؛ 78:20؛ 30:35؛ 50:38؛ 8:60؛ 12:61؛ وفي مواضع أخرى يترجم المصطلح بعبارة، جنّات النعيم، مثلاً، 70:5؛ 9:10؛ 55:12؛ 7:31؛ 42:37؛ 34:48؛ يستخدم المصطلح أحياناً بصيغة المفرد أيضاً جنّة النعيم، 85:27؛ وأحياناً دون أداة التعريف، جنّة نعيم، 88:56؛ 38:70.

الزمن لم ينقلوا التسمية عدن إلى اللغة العربية فحسب، بل حملوا إبتمولوجيتها المفترضة أيضاً. نادراً ما يرد الاسم المسيحي الأكثر تميزاً[1] في القرآن، على الرغم من أنه أيضاً ليس غريباً تماماً على اليهوديّة المتأخرة، كما يتضح من قصة الأربعة الذين ذهبوا أحياء إلى الفردوس.[2]

جهنم، أو الجحيم[3]. هذه الكلمة أيضاً، مثل الجنة المقابلة لها، من أصل

---

(1) جنّات الفردوس، Παραδεισος

(2) פרדס فروس: قارن رسالة حاغيغاه التلموديّة، الورقة 14. قارن أيضاً القرآن 18:107؛ 2:11.

بين كثير من التفاسير الخاطئة، يعطي إلفيرا التفسير الصحيح التالي: قال مجاهد هو البستان بالرومية، وقال الزجاج .هو منقول إلى لفظ العربية.

ملاحظة من المترجم: فردوس موجود كلفظ في التوراة، من ذلك: παραδεισον וְאִגֶּרֶת אֶל־אָסָף שֹׁמֵר הַפַּרְדֵּס אֲשֶׁר לַמֶּלֶךְ אֲשֶׁר יִתֶּן־לִי עֵצִים לְקָרוֹת אֶת־שַׁעֲרֵי הַבִּירָה אֲשֶׁר־לַבַּיִת וּלְחוֹמַת הָעִיר וְלַבַּיִת אֲשֶׁר־אָבוֹא אֵלָיו וַיִּתֶּן־לִי הַמֶּלֶךְ כְּיַד־אֱלֹהַי הַטּוֹבָה עָלָי: وَرِسَالَةً إِلَى آسَافَ حَارِسِ فِرْدَوْسِ الْمَلِكِ لِيُعْطِيَنِي أَخْشَاباً لِسَقْفِ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الَّذِي لِلْبَيْتِ وَلِسُورِ الْمَدِينَةِ وَلِلْبَيْتِ الَّذِي أَدْخُلُ إِلَيْهِ)). فَأَعْطَانِي الْمَلِكُ حَسَبَ يَدِ إِلَهِي الصَّالِحَةِ عَلَيَّ. (نح 2:8).

ملاحظة أخرى من المترجم نقلاً عن تفسير البغوي: (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً (106) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً (107))

(ذلك) الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم، ثم ابتدأ فقال: (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي) يعني القرآن (ورسلي هزوا) أي سخرية ومهزوءاً بهم. قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال قتادة: «الفردوس»: ربوة الجنة، وأوسطها وأفضلها وأرفعها. قال كعب: «الفردوس»: هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال مجاهد: هو البستان بالرومية. وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبش. قال الزجاج: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية. وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة الأشجار. وقيل: هي الروضة المستحسنة. وقيل: هي التي تنبت ضروباً من النبات، وجمعه فراديس. (نزلا) قيل أي: منزلاً. وقيل: ما يهيأ للنازل، على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً. ومعنى «كانت لهم» أي: في علم الله قبل أن يخلقوا.

(3) جهنم גיהנם.

يهودي. ووفقاً للمفهوم الأساسي والاستخدام الكتابي فهي أيضاً اسم لمكان، على الرغم من أنه موقع أقل أهمية بكثير من ذلك الذي أعطى اسمه للجنة. لم يكن وادي هنّوم أكثر من بقعة مخصصة لعبادة وثنية ومن اللافت للنظر أن الخوف من الوثنية أوصل إلى استخدام اسمها لتعيين الجحيم. ولا يحتاج إلى دليل أنّ هذه هي التسمية الاعتيادية لها في التلمود، ومن هذه التسمية اشتُقت التسمية (غهنّا) في العهد الجديد. الآن، يمكن التأكيد أن محمداً حصل على هذه الكلمة من المسيحيين؛ ولكن حتى ولو وضعنا جانباً البرهان أنها، مثل الاسم الذي يطلق على الفردوس، يهودية، تظلّ الاحتمالات لصالح أصل يهودي لكلمة الجحيم أيضاً، فشكل الكلمة نفسها يتحدث عن اشتقاقها من اليهودية. ونحن لا نركز على واقعة أن الكلمة الملفوظة بملء النَفَس aspirate، التي هي هيه *he*، التي لا يعبّر عنها في اليونانية، إنما تظهر من جديد في اللغة العربية، لأن هذه الكلمة الملفوظة بملء النفس مع أنه لا يُشار إليها دائماً من قبل علماء النحو في الكتابة، إلا أنها تبدو مسموعة الصوت في الكلام على الدوام. وهذا يصحّ على الكلمات اليونانية الأخرى التي عبرت إلى السريانية.[1] فالحرف ميم الذي نجده في نهاية الكلمة العربية (جهنم)، كونه غير موجود في الكلمة السريانية، إنما يثبت الاشتقاق من الكلمة العبرية، (غيهينوم). والكلمة موجودة في العديد من المواضع في القرآن.[2]

أحبار.[3] هذه الكلمة موجودة في عدة أماكن في القرآن بمعنى المعلم. أقول الآن إن الكلمة[4] العبرية الحقيقية حبر، أي رفيق، اكتسبت في المشنا معنى

(1) مثلاً، συνοδος، أي سندس، وبشكل خاص γεεννα، التي تلفظ بالسريانية، غابنو.
(2) القرآن 201:2؛ 10:3، 196؛ 58:4، 95، 99، 115، 120. الخ!
(3) أحبار، חברים. القرآن 48:5، 68؛ 31:9، 34.
(4) חבר (حبر).

مماثلاً لمعنى كلمة «باروش»؛[1] فقط أن الأخيرة كانت اسماً لطائفة والأولى اسم لحزب ضمن طائفة. الكلمة باروش تعني، إذا ما تكلّمنا بشكل صحيح، الذي هو منفصل، أي من ينسحب بدوافع التقوى، أو الفريسي، وذلك باعتباره متمايزاً عن ذلك الذي يطارد دون تردّد كل ملذات هذه الحياة، أي الصدوقي. وهكذا فبين أولئك الذين انفصلوا نشأ هناك فرقٌ عن الآخرين ليس فقط في العادات الاجتماعية، بل خصوصاً في أنهم اعتمدوا وجهة نظر عقائدية مختلفة، أي الاعتقاد بالتقليد الشفوي. وكانت لديهم أيضاً مبادئ صارمة جداً لتوجيه حياتهم. لكن المسألة لم تعد مجرّد مسألة حرص شديد في الحياة والسلوك، فقد أصبحت مسألة معرفة وتعلّم خاصين، اللذين بطبيعة الحال لم يكن مستطاعاً نقلهما على قدم المساواة لجميع أعضاء هذه الطائفة. ومن ثم فإن هؤلاء الرجال المتعلمين، الذين يمتلك كل منهم بعض المعرفة الخاصة، أصبحوا يتمتعون باحترام عظيم، وبهذه الطريقة فمرة أخرى تمّ تشكيل مجتمع بتمايز ـ معاكس والذي دُعي فيه ما تبقى من الناس في البلاد بالعلمانيين.[2] ومع ذلك، فقد كان يطلق على أفراد هذه الجماعة اسم حبريم،[3]، أي «الزملاء»؛ ومن ثم، فعلى الرغم من أن المعنى ‹معلّم›، إذا ما تكلّمنا بشكل صحيح، ليس في الكلمة ذاتها، مع ذلك فالتطوّر المميز لهذا المجتمع هو السبب للمعنى الجديد للكلمة. إن التبجيل المفرط الذي كان يكنّه اليهود لهؤلاء «الزملاء» هو ما أوصل إلى التأنيب من قبل محمد في المقطعين المشار إليهما أخيراً. وهو أيضاً يوبّخ المسيحيين في الموضعين على حدّ سواء[4] بسبب التقدير الذي كانوا يعاملون به الرهبان. وربما أن هذه

---

(1) פרוש.

(2) עם הארץ، λαϊκος من λαος. ملاحظة من المترجم: في ترجمة التعبير العبري في هامش سابق، قلنا إنه يعني ضمن أمور أخرى «علماني»؛ وهنا الترجمة إلى اليونانية تأخذ هذا المعنى.

(3) חברים.

(4) القرآن 9:31، 4. رهبان.

الكلمة، أي رهبان، ليست مشتقة من رَهِبَ،[1] أي الخوف (ومن ثم الخوف من الله)، بل مثل قسيسون[2]، الكلمة التي ترافقها في سورة 85:5، إنما هي مشتقة عن السريانية، اللغة التي حافظت على تفوقها بين المسيحيين في تلك المناطق؛ ونتيجة لذلك فإن رهبان مشتقة من الكلمة السريانيّة رابهويه، وقسيسون من الكلمة السريانية قيشيشويه.

وهكذا إذن فإن رهبان لا تعني حقاً الرهبان العاديين، الذين يدعون ديره، بل رجال الدين؛ في حين أن قسيس تعني الشيخ، الكاهن، الذي يدعى قشيشو بالسريانية.

دَرَس،[3] وتعني الوصول إلى المعنى العميق للكتاب المقدس من خلال البحث الدقيق والعريض. ويرد ذكر هذا الاستعلام الدؤوب الملتهب في عدة مقاطع.[4] لكن هذا النوع من التفسير، الذي هو غير قانع بقبول المعنى الواضح والمقبول عموماً لمقطع ما، بل الذي يلتمس التلميحات البعيدة ـ هذا (على الرغم من أنه قد يلقي الضوء على الكثير مما هو هام وقيّم، حين يُستخدم بلباقة وبمعرفة بحدود ما هو مفيد في مثل تلك الدراسة) عرضة جداً لأن يفسد ويصبح مجرّد تأكيد على ما هو غير ذي أهمية، بحث عن المعاني حيث لا وجود لها، وعن

---

(1) رهب.

(2) قسيسون.

(3) דרש.

(4) القرآن 73:3؛ 43:34؛ 37:48؛ 168:7؛ بالنسبة للمقطع الأخير يقول إلفيرا: ودرس الكتاب قراءته وتدبيره مرة بعد أخرى.

إضافة من المترجم من تفسير البغوي: ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق، أي: أخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل، وهي تمني المغفرة مع الإصرار، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار، (ودرسوا ما فيه) قرؤوا ما فيه، فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة، ودَرْسُ الكتاب: قراءته وتدبره مرة بعد أخرى، (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

التوضيحات التي هي عرضية بحتة. ومن ثم فقد اكتسبت الكلمة معنى ثانوياً، بمعنى، يبدّد الوقت، يخترع معنى ويقحمه في مقطع ما. قارن التعبير القائم[1] المتداول بين العديد من الذين يسعون[2] إلى معنى أساسي بسيط. الكلمة بهذا النوع من الاستخدام ترد في القرآن، وخاصة في فم معارضي محمد؛ لكن حتى الآن لم يتم الاعتراف بهذه الحقيقة. إن المقطع المساء فهمه على نحو جلي في الآية 105:6 [3] إنما يُفسّر على هذا النحو، وكذلك المقطع في الآية 157:6.[4] المقطع الأول يمكن ترجمته كما يلي: «وكذلك نصرف الآيات، وليقولوا درست، ولنبيّنه لقوم يعلمون»؛[5] أما المقطع الثاني فيترجم على النحو التالي: «أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وإن كنّا عن دراستهم لغافلين»[6]، أي إنهم تركوا الكتب المقدسة لنا وقد أضيف إليها وشوهت بحيث لا يمكننا اتباعها. ومن الملاحظ أن هذه الكلمة، التي هي ليست كلمة عادية في القرآن، إنما تظهر بهذا المعنى فقط في السورة السادسة حيث ترد مرّتين؛ وهذا ما يدل على أنه في وقت تأليف هذه السورة تماماً كانت الكلمة بمعناها الثانوي تستخدم من قبل بعض الناس كنوع من التبكيت لمحمد. علاوة على ذلك، قد تفيد هذه الملاحظة أيضاً في توضيح وحدة هذه السورة.

رباني،[7] أي معلّم. هذه الكلمة الحاخامية على الأرجح تُشكّل عبر إضافة

---

(1) וחדרשת תדרש.

(2) פשטנים.

(3) وليقولوا درستَ.

(4) عن دراستهم.

(5) طبعاً النص منقول عن القرآن مباشرة. مترجم.

(6) الترقيم في النص الأصلي ليس دقيقاً، فهو من سورة الأنعام، الآية 156. النص هنا مأخوذ عن القرآن مباشرة. ترجمة غايغر للجملة الأخيرة من الآية، تقول: «الله أغفلنا منظومة تفسيرهم القسري». - مترجم عربي.

(7) רבן.

اللاحقة (ـان)[1] مثل (ـنو) إلى كلمة «راب»، لتعني من ثم، سيدنا أو معلّمنا. لأنه على الرغم من أن النهاية «ان» «شائعة في العبرية المتأخرة،[2] فإن الكلمة الأضعف «رابي» تظهر أن الشعب مع ذلك لم يتردّد في إضافة لاحقة لكلمة راب، ومن ثم معالجة الناتج الكلّي ككلمة جديدة. ومهما يكن ذلك، ربان هي كلمة قائمة بذاتها الآن، وتقدّم فقط كلقب للمعلمين الأكثر تميزاً. تسير القاعدة الحاخامية على النحو التالي:[3] «أكبر من الرابي (الحاخام) الربان». يبدو وكأنه لقب تشريفي في الآية 73:3،[4] والآيتين 48:5، 68.[5] ومن الواضح أن كلمة رباني ذات معنى أضيق من المعنى الذي لكلمة أحبار الموضحة أعلاه؛ وهذا ما يفسر لماذا ترد رباني قبل أحبار في المقطعين المذكورين أخيراً، حيث يظهر الاثنان على حدّ سواء، وكذلك الإغفال الصارخ لكلمتنا في الموضعين الآخرين حيث ترد أحبار، وحيث يجد محمد خطأً في التبجيل الإلهي المقدّم للمعلمين، واصفاً إياهم بكلمة أكثر عمومية.[6] والحالة هي نفسها مع القسيسين والرهبان. الصنفان على حدّ سواء يذكران مع نوع من الثناء في الآية 85:5، وبنوع من اللوم في الآيتين 31:9، 34، لكن الصنف الأخير يُذكر فقط في سياق الحديث عن أحبار، وبذلك فللرهبان (مثل الأحبار) معنى أوسع؛ وعلاوة على ذلك، بسبب الجمع في مقطع واحد بين الصنفين

---

(1) اللاحقة ־ן مثل ון.
(2) اللاحقة ־ן السريانية، أونو، هي مثل اللاحقة (ـان) العربية.
(3) גדול מרבי רבן.
(4) في النص القرآني، 79:3، نقرأ: «ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون». مترجم.
(5) في النص القرآني، 44:5، نقرأ: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار»؛ ونقرأ: «لولا ينهاهم الربانيون والأحبار» (63:5).
(6) «يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله» (34:9)؛ «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» (31:9). مترجم.

المختلفين عند اليهود والمسيحيين، أي الأحبار والرهبان، (راجع غيرها من أشكال الجمع)، لم تتم محاولة تفريق خاص.

السبت،[1] أي يوم الراحة. استمر إطلاق هذا الاسم على السبت في جميع أنحاء الشرق من قبل المسيحيين وكذلك المسلمين، على الرغم من أنه توقف عن أن يكون يوماً للراحة.[2] في أحد المواضع[3] يبدو محمد وكأنه بالأحرى يحتج على المحافظة على قدسيته. ويعلّق الشهير بن عزرا [1092 ـ 1167؛ إضافة من المترجم] على هذا في تعليقه على نص الخروج 1:16،[4] حيث يقول «في اللغة العربية تسمّى خمسة أيام وفق العدد، اليوم الأول، اليوم الثاني، الخ؛ لكن السادس يُسمّى يوم التجمع[5] لأنه اليوم المقدّس من الأسبوع؛ مع ذلك فالشبات يُدعى السبت من قبل العرب سبت، لأن الشين[6] وسامك [الحرف الخامس عشر في الأبجدية العبرية ـ مترجم] (أي العربية سين[7] التي تُنطق مثل العبرية سامك) تتبادلان المواقع في كتاباتهم. لقد أخذوا الكلمة من إسرائيل».

السكينة[8]، أي حضور الله. في تطور اليهودية، ومن أجل الحماية من تشكيل فكرة بشرية للغاية عن الإله، كان من العادة أن نعزو كلام الله، عندما يرد في الكتاب المقدس، إلى الكلمة المجسدة لله[9]، لأنها كانت تجسد ذلك الانبثاق من

---

(1) שבת.

(2) القرآن 61:2؛ 163:7.

(3) القرآن 125:16.

(4) בלשון ערבי קראו חמשת ימים על דרך המספר ויום ששי אלגומע על שם חבורם כי הוא להם היום הנכבד בשבוע ויום שבת קראו אותו סבת כי השין והסמך מתחלפים בכתיבתם ואלה מישראל למדו.

(5) الجمعة.

(6) ש، شين.

(7) خطأ في النص حيث يقال آن التي لا معنى لها في الأبجدية العربية. مترجم.

(8) سكينة، שכינה.

(9) מימרא דיי. Του θεουλόγος.

الإله الذي وصل في المسيحية إلى تجسّد حقيقي. وبطريقة مماثلة أيضاً عندما يرد في الكتاب المقدس الثابت الباقي، أو سكينة الله، شيء محسوس ينبثق منه يمكن التفكير به. وهذا هو الحال خاصة في مسألة سكن الله في الهيكل؛[1] هذا الانبثاق من الألوهة، إذا ما تبنينا خطاب الغنوصيين، كان يدعى بسبب ذلك الشيكيناه، الراحة. من هذا الاشتقاق جاءت الشيكيناه لتكون كلمة هذا الجانب من العناية الإلهية الذي يسكن، إذا صح القول، بين بني البشر وتمارس تأثيراً غير مرئي بينهم. بالمعنى الأصلي، أي معنى الحضور في الهيكل على تابوت العهد بين الكروبين،[2] نجد الكلمة في الآية 249:2. أما بمعنى التدخل الفعال وتقديم العون الفاعل المرئي فنجدها في الآيتين 26:9، 40؛[3] وفي الآيات 4:48، 18، 26،[4] نجدها بمعنى إتاحة سلام الذهن وفي الوقت نفسه تقديم المعونات

---

(1) וְשָׁכַנְתִּי בְּתוֹכָם [أَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ]؛ خر 8:25؛ قارن تث 12:33، 16.

(2) خر 22:25 إضافة من المترجم: النص هو، וְנוֹעַדְתִּי לְךָ שָׁם וְדִבַּרְתִּי אִתְּךָ מֵעַל הַכַּפֹּרֶת מִבֵּין שְׁנֵי הַכְּרֻבִים אֲשֶׁר עַל־אֲרוֹן הָעֵדֻת אֵת כָּל־אֲשֶׁר אֲצַוֶּה אוֹתְךָ אֶל־בְּנֵי יִשְׂרָאֵל: وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(3) لا يبدو أن المفسّرين العرب يرغبون بالإقرار بهذا المعنى. ففي تفسير إليفرار للآية 26:9 يقول إن الكلمة تعني الأمن والطمأنينة. وفي تفسيره للآية 4:48، يقول على نحو مميز: قال ابن عبّاس كل سكينة في القرآن هي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة. لكن حتى حين لا تعني الطمأنينة السلام الداخلي للذهن، تظل بحاجة إلى عدم استبعاد معنى الأمان الخارجي.
إضافة المترجم من تفسير البغوي: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4)
(هو الذي أنزل السكينة) الطمأنينة والوقار (في قلوب المؤمنين) لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم).

(4) يستخدم إلفيرار التعبير الطمأنينة والوقار لتفسير الآية الرابعة، وتعبير الطمأنينة والرضا لتفسير الآية الثامنة عشرة. بالطريقة ذاتها يقدّم الباحث Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale, ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l'Orient*، ص. 862، للتسمية تفسير المفسرين تسكين الخاطر.

الروحية. ومن اللافت للنظر أن الكلمة تظهر في ثلاث سُوَر فقط، (لكن عدة مرات في الاثنتين المذكورتين أخيراً)، بمعنى مختلف إلى حد ما في كل سُورَة؛ ويبدو هنا مرة أخرى، كما لاحظنا أعلاه في الكلمة درس كما لو أن تأثيراً خارجياً كان يعمل هناك، أي يبدو أن استخدام هذه الكلمة من قبل أشخاص آخرين ترك تأثيره على محمد وقت توليف هذه السُّوَر.

طاغوت[1]، أي الخطأ. على الرغم من أن هذه الكلمة اللطيفة التي تطلق على الوثنية غير موجودة في الكتابات الحاخامية،[2] يبقى أنه يبدو أنّ يهود شبه الجزيرة العربية كانوا يستخدمونها للإشارة إلى عبادة الآلهة الكاذبة، لأنها تظهر في القرآن[3] بهذا المعنى.[4]

فرقان،[5] أي خلاص،[6] فداء. هذه كلمة مهمة جداً، والتي هي كلمة لا تزال

---

(1) طاغوت. טעות.

(2) لكن يجب أن نلاحظ أن كافة أسفار الترغوم تستخدم مراراً وتكراراً هذه الكلمة بصيغة الجمع טעוותא كتسمية للأوثان ذاتها، لكن ليس للوثنية.

(3) القرآن 2:275، 259؛ 4:68؛ 16:38؛ 39:19.

(4) الأوثان كما يفسرّها إلفيرار.

(5) פרקן. فرقان.

(6) يفسرّ ابن سعيد [ربما ابن زيد ـ مترجم] هذه الكلمة بحسب إلفيرار كما يلي: الفرقان النصر على الأعداء.

إضافة من المترجم:

تفسير ابن كثير

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابيهما ولهذا قال: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان)، قال مجاهد: يعني الكتاب، وقال قتادة: التوراة حلالهما وحرامهما وما فرق الله بين الحق والباطل، وقال ابن زيد: يعني النصر، وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والظلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً في القلوب، وهداية وخوفاً، وإنابة وخشية، ولهذا قال: (الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين) أي تذكيراً لهم وعظة، ثم وصفهم فقال: (الذين يخشون ربهم بالغيب)، كقوله: (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب)، وقوله:

{إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير}، {وهم من الساعة مشفقون} أي خائفون وجلون، ثم قال تعالى: {وهذا ذكر مبارك أنزلناه} يعني القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد {أفأنتم له منكرون} أي أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟.

تفسير الجلالين

{ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان} أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام {وضياءً} بها {وذكراً} عظة بها {للمتقين}.

تفسير الطبري

الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان وَضِيَاء وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ}. يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بْن عِمْرَان وَأَخَاهُ هَارُون الْفُرْقَان، يَعْنِي بِهِ الْكِتَاب الَّذِي يُفَرِّق بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل، وَذَلِكَ هُوَ التَّوْرَاة فِي قَوْل بَعْضهمْ; ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 18585 - حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، قَالَ: ثنا عِيسَى; وَحَدَّثَنِي الْحَارِث، قَالَ: ثنا الْحَسَن، قَالَ: ثنا وَرْقَاء جَمِيعًا، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، قَوْله: {الْفُرْقَان} قَالَ. الْكِتَاب. * - حَدَّثَنَا الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: ثني حَجَّاج، عَنْ اِبْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد، مِثْله. 18586 - حَدَّثَنَا بِشْر، قَالَ: ثنا يَزِيد، قَالَ: ثنا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، قَوْله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان} الْفُرْقَان: التَّوْرَاة حَلَالهَا وَحَرَامهَا، وَمَا فَرَّقَ اللَّه بِهِ بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل. وَكَانَ اِبْن زَيْد يَقُول فِي ذَلِكَ مَا: 18587 - حَدَّثَنِي بِهِ يُونُس، قَالَ: أَخْبَرَنَا اِبْن وَهْب، قَالَ: قَالَ اِبْن زَيْد فِي قَوْله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان} قَالَ: الْفُرْقَان: الْحَقّ آتَاهُ اللَّه مُوسَى وَهَارُون، فَرَّقَ بَيْنهمَا وَبَيْن فِرْعَوْن، فَقَضَى بَيْنهمْ بِالْحَقِّ. وَقَرَأَ: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدنَا يَوْم الْفُرْقَان} 8 41 قَالَ. يَوْم بَدْر. قَالَ أَبُو جَعْفَر: وَهَذَا الْقَوْل الَّذِي قَالَهُ اِبْن زَيْد فِي ذَلِكَ أَشْبَه بِظَاهِرِ التَّنْزِيل، وَذَلِكَ لِدُخُولِ الْوَاو فِي الضِّيَاء، وَلَوْ كَانَ الْفُرْقَان هُوَ التَّوْرَاة كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، لَكَانَ التَّنْزِيل: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان ضِيَاء; لِأَنَّ الضِّيَاء الَّذِي آتَى اللَّه مُوسَى وَهَارُون هُوَ التَّوْرَاة الَّتِي أَضَاءَتْ لَهُمَا وَلِمَنْ اِتَّبَعَهُمَا أَمْر دِينهمْ فَبَصَّرَهُمْ الْحَلَال وَالْحَرَام، وَلَمْ يَقْصِد بِذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِع ضِيَاء الْإِبْصَار. وَفِي دُخُول الْوَاو فِي ذَلِكَ دَلِيل عَلَى أَنَّ الْفُرْقَان غَيْر التَّوْرَاة الَّتِي هِيَ ضِيَاء. فَإِنْ قَالَ قَائِل: وَمَا يُنْكَر أَنْ يَكُون الضِّيَاء مِنْ نَعْت الْفُرْقَان، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ وَاو فَيَكُون مَعْنَاهُ: وَضِيَاء آتَيْنَاهُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ {بِزِينَةٍ الْكَوَاكِب وَحِفْظًا} 37 6: 7 قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْكَلَام يَحْتَمِلهُ، فَإِنَّ الْأَغْلَب مِنْ مَعَانِيه مَا قُلْنَا. وَالْوَاجِب أَنْ يُوَجَّه مَعَانِي كَلَام اللَّه إِلَى الْأَغْلَب الْأَشْهَر مِنْ وُجُوههَا الْمَعْرُوفَة عِنْد الْعَرَب مَا لَمْ يَكُنْ بِخِلَافِ ذَلِكَ مَا يَجِب التَّسْلِيم لَهُ مِنْ حُجَّة خَبَر أَوْ عَقْل. الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان وَضِيَاء وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ}. يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بْن عِمْرَان وَأَخَاهُ هَارُون الْفُرْقَان، يَعْنِي بِهِ الْكِتَاب الَّذِي يُفَرِّق بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل. وَذَلِكَ هُوَ التَّوْرَاة فِي قَوْل بَعْضهمْ; ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 18585 - حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، قَالَ: ثنا عِيسَى; وَحَدَّثَنِي الْحَارِث، قَالَ: ثنا الْحَسَن، قَالَ: ثنا وَرْقَاء جَمِيعًا، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، قَوْله: {الْفُرْقَان} قَالَ. الْكِتَاب. * - حَدَّثَنَا

الْقَاسِمِ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثني حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، مِثْلَهُ. 18586 ـ حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ} الْفُرْقَانُ: التَّوْرَاةُ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا، وَمَا فَرَّقَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا: 18587 ـ حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ} قَالَ: الْفُرْقَانُ: الْحَقُّ آتَاهُ اللَّهُ مُوسَى وَهَارُونَ، فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ. وَقَرَأَ: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ} 8 41 قَالَ. يَوْمَ بَدْرٍ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَذَلِكَ لِدُخُولِ الْوَاوِ فِي الضِّيَاءِ، وَلَوْ كَانَ الْفُرْقَانُ هُوَ التَّوْرَاةُ كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، لَكَانَ التَّنْزِيلُ: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً؛ لِأَنَّ الضِّيَاءَ الَّذِي آتَى اللَّهُ مُوسَى وَهَارُونَ هُوَ التَّوْرَاةُ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهُمَا وَلِمَنِ اتَّبَعَهُمَا أَمْرَ دِينِهِمْ فَبَصَّرَهُمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ضِيَاءَ الْإِبْصَارِ. وَفِي دُخُولِ الْوَاوِ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْفُرْقَانَ غَيْرُ التَّوْرَاةِ الَّتِي هِيَ ضِيَاءٌ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ الضِّيَاءُ مِنْ نَعْتِ الْفُرْقَانِ، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ وَاوٌ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: وَضِيَاءً آتَيْنَاهُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ {بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا} 37 6: 7 قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ يَحْتَمِلُهُ، فَإِنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعَانِيهِ مَا قُلْنَا. وَالْوَاجِبُ أَنْ يُوَجَّهَ مَعَانِيَ كَلَامِ اللَّهِ إِلَى الْأَغْلَبِ الْأَشْهَرِ مِنْ وُجُوهِهَا الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ مَا لَمْ يَكُنْ بِخِلَافِ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ مِنْ حُجَّةِ خَبَرٍ أَوْ عَقْلٍ. وَقَوْلُهُ: {وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} يَقُولُ: وَتَذْكِيرًا لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ بِطَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ اجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، ذَكَّرَهُمْ بِمَا آتَى مُوسَى وَهَارُونَ مِنَ التَّوْرَاةِ.وَقَوْلُهُ: {وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} يَقُولُ: وَتَذْكِيرًا لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ بِطَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ اجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، ذَكَّرَهُمْ بِمَا آتَى مُوسَى وَهَارُونَ مِنَ التَّوْرَاةِ،

تفسير القرطبي

قوله تعالى {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء} وحكي عن ابن عباس وعكرمة {الفرقان ضياء} بغير واو على الحال. وزعم الفراء أن حذف الواو والمجيء بها واحد، كما قال عز وجل {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا} [الصافات: 6 ـ 7] أي حفظا. ورد عليه هذا القول الزجاج. قال: لأن الواو تجيء لمعنى فلا تزاد قال: وتفسير [الفرقان] التوراة؛ لأن فيها الفرق بين الحرام والحلال. قال {وضياء} مثل {فيه هدى ونور} وقال ابن زيد [الفرقان] هنا هو النصر على الأعداء؛ دليله قوله تعالى {وما أنزلنا على عبد نا يوم الفرقان} [الأنفال: 41]

تفسير البغوي: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين (48) الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون (49) وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون (50) ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين (51))

قوله عز وجل: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: (وما أنزلنا على عبد نا يوم الفرقان) (الأنفال: 41)، يعني يوم بدر، لأنه قال (وضياء) أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء وهو التوراة.

برأيي يساء فهمها حتى الآن تماماً. بالمعنى الأولي نجدها ترد في السورة الثامنة: «يا أيها الذين آمنوا، إن تتقوا الله، يجعل لكم فرقاناً،[1] إلخ». يقدم إلفيرار خمسة تفسيرات مختلفة لهذه الآية، كلها غير مناسبة مثلها مثل ترجمة فابي Wabi والمقطع يبدو بالنسبة لي كلاسيكياً حقاً بالنسبة للمعنى الأولي للكلمة. وهذا المعنى يظهر أيضاً في الآية 42:8، حيث يسّمى يوم انتصار بدر يوم الفرقان،[2] وفي الآية 181:2، يُطلق هذا الاسم على شهر رمضان كشهر الفرقان والخلاص من الخطيئة. يبتعد محمد تماماً عن الأفكار اليهودية، هادفاً إلى تأسيس دينه كدين للعالم بشكل عام، ثم يمضي بإدانة العصور السابقة كلّها داعياً إياها أزمنة الجاهليّة.[3]. لقد أعلن أن عقيدته أوحيت عبر رسل الله منذ أقدم العصور، وأنها جُدّدت ووُضِعت من قبله هو ذاته في صيغة أوضح وأكثر إقناعاً ليس إلا. ومن ثم فإن حالة أي إنسان خارج إيمانه يجب أن تبدو له خاطئة، وقد ظهر الوحي الإلهي الذي مُنح له ولأتباعه في ضوء الخلاص من تلك الحياة الخاطئة التي لم يكن ممكناً أن توصل إلا إلى العقاب؛ ومن ثم فهو يدعو الوحي ذاته في العديد من المواضع بالفرقان، مثلما يدعوه في مواضع

ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: (وضياء) زائدة مقحمة، معناه: آتيناه التوراة ضياء، وقيل: هو صفة أخرى للتوراة، (وذكراً) تذكيراً، (للمتقين (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه، (وهم من الساعة مشفقون) خائفون. (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به، مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير، (أفأنتم) يا أهل مكة، (له منكرون) جاحدون وهذا استفهام توبيخ وتعيير. قوله عز وجل: (ولقد آتينا إبراهيم رشده) قال القرطبي: أي: صلاحه، (من قبل) أي: من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رشده، أي: هداه «من قبله أي: من قبل البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: (وآتيناه الحكم صبيّاً) (مريم: 12)، (وكنا به عالمين) أنه أهل للهداية والنبوة.

(1) القرآن 20:8، يجعل لكم فرقاناً.

(2) يوم الفرقان.

(3) جاهلية.

كثيرة رحمة.[1] في بعض المقاطع يطبّق المصطلح على القرآن،[2] وفي مقاطع أخرى على الوحي الموسوي.[3]

بهذه الطريقة فإنّ جميع المقاطع تناسب في إطار الدلالة الأولية للكلمة. وما من حاجة لتضمين معنى مختلف لكل منها.

ماعون،[4] أي ملجأ. هذه الكلمة تحمل انطباعاً أجنبياً للغاية، وهي تُفسّر من قبل المفسرين العرب في مجموعة متنوعة من الطرق. وغوليوس يتبعهم، فارضاً المعاني الأكثر تنوعاً عليها. إنها تظهر في الآية 7:107، حيث تبدو لي أنها تعني ملجأ ـ «يمنعون الماعون»، أي لا يقدّمون مأوى لأولئك الذين يطلبون المساعدة. في وقت لاحق يبدو أن الكلمة صارت تعتبر على أنها مشتقة من عان[5] (بالتأكيد ليست من مَعَنَ التي يشير إليها غليوس)، ومن ثم اكتسبت معنى الصدقات المعينة.

مثاني،[6]، أي تكرار. كان هنالك الكثير من الحيرة حول هذه الكلمة، وذلك أساساً لأنها اعتبرت كلمة عربية ولم يتم إرجاعها إلى مصدرها. ومع النمو التدريجي لتعاليم أخرى، أي التقليد،[7] بجانب تلك الواردة في الكتاب المقدس، انقسمت المجموعة الكلّية إلى قسمين،[8] التعاليم المكتوبة، وهو ما يعني العهد القديم، والتعاليم بكلمة الفم، أو التقليد. وحين يشغل المرء ذاته بالأولى

---

(1) رحمة.
(2) القرآن 2:3؛ 25، العنوان والآية الأولى.
(3) القرآن 2-50؛ 49:21.
(4) מעון. ماعون.
(5) عان ليست من معن.
(6) משנה. مثاني
(7) قارن تحت عنوان أخبار.
(8) תורה שבכתב ותורה שבעל פה.

فإن ذلك كان يُدعى «يقرأ»؛[1] أما أن يشغل ذاته بالثانية فإن ذلك كان يُدعى «يقول».[2] في الغمارا الكلدانية فإن الكلمة الأخيرة تعني أن يتكلّم بعد، أن يعيد كلمات المعلم بعده. بطريقة مماثلة فإن كلمة تنّاه[3] كانت تُستخدم حصرياً في الموسيقى الكورالية، التي تكرّر فيها الجوقة الآيات خلف قائد جوقة المرتلين. وهكذا فالتعليم عن طريق كلمة الفم كانت تُسمّى مشناه،[4] وكذلك أيضاً مجموعة التعاليم الشفوية ـ التقليد ككل؛ وبعد ذلك عندما كُتب كل هذا حمل الكتاب الاسم ذاته. مع ذلك، نقول الآن إن خطأً اشتقاقياً قام بالتسلل واشتق هذه الكلمة من شاناه بمعناها العبري الحقيقي، أي «يكرّر»، ومن ثم تطبيقها على تكرار التعليم المكتوب.[5] يظهر خطأ هذا التفسير في كل من استخدام الكلمة وتصريفها على حدّ سواء.[6] مع ذلك يبدو أنها قُبِلت من قبل اليهود الرومان، ومن ثم نجد أن المشناه تُدعى في المنظومة التشريعية ليوستنيانس بالتحرير الثاني secunda editio.[7] الشيء نفسه حدث في حالة اليهود العرب، وهكذا نحصل على كلمتنا ماساني. ومحمد الذي يضع كتابه في مكان التعليم اليهودي كله لا يدعوه فقط بالقرآن (مقرا) بل أيضاً ماساني.[8]

ملكوت،[9] أي حكم. يتم استخدام هذه الكلمة فقط على حكم الله، الذي في

---

(1) קרא.

(2) שנה مرتبطة مع الكلمة الشعرية תנה والكلمة السريانية تانو.

(3) תנה.

(4) משנה.

(5) משנה תורה.

(6) משנה مركّبة، وليس משנה.

(7) δευτέρωσις.

(8) القرآن 15:87؛ 39:24.

(9) מלכות.

سياقه تظهر أيضاً دونما تبديل في الكتابات الحاخامية.[1] إنها ترد في عدة مقاطع من القرآن.[2] من هذا الاستخدام الضيق للكلمة، ومن اشتقاق مزيف من ملاك، أو ملك[3] (الكلمة التي تأتي من جذر مختلف تماماً، والتي في اللغة العربية لديها معنى رسول الله فقط) صارت تطلق على عالم الأرواح.[4]

---

(1) מלכות שמים [ملكوت السماء]. η βασιλεια των ουρανων [راجع متى 2:3 ـ مترجم].

(2) القرآن 75:6؛ 184:7؛ 90:23؛ 83:226.

(3) (מלאך). ملك أو ملاك.

(4) قارن كلمتي عالم الملكوت في عمل البروفيسور فرايتاغ، فاكهة الخلفاء، 85. 3.

إضافة من المترجم: النص من فاكهة الخلفاء: قال العفريت فائدة العقل، (قال الحكيم) فائدته الإرشاد في بيداء الجهالة إلى جادة الرشاد والإعانة في الشدائد والوقوع في مصايد المكايد وحصول الخلاص من شرك الاقتناص وإجابة الإغاثة عند الاستعانة والاستغاثة ومد المعونة إذا انكسرت من الجهل السفينة في بحر الملامة والخلاص إلى بر السلامة والإغناء من كنز السعادة والصبر عند استيلاء نوائب الفقر. قال فمن العاقل في العالم ومن يطلق عليه هذا الاسم من بني آدم قال العالم: العاقل من يحتمل إذا ضيم ومن هو في الغضب حليم فإذا أعطي شكر وإذا منع صبر ويعفو إذا قدر ويستهين بأمور الدنيا ولا يغفل عن أمور الآخرة (قال العفريت) ما الفائدة في حب الدنيا والرغبة إلى ما فيها من الأشياء ولأي معنى غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على أهلها وبنيها (قال العالم) لأجل قيام العالم وانتظامه على المنهج الأقوم وبقائه المطلوب إلى الأجل المضروب الذي قدره موجده القديم الذي أنشأه أول مرة وهو بكل خلق عليم ولابد من أن تتم كلمته وتنفذ مشيئته ولولا الحرص والأمل لبطل العلم والعمل فإنهما لحجاب الغفلة يغشيان أعين البصائر ويغطيان طرق الاستدلال والضمائر فلذلك ذهلت العقول عن التأمل في العواقب واشتغلت بالتهائها عما يجب عليها أن تراقب ولولا طول الأمل لما رجي العمل ولما انتظم أمر المعاش ولا اهتم لادخار قوت ورياش ولا افتكر صاحب اليوم في أحوال غد ولارتفعت المعاملات وما داين أحد ولا زرع زارع ولا غرس غارس ولا بنى بان ولا اخضر يابس ولانقرض إذ ذاك نظم العالم وبانقراضه تنقرض أمور بني آدم (قال العفريت) أخبرني عن أصل الإنسان ومم جوهره جوهر الملك والجان (قال) الشيخ أما جوهر الملك فمن العقل المحض براه رب السماوات والأرض ولذلك لا يصدر من الملائكة إلا الشيم المباركة من الطاعات لمولاهم والانقياد لأوامر من أنشاهم وامتثال ما أمر من أمر مروم وما منا إلا له مقام معلوم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأما جوهر الجان وأصلك يا أخس شيطان فمن الأخلاق الذميمة والصفات المشومة، فلهذا لا يوجد منكم إلا المكر والبيلسة والشيطنة والوسوسة، وأنجس بصفاتكم من صفة ولم يكن بينكم وبين الحق معرفة فأنتم يا أنحس بغيض وأنجس نهيض مع الملائكة في طرفي نقيض، وأما جوهر الإنسان

هذه الكلمات الأربع عشرة، التي هي مستمدة بوضوح من العبرية المتأخرة، أو العبرية الحاخامية، تظهر المفاهيم الدينية الهامة جداً التي عبرت من اليهودية إلى الإسلام، ـ أي فكرة التوجيه الإلهي، السكينة، الملكوت؛[1] الوحي، الفرقان، المساني؛ المحاكمة بعد الموت، جنّة عدن، وجهنم، إضافة إلى غيرها التي ستقدّم على أنها خاصة باليهودية.

فما اشتملت عليه صفتا الملك والجان. فمن غلب عقله شهوته ألبس من مكارم الشيم خلعته واضمحلت ظلمات نفسه في أنواع الطاعة وتجلت صفات ذاته من سنن الأبرار في جماعة وخط رسم اسمها قلم الكرام الكاتبين، كلا إن كتاب أبرار لفي عليين وما أدرك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون، فهو وإن كان بجسماته مع الأنس له حضور وأنس لكن بسره في عالم الملكوت حضرة القدس فهو بصفاته المباركة أشرف من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله واستولت على قلبه حجب الغفلة فانغمس في بحر الشهوات واستحوذتم أنتم عليه بذميم الصفات وأشقاه القدر السابق ولم يعقكم عن التصرف فيه عائق فهو بالنهار ساه وبالليل لاه استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون فهو أخسر من أرذل الحيوانات وأدنى من أدك الجمادات فقد خاب مآباً وتعس انقلاباً ويقول يوم القيامة يا ليتني كنت تراباً (قال الراوي) فلما انتهى الكلام إلى هذا المقام أمسك العفريت عنانه وأخرس الله لسانه وظهر فضل الزاهد وعلمه ووفور حكمه وفهمه وإنه أصاب فيما أجاب ولزم العفريت ومن معه من الجن والعفاريت وطوائف المردة والشياطين والعندة المتمردين وذوي الإبلاس والوسواس الخناس ما شرطوه على أنفسهم من التخفي وعدم الظهور والتفرق في الخرائب والكفور فتفرقوا واختفوا مصلمين ومجدعين انتفوا وسكنوا الخرائب والحمامات والحانات والخانات فلم يظهروا بعد ذلك للأنس وحصل منهم بذلك للأنس الأنس واستراحوا من مشاهدة طلعتهم القبيحة واستمرت إلى يوم القيامة من تلك القبائح مستريحة. وهذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(1) سكينة ملكوت. حضور الله الهادي،
فرقان مثاني، الوحي
جنات عدن جهنم، يوم الحساب بعد الموت.

المقطع الثاني

آراء مستعارة من اليهودية

في حين أننا في القسم السابق كنا قانعين أن نعتبر أنه من المؤكد أن مفهوماً ما كان مشتق من اليهودية، إذا كانت الكلمة التي تعبر عن هذا المفهوم أمكن إظهار أنها من أصل يهودي، علينا أن ننتقل الآن من هذا الأسلوب من الحكم وأن نعتمد اختباراً جديداً. علينا أن نبحث أولاً بالتفصيل أن الفكرة المعنية إنما تنبع من جذور يهودية؛ وكي نصل إلى اليقين علينا أن نؤكّد أن الفكرة تنسجم مع روح اليهودية، وأنه دون اليهودية فإن المفهوم يضيع في الأهمية والقيمة، وأنه في الواقع مجرّد فرع من شجرة كبيرة. ويمكن أن يُضاف إلى هذه الحجة الاعتراض، الذي أشير إليه في القرآن نفسه، والذي قابله هذا الطعم [النبتة المطعمة] عند كل من العرب والمسيحيين. من أجل ترتيب أفضل لهذه الآراء علينا تقسيمها إلى ثلاث مجموعات: أ. مسائل العقيدة أو الآراء العقائدية، ب. القواعد الأخلاقية القانونية، وجـ آراء الحياة.

الآراء العقائدية

علينا هنا أن نضع حداً متميزاً لأنفسنا، فمن جهة، لا يجوز لنا أن ننزلق بعيداً إلى عمل لا نهاية له، ونحاول أن نشرح القرآن كله؛ ومن جهة أخرى لا يجوز لنا أن ننصرف إلى موضوع آخر تماماً ونحاول شرح لاهوت القرآن: محاولة بدأت بنجاح كبير في مجلة توبنغن للاهوت الإنجيلي، 1881، الكتاب الثالث. علاوة على ذلك، فإن بعض نقاط الاعتقاد العامة مشتركة بين البشرية جمعاء بحيث أن وجود أي منها في أحد الأديان لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه إثبات للاستعارة من ديانة أخرى. من جديد نقول إن وجهات نظر أخرى معروفة جداً وقد تم العمل عليها بشكل كامل بحيث لا نحتاج إلى مناقشتها بالتفصيل، لكننا نجد أن مجرد ذكرها

كاف. ومن هذه النوعية فكرة وحدانية الله، المذهب الأساسي لإسرائيل والإسلام. وفي زمن صعود الأخير، كان هذا الرأي موجوداً في اليهودية وحدها،[1] ولا بدّ أن محمداً كان قد استعاره من ذلك الدين. ويمكن اعتبار هذا مبرهناً دون أي عرض لا لزوم له للتعاليم حول هذه النقطة. إن فكرة الثواب والعقاب المستقبليين أمر شائع بين جميع الأديان، إلا أن الاعتقاد بها يكون بطرق مختلفة كثيرة بحيث نجد أنفسنا مضطرين للنظر فيها في حججنا. لقد عبرت نقاط الإيمان الرئيسة أيضاً من اليهودية إلى المسيحية. ولنقرّر ما إذا كانت هذه النقاط كما تم تبنيها في القرآن إنما جاءت من اليهود أو من المسيحيين، لا بدّ أن نوجه اهتمامنا الخاص إلى مقارنة بين الأشكال التي يُؤمن بها بالمعتقدات في كل من هاتين الديانتين، والشكل الذي يتم تقديمها لنا به من قبل محمد. وهذا للرد على الاعتراض القائل، إنه في ما يلي من النقاش لا نجد سوى القليل جداً عن العقائد الكبيرة، لأنه حتى تعدادهم غريب على هدفنا.

كل دين والذي يتصور الله باعتباره عناية عاملة فاعلة لا بدّ له من امتلاك بعض التعاليم المتمايزة المتعلقة بالخلق، ومحمد يقدّم هذا وفقاً للتوارة، أي أن الله خلق السماء والأرض وكل ما بينهما في ستة أيام؛[2] على الرغم من أنه في موضع آخر يحيد إلى حد ما عمّا سبق ويقول إن الأرض خُلقت في غضون يومين، الجبال والأعشاب الخضراء في أربعة أيام، والسماء مع كل أقسامها في يومين إضافيين.[3] وعلى الرغم من أن هذا المقطع ليس سوى نزوة شعرية عابرة، يظل يبدي كم كانت معرفة محمد بالتوراة ضئيلة، حيث أنه لم يكن على بينة من شيء سوى الحقيقة العامة القائلة إن الخلق كان قد حدث في ستة أيام، وإنه

(1) تعلّم المسيحية أيضاً أن الله واحد.

(2) القرآن 13:10؛ 9:11؛ 37:50؛ 4:57.

(3) القرآن 8:41 ـ 11.

لم تكن لديه أدنى معرفة بالعمل المنفصل لكل يوم. وقد لاحظنا للتو أنه يدعو اليوم السابع سبتاً، لكنه لا يقرّ بقدسيته. يبقى أن يضاف هنا أن محمداً يبدو وكأنه يلمّح إلى الاعتقاد اليهودي بأن الله استراح في اليوم السابع ويرفض هذا الاعتقاد.[1] لقد اعتقد بوضوح أن ضرورة الراحة بعد العمل الشاق كانت ضمنية، لأنه بعد أن ذكر الخلق باعتباره حدث في غضون ستة أيام، يضيف «وما مسّنا من لغوب».[2] وعلى هذا يعلّق جلال الدين كما يلي[3]: «نزل رداً على اليهود في قولهم إن الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه». والشيء نفسه نجده في تفسير ألفيرار[4] لكنه لم يتم التعبير عنه بمثل هذا الوضوح.

---

(1) القرآن 37:50.

(2) 203) {38} وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ
وَاللُّغُوب التَّعَب وَالْإِعْيَاء. تَقُول مِنْهُ: لَغَبَ يَلْغُب بِالضَّمِّ لُغُوبًا. وَلَغِبَ بِالْكَسْرِ يَلْغَب لُغُوبًا لُغَة ضَعِيفَة فِيهِ. وَأَلْغَبْته أَنَا أَيْ أَنْصَبْته. قَالَ قَتَادَة وَالْكَلْبِيّ: هَذِهِ الْآيَة نَزَلَتْ فِي يَهُود الْمَدِينَة زَعَمُوا أَنَّ اللَّه تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض فِي سِتَّة أَيَّام، أَوَّلهَا يَوْم الْأَحَد وَآخِرهَا يَوْم الْجُمُعَة، وَاسْتَرَاحَ يَوْم السَّبْت؛ فَجَعَلُوهُ رَاحَة، فَأَكْذَبَهُمْ اللَّه تَعَالَى فِي ذَلِكَ.(سورة ق). مترجم.

(3) Maracci: نزل رداً على اليهود في قولهم إن الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه.
إضافة من المترجم: في تفسير الجلالين نقرأ:
{38} وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ
«وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَيْنهمَا فِي سِتَّة أَيَّام» أَوَّلهَا الْأَحَد وَآخِرهَا الْجُمُعَة «وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب» (تَعَب) نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُود فِي قَوْلهمْ: إِنَّ اللَّه اسْتَرَاحَ يَوْم السَّبْت وَانْتِفَاء التَّعَب عَنْهُ لِتَنَزُّهِهِ تَعَالَى عَنْ صِفَات الْمَخْلُوقِينَ وَلِعَدَمِ الْمُمَاسَّة بَيْنه وَبَيْن غَيْره «إِنَّمَا أَمْره إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُول لَهُ كُنْ فَيَكُون».

(4) المعني هنا تفسير البغوي؛ ومنه نقرأ: (الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (35) والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (36) وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (37)).
(الذي أحلّنا) أنزلنا (دار المقامة) أي: الإقامة (من فضله لا يمسنا فيها نصب) أي: لا يصيبنا فيها عناء ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) إعياء من التعب. قوله تعالى: (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أي: لا يهلكون فيستريحوا كقوله ـ عز وجل ـ : «فوكزه موسى فقضى عليه» (الشعراء ـ 15)، أي: قتله. وقيل: لا يقضي عليهم الموت فيموتوا، كقوله: «ونادوا يا مالك

فكرة العديد من السماوات، والتي يشار إليها في التعبير الكتابي «سماء السماوات»[1] وصلت إلى محمد ربما من اليهود، وأيضاً فكرة أنها سبع عدداً، فكرة تعود إلى الأسماء المختلفة التي تُطلق على السماء. في رسالة الحغيغاه[2] التلمودية نجد التأكيد أن هنالك سبع سماوات، ومن ثم تُطلق الأسماء عليها. وكل هذه الأسماء ترد في الكتاب المقدس باستثناء الأول، أي فيلون، من فيلوم اللاتينية.[3] وهذا الاسم الذي يقارن السماء بستارة، التي تحجب مجد الله، هو اسم مهم جداً

ليقض علينا ربك» (الزخرف ـ 77)، أي: ليقض علينا الموت فنستريح (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب النار (كذلك نجزي كل كفور) كافر، قرأ أبو عمرو: «يجزى» بالياء وضمها وفتح الزاي «كل» رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي «كل» نصب. (وهم يصطرخون) يستغيثون ويصيحون (فيها) وهو: يفتعلون، من الصراخ، وهو الصياح، يقولون: (ربنا أخرجنا) منها: من النار (نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم توبيخاً: [ص: 425] (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قيل: هو البلوغ. وقال عطاء وقتادة والكلبي: ثمان عشرة سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن عباس: ستون سنة، يروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم. ـ مترجم.

(1) שמי שמים [سماء السموات].

(2) يقدّم غايغر نصّاً من رسالة حغيغاه التلمودية؛ وقد آثرنا أن نقدّم النص كاملاً: من آراء التلمود في هذا السياق، ما تقوله حاغيغاه (12 ب): ר' לוי אמר שבעה، ואלהן: וילון، רקיע، שחקים، זבול، מעון، מכון، ערבות. וילון אינו משמש כלום، אלא נכנס שחרית ויוצא ערבית ומחדש בכל יום מעשה בראשית... רקיע שבו חמה ולבנה، כוכבים ומזלות קבועים... שחקים שבו רחיים עומדות וטוחנות מן לצדיקים... זבול שבו ירושלים ובית... ומעון שבו כתות של מלאכי השרת שאומרות שירה... ערבות... שם אפנים ושרפים וחיות הקדש ומלאכי השרת וכסא הכבוד. מלך אל חי רם ונשא שוכן עליהם בערבות. قال ر ليفي: توجد سبع (سموات)، وهذه [السموات] هي: فيلون (= فيلوم)، رقعيا، شحقيم، زبول، معون، مكون، عربوت. لا تفيد فيلون في شيء، فهي تدخل في الصباح وتخرج في المساء وتجدّد كل يوم عمل الخلق... في رقعيا تُثبت الشمس، القمر، النجوم والكواكب... في شحقيم توجد الطواحين التي تطحن المن للأبرار... في معون توجد مجموعات الملائكة الخدم، الذين يسبّحون بحمد الله في الليل... في عربوت يوجد الأوفانيم، السرافيم والأرواح المقدسة والملائكة الخدم والعرش الإلهي، أما في عربوت فيجلس الملك القدير الجليل على العرش. مترجم.

(3) וילון.

في التلمود[1]. غالباً ما يتحدّث محمد عن السماوات السبع،[2] وفي أحد المقاطع يدعو السماوات «سبع شداد»[3] وفي مقطع آخر «سبع طرائق»[4] والتعبير الأخير يرد أيضاً في التلمود.[5] مع ذلك، فأثناء الخلق، كان عرش الله على المياه.[6] وهذه الفكرة مستعارة أيضاً من اليهود، الذين يقولون:[7] «وقف عرش المجد عندئذٍ في الهواء، ثم حام فوق المياه بأمر من الله». وقد عبّر إلفيرار عن هذا على نحو أوضح إلى حد ما حيث يقول: «وكان هذا الماء[8] في وسط الهواء».[9]

---

(1) قارن المدراش على المزامير، نهاية المزمور 11.

(2) سبع السموات أو السموات السبع. القرآن 27:2؛ 46:17؛ 11:41؛ 12:45؛ 3:47؛ 14:71.

(3) القرآن 12:78.

(4) القرآن 17:23.

(5) שבילי דרקיע.

(6) القرآن 9:11: كان عرشه على الماء.

(7) راشي على تكوين 2:1: «כסא הכבוד עומד באויר ומרחף על פני המים ברוח פיו של הקב"ה»: «عرش العظمة يقف في الفضاء ويتعلق على المياه عبر نَفَس الإله». ـ مترجم. قارن العرش العظيم، القرآن 88:23؛ 26:27 العرش الكريم، القرآن 117:23: العرش المجيد، القرآن 15:85، مع כסא כבוד [كرسي المجد].

(8) يقول القرطبي: {7} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ بَيَّنَ أَنَّ خَلْق الْعَرْش وَالْمَاء قَبْل خَلْق الْأَرْض وَالسَّمَاء. قَالَ كَعْب: خَلَقَ اللَّه يَاقُوتَة خَضْرَاء فَنَظَرَ إِلَيْهَا بِالْهَيْبَةِ فَصَارَتْ مَاء يَرْتَعِد مِنْ مَخَافَة اللَّه تَعَالَى ; فَلِذَلِكَ يَرْتَعِد الْمَاء إِلَى الْآن وَإِنْ كَانَ سَاكِنًا، ثُمَّ خَلَقَ الرِّيح فَجَعَلَ الْمَاء عَلَى مَتْنهَا، ثُمَّ وَضَعَ الْعَرْش عَلَى الْمَاء. وَقَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس: إِنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: «وَكَانَ عَرْشه عَلَى الْمَاء» فَقَالَ: عَلَى أَيّ شَيْء كَانَ الْمَاء؟ قَالَ: عَلَى مَتْن الرِّيح. وَرَوَى الْبُخَارِيّ عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن، قَالَ: كُنْت عِنْد النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْم مِنْ بَنِي تَمِيم فَقَالَ: (اِقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيم) قَالُوا: بَشَّرْتنَا فَأَعْطِنَا [مَرَّتَيْنِ] فَدَخَلَ نَاس مِنْ أَهْل الْيَمَن فَقَالَ: (اِقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْل الْيَمَن إِذْ لَمْ يَقْبَلهَا بَنُو تَمِيم) قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَا لِنَتَفَقَّه فِي الدِّين، وَلِنَسْأَلك عَنْ هَذَا الْأَمْر مَا كَانَ؟ قَالَ: (كَانَ اللَّه وَلَمْ يَكُنْ شَيْء غَيْره وَكَانَ عَرْشه عَلَى الْمَاء، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَكَتَبَ فِي الذِّكْر كُلّ شَيْء) ثُمَّ أَتَانِي رَجُل فَقَالَ: يَا عِمْرَان أَدْرِكْ نَاقَتك فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْت أَطْلُبهَا فَإِذَا هِيَ يَقْطَع دُونهَا السَّرَاب ; وَاَيْم اللَّه لَوَدِدْت أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ. ـ مترجم.

(9) وكان ذلك الماء على متن الريح.

المحور الثاني في كلّ دين موحى به هو الاعتقاد بديمومة بعد الموت؛ وفي حين أن حقيقة الخلق تحدّد كليّة قدرة الخالق، فإن مذهب الحساب الختامي يعلّمنا أنّ إرادة الله تقتضي أن شرائعه الموحاة يجب أن تُطاع. وهذا، من ثم، تطوّر في اليهودية إلى جنّة محلية وجحيم، والمفهومان على حدّ سواء، كما سبق وأظهرنا، انتقلا إلى الإسلام. هذه الأمور المحليّة، على الرغم من أنها كانت في البداية رموزاً، هي مجرّد تجسيدات للأفكار الروحيّة لدولة ما، وبعد ذلك أصبحت متبلورة، وعانت من مصير كل رمز، أي أخذ منها الشيء الذي ترمز إليه، والأماكن صار يُشار إليها على نحو أكثر تحديداً. وهكذا فاليهود لديهم قول مفاده:[1] «العالم هو الجزء الستون من الحديقة، والحديقة هي الجزء الستون من عدن؛»[2] وفي القرآن نجد تعبيراً مماثلاً، أي «جنة عرضها السماوات والأرض»[3]. وبصفة عامة، فإن الخوف أقوى من الأمل، والرعب من إدانة رهيبة يتوسّل على نحو أقوى بكثير من أمل بأبدية إلى طبيعة والتي لا يحثّها الشعور الديني النقي على تقوى الحياة. وهذا هو السبب في أنّ وصف الجحيم يُقدّم بطريقة أكثر تفصيلاً وتميّزاً من الفردوس.

سبع جهنمات يتم تصويرها على أنها تشكّل درجات مختلفة من العقاب، وهذه الجهنمات كانت قد طوّرت عن الأسماء السبعة المختلفة المذكورة في التلمود.[4] هذه الأسماء باستثناء وحيد[5](إريتس تحتيت، أي العالم ما تحت الأرضي، التي هي متبناة بوضوح عن الأفكار الرومانية زمن صعودها) كتابيّة. في وقت لاحق صارت هذه الأسماء تُفسّر على أنها الجهنمات السبع، كما على سبيل

(1) עולם אחד מששים בגן גן אחד מששים בעדן.

(2) تعنيت 10؛ بيساحيم 94.

(3) القرآن 127:3؛ عرضها السموات والأرض.

(4) שאול ואבדון ובאר שחת ובור שאון וטיט היון וצלמות וארץ התחתית؛ انظر عروبين 19:1.

(5) ארץ תחתית.

المثال في المدراش على المزامير عند نهاية المزمور الحادي عشر حيث[1] يُقال، «هنالك سبعة مساكن للأشرار في الجحيم»، وبعد ذلك تُذكر الأسماء المذكورة أعلاه مع بعض الاختلافات. ويقال أيضاً إنّ داوود بصرخة تتكرّر سبع مرّات تقول، «يا بني בני»، تمكّن من إنقاذ أبشالوم من منازل الجحيم السبعة[2]. علاوة على ذلك يقال إن للجحيم بوابات سبع.[3] محمد ليس متأخراً عن ذلك، لأننا نقرأ في أحد المقاطع[4] «لها (جهنم) سبعة أبواب، لكلّ باب منهم جزء مقسوم». ووفقاً لليهود، فإن شجرة تقف عند مدخل جهنم:[5] «تنمو نخلتان في وادي بن هنوم، دخان ينبعث من بينهما، وهذا هو مدخل الجحيم»، لكن محمد يعرف أنّ شجرة الجحيم تسمى الزقوم[6] التي تقدّم للخطأة الغذاء، والتي لديه الكثير كي يقوله عنها. الخطوة من مثل هذه الفكرة المحددة حول الجحيم إلى مفهوم الشخصية

---

(1) שבעה בתי דירות לרשעים בגיהנם.

(2) 2 صم 1:19 ـ 5: «فَأُخْبِرَ يُوآبُ: ((هُوَذَا الْمَلِكُ يَبْكِي وَيَنُوحُ عَلَى أَبْشَالُومَ)). فَصَارَتِ الْغَلَبَةُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَنَاحَةً عِنْدَ جَمِيعِ الشَّعْبِ، لأَنَّ الشَّعْبَ سَمِعُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ تَأَسَّفَ عَلَى ابْنِهِ. وَتَسَلَّلَ الشَّعْبُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لِلدُّخُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا يَتَسَلَّلُ الْقَوْمُ الْخَجِلُونَ عِنْدَمَا يَهْرُبُونَ فِي الْقِتَالِ. وَسَتَرَ الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: ((يَا ابْنِي أَبْشَالُومُ، يَا أَبْشَالُومُ ابْنِي يَا ابْنِي!)). فَدَخَلَ يُوآبُ إِلَى الْمَلِكِ إِلَى الْبَيْتِ وَقَالَ: ((قَدْ أَخْزَيْتَ الْيَوْمَ وُجُوهَ جَمِيعِ عَبِيدِكَ مُنْقِذِي نَفْسِكَ الْيَوْمَ وَأَنْفُسِ بَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَأَنْفُسِ نِسَائِكَ وَأَنْفُسِ سَرَارِيكَ». וַיִּרְגַּז הַמֶּלֶךְ וַיַּעַל עַל־עֲלִיַּת הַשַּׁעַר וַיֵּבְךְּ וְכֹה ׀ אָמַר בְּלֶכְתּוֹ בְּנִי אַבְשָׁלוֹם בְּנִי בְנִי אַבְשָׁלוֹם מִי־יִתֵּן מוּתִי אֲנִי תַחְתֶּיךָ אַבְשָׁלוֹם בְּנִי בְנִי׃ וַיֻּגַּד לְיוֹאָב הִנֵּה הַמֶּלֶךְ בֹּכֶה וַיִּתְאַבֵּל עַל־אַבְשָׁלֹם׃ וַתְּהִי הַתְּשֻׁעָה בַּיּוֹם הַהוּא לְאֵבֶל לְכָל־הָעָם כִּי־שָׁמַע הָעָם בַּיּוֹם הַהוּא לֵאמֹר נֶעֱצַב הַמֶּלֶךְ עַל־בְּנוֹ׃ וַיִּתְגַּנֵּב הָעָם בַּיּוֹם הַהוּא לָבוֹא הָעִיר כַּאֲשֶׁר יִתְגַּנֵּב הָעָם הַנִּכְלָמִים בְּנוּסָם בַּמִּלְחָמָה׃ וְהַמֶּלֶךְ לָאַט אֶת־פָּנָיו וַיִּזְעַק הַמֶּלֶךְ קוֹל גָּדוֹל בְּנִי אַבְשָׁלוֹם אַבְשָׁלוֹם בְּנִי בְנִי. (رسالة سوطه التلمودية، 19): שבעה מדורי.

(3) שבעה פתחין אנון לגיהנם. زوهار 150:2.

(4) القرآن 44:15.

(5) שתי תמרות יש בבני בן הנם ועלה עשן מביניהם וזו היא פתחה של גהנם.

(6) شجرة الزقوم: القرآن 60:37؛ 43:44.

المرتبط بها هي خطوة سهلة، ونجد مثل هذا الفرد الذي ذكره الحاخامات باسم «أمير غيهينوم»؛[1] مع ذلك فهو يسمّى في القرآن ببساطة جهنّم. في أحد الأسفار الحاخامية[2] نجد التالي: «وكون أمير الجحيم يقول يومياً، أعطوني الطعام لإشباعي، إنما تأتي من إشعياء، الآية 14». ويقول محمد بالمثل:[3] «يوم نقول لجهنم، هل امتلأت، وتقول هل من مزيد؟».

عندما أصبح مفهوما الجنة والجحيم محددين للغاية، ولم يعد اسماهما مصطلحين عامين للثواب والعقاب، كان لا بدّ من تقديم مصير ثالث لأولئك الذين لم يكن سلوكهم يؤهلهم للأولى ولا يدينهم بحيث يكون مأواهم الثانية. وهكذا ففي حين أنّ الصالحين[4] وجدوا مثواهم في الجنة، كانت قسمة الخطاة هي الجحيم، أمّا أولئك الذين لا ينتمون لأي من الفئتين فقد وضعوا في المكان بين الجنة والجحيم، والذي يقال عنه في مدراش على سفر الجامعة، 14:7[5]: «ما هو مدى المسافة بينهما؟ يقول الحاخام يوحنان: جدار؛ ويقول ح. آحا مسافة؛ لكن معلمين آخرين يرون أنهما قريبتان من بعضهما إلى درجة أن الناس يمكنهم أن ينظروا من واحدة إلى الأخرى».[6] الفكرة التي تم التطرّق إليها للتو في هذا

---

(1) שר של גיהנם.

(2) أتيوت الرابي عقيبا אותיות דרבי עקיבא، 1:8: מנין ששרה של גיהנם אמר בכל יום ויום תן לי מאכל כדי ספוק שנאמר לכן הרחיבה שאול נפשה ופערה פיה לבלי חק וירד הדרה והמונה ושאונה ועלז בה.

(3) القرآن 20:50.

(4) צדיקים أخيار، רשעים خطاة، בינונים أولئك الذين يقفون بين الطرفين.

(5) כמה ריוח ביניהם רבי יוחנן אמר כתל רבי אחא אמר טפח ורבנן שתיהן שוות כדי שיהיו מציצות מזו לזו.

(6) بالنسبة للموقع الوسطي هذا يلاحظ سعدي بذكاء أنه يبدو بالنسبة للمنعمين كجهنم، بالنسبة للضالين كالجنة (Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l'Orient*، الكلمة أعراف، ص 113).

المقطع استنفذت بأقصى شعرية ممكنة في الآية 44:7[1]: «وبينهما حجاب؛

---

(1) يعلّق إلفيرار على هذا النص على النحو التالي: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنّة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقيض الله فيهم ما يشاء. ومن ثم، حين يقدّم تفسيره للآية 45 في سلسلة طويلة من التقاليد، يقول:
ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنّة وأهل النار فإذا رؤوا أهل الجنّة قالوا سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار...!
إضافة من المترجم: قال ابن القيم: فقوله تعالى (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ) أي: بين أهل الجنة والنار حجاب، قيل: هو السور الذي يُضرب بينهم، له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب؛ باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره الذي يلي الكفار من جهتهم العذاب.
والأعراف: جمع عُرف، وهو المكان المرتفع، وهو سور عال بين الجنة والنار عليه أهل الأعراف.
قال حذيفة وعبد الله بن عباس: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته.
عن ابن مسعود قال: ... «ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار (قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأما أصحاب الحسنات فإنهم يُعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعطى كل عبد يومئذ نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب الله تعالى نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون (قَالُوا رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا).
وأما أصحاب الأعراف: فإن النور لم ينزع من أيديهم فيقول الله (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) فكان الطمع للنور الذي في أيديهم، ثم أدخلوا الجنة، وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً».
يريد: آخر أهل الجنة دخولاً ممن لم يدخل النار.
وقيل: هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم، فقتلوا، فأعتقوا من النار لقتلهم في سبيل الله، وحبسوا عن الجنة لمعصية آبائهم، وهذا من جنس القول الأول.
وقيل: هم قوم رضي عنهم أحدُ الأبوين دون الآخر يحبسون على الأعراف حتى يقضي الله بين الناس ثم يدخلهم الجنة، وهي من جنس ما قبله فلا تناقض بينهما.
وقيل: هم أصحاب الفترة وأطفال المشركين.
وقيل: هم أولو الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل النار وأهل الجنة جميعاً.
وقيل: هم الملائكة لا من بني آدم.
والثابت عن الصحابة هو القول الأول، وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت أسانيدها، وآثار الصحابة في ذلك المعتمد.

وعلى الأعراف يعرفون كلاً بسيماهم، ونادوا أصحاب الجنة، أن سلام عليكم، لم يدخلوها وهم يطمعون. وإذا [هم][1] صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، قالوا ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين».

من المثير للاهتمام أن يُقارن هذا الرأي الذي يجعل للموتى مواضع ثلاثة مع فكرة أفلاطونية مشابهة جداً.[2]

يشترك القرآن واليهودية في فكرة نعيم الحياة الأبدية، وكذلك في الاستعارة التي تعبر عن صعوبة تحقيقه. هنالك قول حاخامي[3] مفاده أن «ساعة واحدة من النشوة في ذاك العالم أفضل من حياة كاملة في هذا». ومع هذا يمكن لنا مقارنة القرآن:[4] «وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع؟» ثم بالنسبة لصعوبة الوصول إلى الجنة يمكننا مقارنة الصورة الحاخامية[5] عن دخول الفيل بثقب الإبرة مع الكلمات في الآية 38:7[6]: «لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سم الخياط». ويبدو أن الاستعارة الأخيرة هذه مأخوذة عن المسيحية، ويرجع ذلك جزئياً إلى تشابه في الشكل، في أن «الجمل» هو الاستعارة المستخدمة في الأناجيل، وجزئياً بسبب الذكر المتواتر للأمر ذاته من قبل أصحاب الأناجيل[7]، وهو وحده يستحق أن يذكر هنا، بسبب واقعة أن الفيل إنما يُذكر في التلمود في نوع من التأكيد على ما يبدو على الترجمة العادية للكلمة اليونانية في

---

(1) هم، أي الناس ما بين بين، لا كما فسرّ فال وآخرون المسألة.

(2) Phaedon. Chap. 62

(3) مشناه، رسالة أبوت، 17:4: יפה שעה אחת של קורת רוח בעולם הבא מכל חיי העולם הזה.

(4) القرآن 38:9؛ 26:13.

(5) כמא דמעיל פילא בקפא דמחטא

(6) القرآن 38:7.

(7) متى 24:19؛ مرقص 25:10؛ لوقا 22:28. إضافة من المترجم: وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! (متى 24:19).

الأناجيل، والكلمة العربية في القرآن، وإزالة الشك حول ما إذا كان أفضل أن يترجموها «حبل».

إذا ما سلّمنا أن المفهوم الخالص للخلود، أي أن حياة النفس لن تتوقف أبداً، فإنه يصبح لا لزوم له وقت قيامة الدينونة؛ وهكذا ففي معظم المقاطع التلمودية يتم تصوير[1] عالم مستقبلي يتم التجرّد فيه من كل شيء أرضي وتمتع النفوس التقية بسطوع حضور الله.[2] أصداء هذه التعاليم موجودة في القرآن. ففي أحد المقاطع[3] نقرأ عن نفس تنظر إلى ربّها وفي آخر[4] يوصف بشكل جميل وضع نفس سلمية تماماً. لكن هذه الفكرة الروحية تماماً لا تنفذ على نحو شامل. بل بالأحرى فإلى جانب المفهوم الخالص لحياة مستمرة للنفس بعد موت الجسد،[5] كان موجوداً هناك المفهوم الخالص لإعادة الموتى إلى الحياة.[6] وهكذا لأن الإنسان لا يمكنه تلقي الجزاء على أعماله في حين لا يزال في حالة موت، فإن زمن القيامة يجب أن يكون الوقت المناسب للدينونة.[7]

---

(1) עולם הבא.

(2) כהנין מזיו השכינה.

(3) إلى ربّها ناظرة؛ القرآن 23:75.

(4) مطمئنة. القرآن 27:89، وما بعد.

(5) لنأخذ القول الحاخامي، على سبيل المثال: דיקים אפלו במיתתם קרוים חיים؛ حتى في موتهم يُدعى الصالحون أحياء؛ وفي القرآن 149:2، 163:3، يُطلب أن لا يسمّى الذين يسقطون أثناء الجهاد أمواتاً بل أحياء.

(6) תחית המתים. إن الرأي القائل إن المقصود بتعبير تحيات هميتيم תחית המתים هو العالم المستقبلي أو الحياة المتواصلة (الروحية) للميت (جسدياً)، يُقدم بوضوح في التفسير الذي تضيفه البارايتا إلى كلام المشناه. إلى الكلمات التي تقول «إن من يؤكّد أن الاعتقاد بالـتحيات هميتيم תחית המתים ليس جزءاً من المعتقد اليهودي ليس له نصيب في العالم المستقبلي»، يضيف: «إن من ينكر الـتحيات هميتيم תחית המתים، لن يكون له حصّة من ثم فيها». وهنا يُعتبر تعبير الـتحيات هميتيم תחית המתים و«العالم المستقبلي» متماثلان في المعنى. قارن أيضاً سفر عكريم، 31:4.

(7) יום הדין.

هذان الرأيان حول القيامة ويوم الدينونة، وإن كانا مختلفين في حد ذاتيهما، يرتبطان ارتباطاً وثيقاً باليهودية، وبشكل أكثر خصوصيّة بالإسلام.[1] في اليهودية هنالك حقبة ثالثة هي قدوم المَسِيَّا، التي ليس من السهل أن تُفصل عن الحقبتين الأخريين. وبطبيعة الحال فهذا الزمن، والذي يؤدي إلى مثل هذين الحدثين الهامين كالدينونة والقيامة، سوف تُنذر به علامات فظيعة. في اليهودية الأقوال التي تفيد بهذا المعنى إنما توجد فقط بشأن الحقبة الثالثة، التي ترتبط عموماً مع الحقبتين الأخريين، أي الحقبة الدنيوية للمَسِيَّا؛ في الإسلام على العكس من ذلك يُعزا كل شيء إلى اليوم الأخير. إن الكلام الذي يتفق بأكثر ما يمكن مع التلمود هو ذلك الموجود في نصين من السُنّة 41 و141، حيث يقال إن التعاليم سوف تختفي، الجهل سوف يتجذّر، وسيزداد السُكر والفجور. مع هذا يجب مقارنة مقطع من رسالة سنهدرين التلمودية 97[2]: «في الوقت الذي يأتي فيه ابن داوود سيفنى المتعلمون، ويستخدم مكان الاجتماعات المتعلمة للفجور». تشير الأوصاف في القرآن أكثر إلى اليوم الأخير نفسه، وتذكّرنا بالعديد من المقاطع في الكتاب المقدس، حيث يقال أيضاً عن تلك الأيام إن العالم سوف ينحني بنفسه أمام الله، السماوات سوف تلتف على بعضها[3] وتتلاشى في الدخان،[4] سيتم تدمير جميع المدن،[5] ويكون البشر في حالة سكر لكنهم ليسوا بسكارى.[6]

---

(1) قارن على سبيل المثال: القرآن 87:26، 88.

(2) דור שבן דוד בא תלמידי חכמים מתמעטים ובית הועד יהיה לזנות.

(3) נָגֹלּוּ כַסֵּפֶר הַשָּׁמָיִם؛ إشعياء 4:34. إضافة من المترجم: الآية كاملة تقول: وَيَفْنَى كُلُّ جُنْدِ السَّمَاوَاتِ وَتَلْتَفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ وَكُلُّ جُنْدِهَا يَنْتَثِرُ كَانْتِثَارِ الْوَرَقِ مِنَ الْكَرْمَةِ وَالسُّقَاطِ مِنَ التِّينَةِ.

(4) القرآن 9:44 وما بعد.

(5) القرآن 60:17.

(6) القرآن 2:22؛ قارن: 89:27؛ 68:39؛ 13:69 وما بعد.

علامة أخرى متميزة جداً لقدوم المسيّا، التي تم التلميح إليها عن بعد في العهد القديم، لكن التي حققت تطوراً استثنائياً في التلمود وخاصة في الكتابات المتأخرة، ألا وهي معركة يأجوج، أمير ماجوج.[1] لكن يأجوج ومأجوج يدعيان من

---

(1) حزقيال 38 و39. إضافة من المترجم: نصا حزقيال: وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: ((يَا ابْنَ آدَمَ اجْعَلْ وَجْهَكَ عَلَى جُوجٍ أَرْضِ مَاجُوجَ رَئِيسِ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ. وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ. وَأُرْجِعُكَ، وَأَضَعُ شَكَائِمَ فِي فَكَّيْكَ، وَأُخْرِجُكَ أَنْتَ وَكُلَّ جَيْشِكَ خَيْلاً وَفُرْسَاناً كُلَّهُمْ لاَبِسِينَ أَفْخَرَ لِبَاسٍ، جَمَاعَةً عَظِيمَةً مَعَ أَتْرَاسٍ وَمَجَانَّ، كُلَّهُمْ مُمْسِكِينَ السُّيُوفَ. فَارِسَ وَكُوشَ وَفُوطَ مَعَهُمْ، كُلَّهُمْ بِمِجَنٍّ وَخُوذَةٍ. وَجُومَرَ وَكُلَّ جُيُوشِهِ، وَبَيْتَ تُوجَرْمَةَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ مَعَ كُلِّ جَيْشِهِ، شُعُوباً كَثِيرِينَ مَعَكَ. اسْتَعِدَّ وَهَيِّئْ لِنَفْسِكَ أَنْتَ وَكُلُّ جَمَاعَاتِكَ الْمُجْتَمِعَةِ إِلَيْكَ فَصِرْتَ لَهُمْ مُوَقَّراً. بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ تُفْتَقَدُ. فِي السِّنِينَ الأَخِيرَةِ تَأْتِي إِلَى الأَرْضِ الْمُسْتَرَدَّةِ مِنَ السَّيْفِ الْمَجْمُوعَةِ مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي كَانَتْ دَائِمَةً خَرِبَةً، لِلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ الشُّعُوبِ وَسَكَنُوا آمِنِينَ كُلُّهُمْ. وَتَصْعَدُ وَتَأْتِي كَزَوْبَعَةٍ، وَتَكُونُ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي الأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ جُيُوشِكَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ. وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أُمُوراً تَخْطُرُ بِبَالِكَ فَتُفَكِّرُ فِكْراً رَدِيئاً، وَتَقُولُ: إِنِّي أَصْعَدُ عَلَى أَرْضٍ أَعْرَاءٍ. آتِي الْهَادِئِينَ السَّاكِنِينَ فِي أَمْنٍ، كُلُّهُمْ سَاكِنُونَ بِغَيْرِ سُورٍ وَلَيْسَ لَهُمْ عَارِضَةٌ وَلاَ مَصَارِيعُ. لِسَلْبِ السَّلْبِ وَلِغُنْمِ الْغَنِيمَةِ، لِرَدِّ يَدِكَ عَلَى خِرَبٍ مَعْمُورَةٍ وَعَلَى شَعْبٍ مَجْمُوعٍ مِنَ الأُمَمِ، الْمُقْتَنِي مَاشِيَةً وَقُنْيَةً، السَّاكِنِ فِي أَعَالِي الأَرْضِ. شَبَا وَدَدَانُ وَتُجَّارُ تَرْشِيشَ وَكُلُّ أَشْبَالِهَا يَسْأَلُونَكَ: هَلْ لِسَلْبِ سَلْبٍ أَنْتَ جَاءٍ؟ هَلْ لِغُنْمِ غَنِيمَةٍ جَمَعْتَ جَمَاعَتَكَ، لِحَمْلِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، لأَخْذِ الْمَاشِيَةِ وَالْقُنْيَةِ، لِنَهْبِ نَهْبٍ عَظِيمٍ؟ لِذلِكَ تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ وَقُلْ لِجُوجٍ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَ سُكْنَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ آمِنِينَ، أَفَلاَ تَعْلَمُ؟ وَتَأْتِي مِنْ مَوْضِعِكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ أَنْتَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ، كُلُّهُمْ رَاكِبُونَ خَيْلاً جَمَاعَةٌ عَظِيمَةٌ وَجَيْشٌ كَثِيرٌ. وَتَصْعَدُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي الأَرْضَ. فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ يَكُونُ. وَآتِي بِكَ عَلَى أَرْضِي لِتَعْرِفَنِي الأُمَمُ، حِينَ أَتَقَدَّسُ فِيكَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ يَا جُوجُ. هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلْ أَنْتَ هُوَ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ فِي الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ عَنْ يَدِ عَبِيدِي أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ، وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ تَنَبَّأْ عَلَى جُوجٍ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ. وَأَرُدُّكَ وَأَقُودُكَ وَأُصْعِدُكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ وَآتِي بِكَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ. حز 39-3: وَأَضْرِبُ قَوْسَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُسْرَى، وَأُسْقِطُ سِهَامَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى. فَتَسْقُطُ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ أَنْتَ وَكُلُّ جَيْشِكَ وَالشُّعُوبُ الَّذِينَ مَعَكَ. أَبْذُلُكَ مَأْكَلاً لِلطُّيُورِ الْكَاسِرَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَلِوُحُوشِ الْحَقْلِ. عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ تَسْقُطُ لأَنِّي تَكَلَّمْتُ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأُرْسِلُ نَاراً عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى السَّاكِنِينَ فِي الْجَزَائِرِ آمِنِينَ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. وَأُعَرِّفُ بِاسْمِي الْمُقَدَّسِ فِي وَسْطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَدَعُ اسْمِي الْمُقَدَّسَ يَتَنَجَّسُ بَعْدُ، فَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ. هَا هُوَ قَدْ أَتَى وَصَارَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ. وَيَخْرُجُ سُكَّانُ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ

وَيُشْعِلُونَ وَيُحْرِقُونَ السِّلاَحَ وَالْمَجَانَّ وَالأَتْرَاسَ وَالْقِسِيَّ وَالسِّهَامَ وَالْحِرَابَ وَالرِّمَاحَ، وَيُوقِدُونَ بِهَا
النَّارَ سَبْعَ سِنِينَ. فَلاَ يَأْخُذُونَ مِنَ الْحَقْلِ عُودًا وَلاَ يَحْتَطِبُونَ مِنَ الْوُعُورِ لأَنَّهُمْ يُحْرِقُونَ السِّلاَحَ
بِالنَّارِ، وَيَنْهَبُونَ الَّذِينَ نَهَبُوهُمْ وَيَسْلُبُونَ الَّذِينَ سَلَبُوهُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَيَكُونُ فِي ذلِكَ
الْيَوْمِ أَنِّي أُعْطِي جُوجًا مَوْضِعًا هُنَاكَ لِلْقَبْرِ فِي إِسْرَائِيلَ، وَوَادِيَ عَبَارِيمَ بِشَرْقِيِّ الْبَحْرِ، فَيَسُدُّ نَفَسَ
الْعَابِرِينَ. وَهُنَاكَ يَدْفِنُونَ جُوجًا وَجُمْهُورَهُ كُلَّهُ، وَيُسَمُّونَهُ وَادِيَ جُمْهُورِ جُوجٍ. وَيَقْبُرُهُمْ بَيْتُ
إِسْرَائِيلَ لِيُطَهِّرُوا الأَرْضَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ. كُلُّ شَعْبِ الأَرْضِ يَقْبُرُونَ، وَيَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ تَمْجِيدِي مَشْهُورًا
يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَيُفْرِزُونَ أُنَاسًا مُسْتَدِيمِينَ عَابِرِينَ فِي الأَرْضِ، قَابِرِينَ مَعَ الْعَابِرِينَ أُولئِكَ الَّذِينَ
بَقُوا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. تَطْهِيرًا لَهَا بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ يَفْحَصُونَ. فَيَعْبُرُ الْعَابِرُونَ فِي الأَرْضِ وَإِذَا رَأَى
أَحَدٌ عَظْمَ إِنْسَانٍ يَبْنِي بِجَانِبِهِ صُوَّةً حَتَّى يَقْبُرَهُ الْقَابِرُونَ فِي وَادِي جُمْهُورِ جُوجٍ. وَأَيْضًا اسْمُ
الْمَدِينَةِ هَمُونَةُ فَيُطَهِّرُونَ الأَرْضَ. وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَهكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: قُلْ لِطَائِرِ كُلِّ جَنَاحٍ،
وَلِكُلِّ وُحُوشِ الْبَرِّ: اجْتَمِعُوا، وَتَعَالَوْا احْتَشِدُوا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، إِلَى ذَبِيحَتِي الَّتِي أَنَا ذَابِحُهَا لَكُمْ
ذَبِيحَةً عَظِيمَةً عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ لِتَأْكُلُوا لَحْمًا وَتَشْرَبُوا دَمًا. تَأْكُلُونَ لَحْمَ الْجَبَابِرَةِ وَتَشْرَبُونَ دَمَ
رُؤَسَاءِ الأَرْضِ. كِبَاشٍ وَحُمْلاَنٍ وَأَعْتِدَةٍ وَثِيرَانٍ كُلِّهَا مِنْ مُسَمَّنَاتِ بَاشَانَ. وَتَأْكُلُونَ الشَّحْمَ إِلَى
الشِّبَعِ، وَتَشْرَبُونَ الدَّمَ إِلَى السُّكْرِ مِنْ ذَبِيحَتِي الَّتِي ذَبَحْتُهَا لَكُمْ. فَتَشْبَعُونَ عَلَى مَائِدَتِي مِنَ الْخَيْلِ
وَالْمَرْكَبَاتِ وَالْجَبَابِرَةِ وَكُلِّ رِجَالِ الْحَرْبِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَجْعَلُ مَجْدِي فِي الأُمَمِ، وَجَمِيعُ
الأُمَمِ يَرَوْنَ حُكْمِي الَّذِي أَجْرَيْتُهُ وَيَدِي الَّتِي جَعَلْتُهَا عَلَيْهِمْ، فَيَعْلَمُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ
إِلهُهُمْ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا. وَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ قَدْ أُجْلُوا بِإِثْمِهِمْ لأَنَّهُمْ خَانُونِي،
فَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ وَسَلَّمْتُهُمْ لِيَدِ مُضَايِقِيهِمْ، فَسَقَطُوا كُلُّهُمْ بِالسَّيْفِ. كَنَجَاسَتِهِمْ وَكَمَعَاصِيهِمْ
فَعَلْتُ مَعَهُمْ وَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ. لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: الآنَ أَرُدُّ سَبْيَ يَعْقُوبَ وَأَرْحَمُ
كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَأَغَارُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ. فَيَحْمِلُونَ خِزْيَهُمْ وَكُلَّ خِيَانَتِهِمِ الَّتِي خَانُونِي إِيَّاهَا
عِنْدَ سَكَنِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ وَلاَ مُخِيفٌ. عِنْدَ إِرْجَاعِي إِيَّاهُمْ مِنَ الشُّعُوبِ وَجَمْعِي إِيَّاهُمْ
مِنْ أَرَاضِي أَعْدَائِهِمْ، وَتَقْدِيسِي فِيهِمْ أَمَامَ عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرِينَ. يَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ بِإِجْلاَئِي
إِيَّاهُمْ إِلَى الأُمَمِ، ثُمَّ جَمْعِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ. وَلاَ أَتْرُكُ بَعْدُ هُنَاكَ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلاَ أَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ
بَعْدُ، لأَنِّي سَكَبْتُ رُوحِي عَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. الَّذِينَ تَنَبَّأُوا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ سِنِينًا
أَنْ آتِيَ بِكَ عَلَيْهِمْ؟ وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَوْمَ مَجِيءِ جُوجٍ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ،
أَنَّ غَضَبِي يَصْعَدُ فِي أَنْفِي. وَفِي غَيْرَتِي فِي نَارِ سَخَطِي تَكَلَّمْتُ، أَنَّهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ رَعْشٌ عَظِيمٌ
فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. فَتَرْعَشُ أَمَامِي سَمَكُ الْبَحْرِ وَطُيُورُ السَّمَاءِ وَوُحُوشُ الْحَقْلِ وَالدَّابَّاتُ الَّتِي تَدِبُّ
عَلَى الأَرْضِ، وَكُلُّ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَتَنْدَكُّ الْجِبَالُ وَتَسْقُطُ الْمَعَاقِلُ وَتَسْقُطُ كُلُّ
الأَسْوَارِ إِلَى الأَرْضِ. وَأَسْتَدْعِي السَّيْفَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ جِبَالِي يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. فَيَكُونُ سَيْفُ كُلِّ
وَاحِدٍ عَلَى أَخِيهِ. وَأُعَاقِبُهُ بِالْوَبَإِ وَبِالدَّمِ، وَأُمْطِرُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ وَعَلَى الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ
مَعَهُ مَطَرًا جَارِفًا وَحِجَارَةَ بَرَدٍ عَظِيمَةً وَنَارًا وَكِبْرِيتًا. فَأَتَعَظَّمُ وَأَتَقَدَّسُ وَأُعْرَفُ فِي عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ،
فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ تَنَبَّأْ عَلَى جُوجٍ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ

يا جوج رئيس روش ماشك وتوبال. وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشمال وآتي بك على جبال إسرائيل. وأضرب قوسك من يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك. أبذلك مأكلا للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل. على وجه الحقل تسقط لأني تكلمت يقول السيد الرب. وأرسل نارا على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين، فيعلمون أني أنا الرب. وأعرف باسمي المقدس في وسط شعبي إسرائيل، ولا أدع اسمي المقدس ينجس بعد. فتعلم الأمم أني أنا الرب قدوس إسرائيل. ها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب. هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه. ويخرج سكان مدن إسرائيل ويشعلون ويحرقون السلاح والمجان والأتراس والقسي والسهام والحراب والرماح ويوقدون بها النار سبع سنين. فلا يأخذون من الحقل عودا، ولا يحتطبون من الوعور لأنهم يحرقون السلاح بالنار، وينهبون الذين نهبوهم ويسلبون الذين سلبوهم يقول السيد الرب. ويكون في ذلك اليوم أني أعطي جوجا موضعا هناك للقبر في إسرائيل، وادي عباريم بشرقي البحر، فيسد نفس العابرين. وهناك يدفنون جوجا وجمهوره كله، ويسمونه وادي جمهور جوج. ويقبرهم بيت إسرائيل ليطهروا الأرض سبعة أشهر. كل شعب الأرض يقبرون، ويكون لهم يوم تمجيدي مشهورا يقول السيد الرب. ويفرزون أناسا مستديمين عابرين في الأرض، قابرين مع العابرين أولئك الذين بقوا على وجه الأرض. تطهيرا لها. بعد سبعة أشهر يفحصون. فيعبر العابرون في الأرض وإذا رأى أحد عظم إنسان يبني بجانبه صوة حتى يقبره القابرون في وادي جمهور جوج. وأيضا اسم المدينة همونة فيطهرون الأرض. وأنت يا ابن آدم، فهكذا قال السيد الرب: قل لطائر كل جناح، ولكل وحوش البر: اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتي التي أنا ذابحها لكم، ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحما وتشربوا دما. تأكلون لحم الجبابرة وتشربون دم رؤساء الأرض، كباش وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمنات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشبع، وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتي التي ذبحتها لكم. فتشبعون على مائدتي من الخيل والمركبات والجبابرة وكل رجال الحرب، يقول السيد الرب. وأجعل مجدي في الأمم، وجميع الأمم يرون حكمي الذي أجريته ويدي التي جعلتها عليهم، فيعلم بيت إسرائيل أني أنا الرب إلههم من ذلك اليوم فصاعدا. وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد أجلوا بإثمهم لأنهم خانوني، فحجبت وجهي عنهم وسلمتهم ليد مضايقيهم، فسقطوا كلهم بالسيف. كنجاستهم وكمعاصيهم فعلت معهم وحجبت وجهي عنهم. لذلك هكذا قال السيد الرب: الآن أرد سبي يعقوب وأرحم كل بيت إسرائيل وأغار على اسمي القدوس. فيحملون خزيهم وكل خياناتهم التي خانوني إياها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف. عند إرجاعي إياهم من الشعوب وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم، وتقديسي فيهم أمام عيون أمم كثيرين. يعلمون أني أنا الرب إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم، ثم جمعهم إلى أرضهم. ولا أترك بعد هناك أحدا منهم، ولا أحجب وجهي عنهم بعد، لأني سكبت روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرب)).

قبل الحاخامات كأميرين، وهذا المنظور تجذّر في القرآن في صيغة حاخامية،[1] كون هذين الشخصين، يُذكران على أنهما من ساكني أقصى أجزاء الأرض.[2]

في تفاصيل فكرة القصاص في المستقبل يوجد العديد من التشابهات، والتي، بفضل وحدة المنظور اليهودي واشتقاقه من الكتب المقدسة، تظهر أنها استعارات من اليهودية. وهكذا فوفقاً للتلمود، فإن أوصال الإنسان تشهد عليه؛[3] وفي أحد المقاطع تجد تلك الكلمات: «أوصال الإنسان بالذات[4] ستشهد عليه، لأنه يُقال، «أنتم أنفسكم شهودي يقول الرب». ويمكن أن نقارن مع هذا الآية 24:24: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم، بما كانوا يعملون».[5] يكتسب يوم الدينونة أيضاً أهمية أكبر من حقيقة أنه ليس فقط الأفراد والأمم يظهرون فيه، وإنما أيضاً تلك الكائنات التي كانت تكرّمها الأمم باعتبارها آلهة، فهم كذلك سينالون العقاب مع الذين كانوا يتعبد ون لهم. وفي رسالة السوكاه التلمودية 29 نجد الكلام التالي:[6] «كما تنال عقابها (بسبب الوثنية) كأمة، فإن تلك الكائنات التي تُكرّم من قبلها كآلهة تُعاقب أيضاً، لأنه مكتوب:[7]«وبجميع آلهة المصريين أنفّذ أحكاماً». لا يُعبّر بوضوح أن هذه الجملة العامة تعترف بإشارة

---

(1) القرآن يأجوج ومأجوج 96:21.

(2) القرآن 93:18.

(3) حغيغاه 16، تعنيت 11. אף איבריי של אדם מעידים בו שני ואתם עדי נאם ה'.

(4) إشعياء 12:43. إضافة من المترجم: نص إشعياء: أَنَا أَخْبَرْتُ وَخَلَّصْتُ وَأَعْلَمْتُ وَلَيْسَ بَيْنَكُمْ غَرِيبٌ. وَأَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَنَا اللهُ.

(5) قارن أيضاً: القرآن: 65:36؛ 19:41.

(6) אין לך כל אמה ואמה שהוא לקוה שאין אלהיה לוקין עמה שני ובכל אלהי מצרים אעשה שפטים.

(7) سفر الخروج، 12:12. إضافة من المترجم، نص الآية كاملاً: וְעָבַרְתִּי בְאֶרֶץ־מִצְרַיִם בַּלַּיְלָה הַזֶּה וְהִכֵּיתִי כָל־בְּכוֹר בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם מֵאָדָם וְעַד־בְּהֵמָה וּבְכָל־אֱלֹהֵי מִצְרַיִם אֶעֱשֶׂה שְׁפָטִים אֲנִי יְהוָה: فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ.

إلى عقاب اليوم الأخير. مع ذلك فمحمّد يعبّر عن نفسه على نحو أوضح في المسألة:[1] «إنكم وما تعبد ون من دون الله عصب جهنم».

إنه منظور متشابك بشكل وثيق مع اليهودية والإسلام ومفاده أن العقوبة الانتقاميّة مقيدة بالكامل بحالة ما بعد الموت،[2] وأن أي ميزة يكتسبها الخاطئ

---

(1) القرآن 98:21.

(2) من العقائد الهامة المتعلقة بمسألة العقاب ما بعد الموت، قبل يوم القيامة، أسطورة عذاب القبر. واضح تماماً من النصوص الإسلامية أن محمداً لم يكن يعرف بعذاب القبر لولا حادث بعينه؛ نقرأ في موطأ مالك ـ كِتَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ ـ أن يتعوذوا من عذاب القبر: 446 وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِك عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا فَقَالَتْ أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُعَذَّبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ مَرْكَبًا فَخَسَفَتْ الشَّمْسُ فَرَجَعَ ضُحًى فَمَرَّ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ الْحُجَرِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي وَقَامَ النَّاسُ وَرَاءَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا ـ ص 151 ـ طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

في اليهودية، وفي مجموعة المدراش אוצר מדרשים، نجد رسالة تحمل عنوان عذاب القبر. ومنها نقرأ: מסכתחבוט הקבר

ב [ראשית חכמה שער היראה פי"ב; בית המדרש ח"א]

ג פרק ראשון: כיצד אדם מת באין אליו מלאכי הרקיע, אחד ממלאכי השרת ואחד ממלאכי מות ואחד סופר ואחד שממתה עמו ואומרים לו קום הגיע קצך (גירסא אחרת: מיד יושב הסופר ומחשב ימיו ושנותיו), אומר להם עדיין לא הגיע קצי, מיד פותח את עיניו ורואה מלאך (נוסחא ב': מיד מזדעזע ונופל על פניו), ארכו מסוף העולם ועד סופו מכף רגלו ועד קדקדו מלא עינים, לבושו אש כסותו אש כלו אש, וסכין בידו וטפה של מרה תלוי בו, ממנה מת ממנה מסריח ממנה פניו מוריקות, ואינו מת עד שרואה הקב"ה בעצמו שנאמר כי לא יראני האדם וחי (שמות ל"ג ג'), בחייהם אינם רואים אבל רואים במיתתם, שנאמר לפניו יכרעו כל יורדי עפר ונפשו לא חיה (תהלים כ"ב ל').

سوف تُجزى في هذا العالم، وهو ما يعني أن ما من شيء يمكن له أن يعيق مسار الحساب في العالم الآخر. وجهة النظر نفسها، معكوسة فقط، تصح في حالة الصالحين. إنه منظور اعتُقد أنه يفسّر مسار المصير على الأرض، والذي غالباً ما يبدو أنه يسير بعكس مزايا البشر وعيوبهم.

يتم التعبير عن وجهة نظر الحاخامية في المقطع التالي:[1] «بماذا يجب مقارنة الأتقياء في هذا العالم؟ بشجرة تقف تماماً في مكان نظيف. وعندما ينحني فرع على مكان غير نظيف، إنه يقطع وتقف الشجرة نفسها هناك نظيفة تماماً. هكذا يرسل الله آلاماً في هذا العالم إلى الصالحين، بحيث يمكنهم أن يمتلكوا ذلك الذي يأتي، كما هو مكتوب «فتكون حالتك الأولى وضيعة، وتكون حالتك الأخيرة مزدهرة»[2] الخاطئون مثل شجرة تقف في مكان غير نظيف تماماً؛ وحين ينحني فرع إلى مكان نظيف، يتم قطعه والشجرة نفسها تقف

מיד מעיד והקב"ה חותם. אם צדיק הוא מוסר נפשו לבעליו. אם רשע גמור הוא מקשה ערפו ומגביר יצרו. מכאן אמרו חז"ל אפילו בפטירתו של אדם רשע יצרו מתגבר עליו. ר"א בן יעקב אומר כשם שמקשה ערפו בעוה"ז כך מקשה ערפו בשעת פטירתו שעומד בדין שנאמר רשע יראה וכעס וגו' (שם קי"ב י'). בשעת פטירתו של צדיק מהו אומר הצדיק אבד וגו' (ישעיה נ"ז), ובשעת פטירתו של רשע מהו אומר ובליעל כקוץ מונד וגו' (ש"ב כ"ג). راجع كتابنا مدخل إلى مشروع الدين المقارن. مترجم.

(1) למה צדיקים כמשלים בעולם הזה לאילן שכלו עומד במקום טהרה ונופו נוטה למקום טומאה נקצץ נופו נמצא כלו עומד במקום טהור כך הקב"ה מביא יסורים על צדיקים בעוה"ז כדי שיירשו העולם הבא שנ' והיה ראשיתך מצער ואחריתך ישגא מאד ולמה רשעים דומים בעוה"ז לאילן שכלו עומד במקום טמאה ונופו נוטה למקום טהרה נקצץ נופו כלו עומד במקום כך הקב"ה משפיע להם טובה בעוה"ז כדי לטרדן ולהורישן למדרגה התחתונה של גיהנם שנ' יש דרך ישר לפני איש ואחריתה דרכי מות.

إضافة من المترجم: لم نجد النص السابق في مراجعنا.

(2) أيوب 7:8. إضافة من المترجم: النص هو: وَإِنْ تَكُنْ أُولاَكَ صَغِيرَةً فَآخِرَتُكَ تَكْثُرُ جِدًّا. וְהָיָה רֵאשִׁיתְךָ מִצְעָר וְאַחֲרִיתְךָ יִשְׂגֶּה מְאֹד.

هناك غير نظيفة تماماً. وهكذا يسمح الله لغير المؤمنين بالله بالازدهار، كي يغرقهم في أدنى أعماق الجحيم، كما هو مكتوب: «ربّ طريق يستقيم في عيني الربّ، وأواخره طرق إلى الموت»»[1].

يعبّر محمد عن هذا الرأي في العديد من المقاطع، لكنه يقيد نفسه بالرأي الأخير الذي يشير إلى ازدهار الخطاة، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنّ أفكاره الخاصة كانت غير روحانية بحيث يفترض أن يكون قادراً على تخيل الصالحين سعداء حقاً دون متاع أرضي، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه في فعله ذلك فإن تعاليمه كانت ستضيع في تقبله لمعاصريه الفاسدين للغاية. وهكذا ففي أحد المقاطع[2]، نقرأ: «إنّا نملي لهم ليزدادوا إثماً»[3] ومع ذلك فالرأي الثاني موجود بين العرب، من

---

(1) أمثال 12:14. رسالة قدوشين التلمودية، 2:40. قارن: دريرخ ايريص؛ رسالة سوتاه التلمودية، نهاية الفصل الثاني؛ رسالة أبوت للحاخام ناثان، نهاية الفصل التاسع؛ عروبين، 2:26؛ وأيضاً أسفار الترغوم وتفاسيرها لنص التثنية 10:7.
إضافة من المترجم: نص الأمثال: יֵשׁ דֶּרֶךְ יָשָׁר לִפְנֵי־אִישׁ וְאַחֲרִיתָהּ דַּרְכֵי־מָוֶת: تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ؛ نص التثنية: וּמְשַׁלֵּם לְשֹׂנְאָיו אֶל־פָּנָיו לְהַאֲבִידוֹ לֹא יְאַחֵר לְשֹׂנְאוֹ אֶל־פָּנָיו יְשַׁלֶּם־לוֹ: وَالْمُجَازِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَهُ بِوُجُوهِهِمْ لِيُهْلِكَهُمْ. لاَ يُمْهِلُ مَنْ يُبْغِضُهُ. بِوَجْهِهِ يُجَازِيهِ.

(2) القرآن 172:3.

(3) قارن: القرآن، 55:9، 86؛ 23:31؛ في النص الأول، 55:9، 86، نجد أن كلمات «في الحياة الدنيا» ترتبط بوضوح مع كلمة «أولادهم»، وليس مع ما سبقها مباشرة.
وهكذا يقول إلفيلر في تعليقه على الآية 55:9: «قال مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة».
إضافة من المترجم: في تفسير البغوي للآية، نقرأ: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان من الله في استدراج كثر الله ماله وولده، (إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) فإن قيل: أي تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ قيل: قال مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد. وقال الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل الله. وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه،

ذلك على سبيل المثال، ما يقوله إلفيرار في تفسيره للآية 42:12[1]: «يُقال إن الأخيار يُعاقبون ويُمتحنون، كي يمكنهم أن يكونوا في يوم القيامة كاملين في النور والقوة، حيث يكون قد تم للتو التكفير عن تمرّد الصالحين». لقد تجنّب محمد بشكل طبيعي تحديد أي وقت يمكن فيه لهذه الدينونة أن تحدث، على الرغم من أنه تعرّض لكثير من الضغوط كي يقوم بذلك. ووجد عذراً لنفسه في القول اليهودي إنه عند الله ألف سنة تعادل يوماً مما نعد،[2] والتي تم تجريدها من الزينة الشعرية وأخذت عند الحاخامات معنى حرفيّاً بحتاً.[3] يقول محمد:[4] «إن يوماً عند ربّك كألف سنة مما تعدّون»؛ ويقول مرة أخرى[5] «في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون».

كما أظهر للتو، فمع تأسيس مذهب يوم الحساب، فإن الرأي المتعلّق بالقيامة وقيامة الموتى كان قد تمّ تشكيله أيضاً وهذا صار بجاهزية أكثر، لأنه وجد الدعم له في تعابير من الكتاب المقدس، كما على سبيل المثال ما يقال في سفر

والكره في إنفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده، ثم يقدم على ملك لا يعذره. (وتزهق أنفسهم) أي: تخرج، (وهم كافرون) أي: يموتون على الكفر.

(1) وقيل إنه ابتلاهم بالذنوب لينفرد بالطهارة والعزّة يوم القيامة على انكسار المعصية.
إضافة من المترجم: قَالَ الْحسن الْبَصْرِيّ: إِن الله تَعَالَى لم يذكر ذنُوب الْأَنْبِيَاء فِي الْقُرْآن ليعيرهم بهَا؛ وَلَكِن ذكرهَا ليبين موقع النِّعْمَة عَلَيْهِم بِالْعَفو، وَلِئَلَّا ييأس أحد من رَحمته وَقيل: إِنَّه ابتلاهُم بِالذنُوبِ ليتفرد بِالطَّهَارَةِ والعزة، ويلقاه جَمِيع الْخلق يَوْم الْقِيَامَة على انكسار الْمعْصِيَة. وَقَوله: (لَوْلَا أَن رأى برهَان ربه) أَكثر أهل التَّفْسِير: أَنه رأى يَعْقُوب صلوَات الله عَلَيْهِ (عاضّاً) فِي صَدره وَهُوَ يَقُول لَهُ: أتعمل عمل السُّفَهَاء وَأَنت فِي ديوَان الْأَنْبِيَاء؟

(2) المزمور 4:90: إضافة من المترجم: نص الآية من المزمور: כִּי אֶלֶף שָׁנִים בְּעֵינֶיךָ כְּיוֹם אֶתְמוֹל כִּי יַעֲבֹר וְאַשְׁמוּרָה בַלָּיְלָה: لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمِ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ وَكَهَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ.

(3) رسالة سنهدرين التلمودية، 2:96. انظر أيضاً مقدمة تفسير بن عزرا لأسفار التوراة الخمسة حيث يعارض هذا المنظور.

(4) القرآن، 46:22.

(5) القرآن، 4:32.

حزقيال، 37:[1] «حين أفتح قبوركم، وأصعدكم من قبوركم يا شعبي»، وما إلى ذلك؛ وتلك الموجودة في مقاطع أخرى التي تشير جزئياً إلى القيامة المجازية للموتى في أرض إسرائيل. عن هذا المذهب يقال إنه ثمة تعليم أساسي من العقيدة اليهودية والذي يقول إنه لا ينتمي إلى الشريعة ما ينطوي على استبعاده هو الذي يتحدث من الحياة الأبدية.[2] القرآن، إذا صحّ القول، مؤسّس على هذا المذهب جنباً إلى جنب مع مذهب وحدانيّة الله، ونادراً ما نجد صفحة فيه لم يذكر هذا المذهب فيها. وتقديم البراهين هنا سيكون سهلاً بقدر ما سيكون بلا فائدة؛ وهو غير مطلوب من قبل غرضنا، لأن المسيحية أيضاً ورثت هذا الرأي عن اليهودية، كما هو مبين في حجة يسوع في الرد على الصدوقيين[3]. نقطة واحدة فقط تستحق الذكر بشكل خاص، لأنها من ناحية تحتوي تفصيلاً متبنى عن اليهودية، ومن ناحية أخرى فإنها تدلّ على مستوى متدنٍ من التفكير في ذلك الوقت. حالما يصبح الأمر ليس مجرّد مسألة خلود نفس، بل أيضاً قيامة جسد، فالنفس عندئذٍ دون الجسد لا تعود تعتبر الشخص نفسه، والسؤال يطرح

---

(1) سفر حزقيال، 13:37: אֶת־קִבְרוֹתֵיכֶם. إضافة من المترجم؛ نص الآية: וִידַעְתֶּם כִּי־אֲנִי יְהוָה בְּפִתְחִי אֶת־קִבְרוֹתֵיכֶם וּבְהַעֲלוֹתִי אֶתְכֶם מִקִּבְרוֹתֵיכֶם עַמִּי: فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي.
القرآن، 9:100.

(2) مشناه سنهدرين، 1:10.

(3) نص متى 22:23 وما بعد: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ إِلَيْهِ صَدُّوقِيُّونَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ، فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: ((يَا مُعَلِّمُ، قَالَ مُوسَى: إِنْ مَاتَ أَحَدٌ وَلَيْسَ لَهُ أَوْلاَدٌ، يَتَزَوَّجْ أَخُوهُ بِامْرَأَتِهِ وَيُقِمْ نَسْلاً لأَخِيهِ. فَكَانَ عِنْدَنَا سَبْعَةُ إِخْوَةٍ، وَتَزَوَّجَ الأَوَّلُ وَمَاتَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَسْلٌ تَرَكَ امْرَأَتَهُ لأَخِيهِ. وَكَذلِكَ الثَّانِي وَالثَّالِثُ إِلَى السَّبْعَةِ. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضًا. فَفِي الْقِيَامَةِ لِمَنْ مِنَ السَّبْعَةِ تَكُونُ زَوْجَةً؟ فَإِنَّهَا كَانَتْ لِلْجَمِيعِ!)). فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: ((تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ. لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللهِ فِي السَّمَاءِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ، أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ الْقَائِلِ: أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ؟ لَيْسَ اللهُ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ)). فَلَمَّا سَمِعَ الْجُمُوعُ بُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ. - مترجم.

بطبيعة الحال نفسه على الفهم العادي: «كيف يمكن لهذا الجسد الذي شهدناه يتفسّخ أن يقوم مرة أخرى، بحيث أن الشخصية ذاتها سوف تعاود الظهور؟». لا النفس وحدها ولا الجسم وحده هو الشخص، بل اتحاد الاثنين. نقول الآن إن أحد جزئي هذا الاتحاد قد تحلّل؛ وجسد آخر يمكن أن يُعطى في الواقع لهذه النفس، لكن بهذا يعني أن الذي مات لن يعاود الظهور، بل إنسان جديد، شخصية أخرى، ووعي آخر يأتي إلى الوجود. هذا السؤال كان يتوقع على نحو خافت أنه سيكون متطفلاً، ولا يمكنه أن يستقرّ إلا عبر أن الشخصية ذاتها يمكن أن تظهر مرة أخرى. وبدلاً عن هذا يقنع محمد نفسه بالمثل، المستخدم أيضاً في بعض الأحيان في التلمود، حول إحياء الأرض الجافة بالأمطار المخصبة. غير أنه وجد أنه لا يمكنه إسكات القناعات المشتركة بين الناس حوله،[1] وهكذا اضطر إلى العودة إليه مراراً وتكراراً. لقد سعى اليهود أيضاً إلى إعطاء أهمية لهذا التشابه، فقدّموا التقريظ[2] القائل، «الذي ينزل المطر» في البركة الثانية التي تتناول القيامة.[3] وواقعة أن الأخيار يقومون فعلياً بملابسهم[4] (التي هي في نهاية الأمر ليست أكثر عجائبية من أن يقوموا بأجسادهم) إنما تفسّر بمثل حبوب القمح، التي توضع في الأرض دون غطاء، لكنها تظهر ثانية بأغطية عديدة. والآية القرآنية 96:6 تحتوي عبارة مماثلة. هذا الرأي ليس غريباً على الإسلام، لأن قولاً يعزى إلى محمد يتحدّث إلينا بما يلي:[5] «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

---

(1) القرآن، 96:6؛ 49:30؛ 33-36؛ 39:41؛ 10:43 الخ.

(2) מוריד הגשם.

(3) شميت، البداية.

(4) سنهدرين، 2:9؛ كتوبوت، 2:3.

(5) Pococke, *notae miscellaneae*, Cap 7, p. 271.

إضافة من المترجم: في سنن أبي داود، نقرأ: قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب: ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت.

حدثنا الحسن بن علي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب عن ابن الهاد عن محمد بن

لا يحتاج إلى دليل بالطبع أنه من منظور الدين الموحى به فإن الاقتضاب في إمكانية الوحي حاجة أساسية، وفي هذا فإن آراء جميع الأديان الموحى بها متشابهة؛ مع ذلك فالاختلافات يمكن أن توجد في طريقة تصور الوحي، وهنا لا يسعنا إلا أن نقرّ مرة أخرى أن محمداً استمدّ رأيه بشأنه من اليهودية، وبطبيعة الحال مع بعض التعديل.

اليهود لديهم قول مفاده أن «جميع الأنبياء نظروا من خلال زجاج داكن، لكن موسى نظر من خلال زجاج نقي»،[1] ويقول محمد:[2] «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب»؛[3]

إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه لما حضره الموت دعا بثياب جُدُد فلبسها، ثم قال: [سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها)].

(1) رسالة يباموت التلمودية، 49: כל הנביאים ראו באספקלריא שאינה מאירה משה באספקלריא המאירה.

(2) القرآن، 42:50.

(3) يورد المفسرّون هذه الآية باعتبارها النص الذي يتمّ التنازع فيه حول أولوية موسى؛ ومن ثم يقول [الفيزار: وذلك أن اليهود قالوا للنبي (صلعم): أتكلّم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلّمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله عزّ وجل؛ فأنزل الله عز وجل: وما كانَ لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً إليه في المنام أو بالإلهام أو من وراء حجاب، يسمعه كلامه ولا يراه، كما كلّم موسى عليه السلام.

إضافة من المترجم من تفسير البغوي [لم نجد نصّاً مشابهاً في مجموعة التفاسير القرطبي، الجلالين، الطبري، وابن كثير]: قوله تعالى: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم.

فيه مسألتان: الأولى: قوله تعالى: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً سبب ذلك أن اليهود قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: إن موسى لم ينظر إليه فنزل قوله: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً. ذكره النقاش والواحدي والثعلبي. (وحياً) قال مجاهد: نفث ينفث في قلبه فيكون إلهاماً، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم. أو من وراء حجاب كما كلم موسى. أو يرسل رسولاً كإرساله جبريل

ومن ثم يضيف[1] «أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء». هذا الرسول هو الروح القدس،[2] أو ببساطة الروح،[3] مثل الروح في قصة رؤيا ميخا.[4] والمفسّرون العرب يعتبرون أن هذا الروح القدس يعني جبريل، وهو رأي ليس غير معروف لليهود، لأن المفسرين اليهود يفهمون الكلمات التي تقول[5] «روح يتحدّث بالتأكيد» على أنها إشارة إلى جبريل. أحد أقوال محمد الخاصة، وهو قول مختبر تماماً من قبل السنة 52، ملفت للنظر أكثر من ذلك بكثير:[6] «ويسألونك عن الروح، قل الروح (تخرج) من أمر ربّي».

مع هذا فالتعاليم بشأن الملائكة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، وكان لها هي أيضاً

عليه السلام. وقيل: إلا وحياً رؤيا يراها في منامه، قاله محمد بن زهير. أو من وراء حجاب كما كلم موسى. أو يرسل رسولاً قال زهير: هو جبريل عليه السلام. فيوحي بإذنه ما يشاء وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم للأنبياء يسمعونه نطقاً ويرونه عياناً. وهكذا كانت حال جبريل ـ عليه السلام ـ إذا نزل بالوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم. قال ابن عباس: نزل جبريل ـ عليه السلام ـ على كل نبي فلم يره منهم إلا محمد وعيسى وموسى وزكريا عليهم السلام. فأما غيرهم فكان وحياً إلهاماً في المنام. وقيل: إلا وحياً بإرسال جبريل أو من وراء حجاب كما كلم موسى. أو يرسل رسولاً إلى الناس كافة. وقرأ الزهري وشيبة ونافع (أو يرسل رسولاً فيوحي) برفع الفعلين. الباقون بنصبهما. فالرفع على الاستئناف، أي: وهو يرسل. وقيل: (يرسل) بالرفع في موضع الحال، والتقدير إلا موحياً أو مرسلاً. ومن نصب عطفوه على محل الوحي؛ لأن معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي أو يرسل. ويجوز أن يكون النصب على تقدير حذف الجار من أن المضمرة. ويكون في موضع الحال، التقدير أو بأن يرسل رسولاً. ولا يجوز أن يعطف (أو يرسل) بالنصب على (أن يكلمه) لفساد المعنى؛ لأنه يصير: ما كان لبشر أن يرسله أو أن يرسل إليه رسولاً، وهو قد أرسل الرسل من البشر وأرسل إليهم.

(1) راجع الهامش السابق ـ مترجم.

(2) روح قدس רוח הקדש. το πνευμα αγιον.

(3) القرآن، 38:78؛ 4:97.

(4) سفر الملوك الأول، 21:22: וַיֵּצֵא הָרוּחַ וַיַּעֲמֹד לִפְנֵי יְהוָה וַיֹּאמֶר אֲנִי אֲפַתֶּנּוּ וַיֹּאמֶר יְהוָה אֵלָיו בַּמָּה: ثم خرج الروح ووقف أمام الربّ وقال: أنا أغويه. وسأله الربّ: بماذا؟

ملاحظة من المترجم: لا يورد غايغر غير الكلمات الثلاث الأولى من الآية.

(5) רוח פסקנית، سنهدرين، 44.

(6) القرآن، 87:17.

بداياتها في الأسفار المقدّسة، لكن يبدو أنها تطوّرت في الأيام اللاحقة وخاصة من خلال البارسية[1]. محمد لا يناله التعب في وصفه للملائكة؛ وكذلك أيضاً اليهود المتأخرون في صلواتهم العديدة في يوم الغفران، لكن هذه الصلوات من أصل متأخر نوعاً ما.[2] ملاك الموت[3] يذكر بشكل خاص في الآية 11:32.

في حين كانت الملائكة تعتبر كائنات روحية والذين ينفذّون أوامر الله، تمّ تصوّر فئة من كائنات تقف بين الإنسان والأرواح الأنقى؛ وكان هؤلاء أرواح مختلطة، والتي جُعلت من النار،[4] الذين يمتلكون قوى عقلية فائقة، لكن الذين كانوا بمعظمهم يميلون إلى الشر، وكانوا يدعون[5] بالشياطين، لكن لهم العديد من الأسماء الأخرى باللغة العربية. في التلمود نجد النص التالي بشأنهم:[6] «يقال إن الشياطين لديهم ست صفات، ثلاث منها ملائكية وثلاث بشريّة. الثلاث التي تخص الملائكة هي أن لديهم أجنحة، وأنهم يمكنهم أن يطيروا من أقصى الأرض إلى أقصاها (أي أنهم غير مقيدين بالمكان)، وأنهم يعرفون المستقبل مسبقاً. يعرفون المستقبل مسبقاً؟ لا! ولكنهم يسترقون السمع من

---

(1) لقد أظهرنا في عملنا غير المنشور، تاريخ الملائكة، أن أصل الملائكة اليهود زرادشتي [بارسي] بالكامل. مترجم.

(2) القرآن، 1:35؛ 1:37؛ 7:40؛ 1:77 وما بعد؛ 11:79 وما بعد.

(3) מלאך המות.

(4) القرآن، 27:15.

(5) שדים جن.

ملاحظة من المترجم: باحثون كثيرون يعتبرون «جن» قادمة من «جيني» الأفستية الزرادشتية التي تعني «روحاً أنثوية شريرة». ثمة علاقة بين شديم العبرية وجن العربية. ناقشها بالتفصيل هاينريش شباير في عمله، قصص أهل الكتاب في القرآن.

(6) ששה דברים נאמרים בשדים שלשה כמלאכי השרת ושלשה כבני אדם שלשה כמלאכי השרת יש להם כנפים וטסין מסוף העולם ועד סופו ויודעין מה שעתיד להיות יודעין סלקא דעתך אלא שומעין מאחורי הפרגוד ושלשה כבני אדם אוכלין ושותין פרין ומתין.

وراء ستار. أما الثلاث البشرية فهي أنهم يأكلون ويشربون، يتزايدون ويكثرون،[1] ويموتون».[2] لا يقدّم التقليد الإسلامي ما يكفي لوصفهم، فليس هنالك سوى القليل عنهم في القرآن. وواقعة أنهم كانوا يسترقون السمع في قبّة السماء أكسبت واحدهم في القرآن اللقب رجيم،[3] لأن الملائكة، كما يقول المفسّرون، كانت ترجمهم بالحجارة لإبعادهم عندما كانوا يجدونهم يسترقون السمع.[4] وهكذا يقال صراحة[5] «وجعلناها (مصابيح السماء) رجوماً للشياطين». والسورة الثانية والسبعين تتناولهم بالتفصيل، وتسعى بشكل خاص إلى إقرار موافقتها على المذهب الجديد. ويذكر التلمود أيضاً أنهم يحضرون عند إعطاء التعاليم. والمقطع التالي من رسالة بيراخوت التلمودية يظهر هذا. «الضغط في المدرسة هم سببه، أي الشياطين»[6]. مع هذا يمكننا أن نقارن القرآن، «وأنه عندما قام

---

(1) الجن قيل هم نوع من الملائكة وإبليس أبو الجن فله ذرية ذكرت معه، والملائكة لا ذرية لهم. جلال الدين في Maracci in Prodr. 2:1. ملاحظة من المترجم: النص من تفسير الجلالين. في نص غايغر يقال جلال الدين؛ ولا فكرة لدينا إن كان المقصود بذلك الجلالين: الآية 50 من سورة الكهف:

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا.

«وإذ» منصوب باذكر «قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له «فسجدوا إلا إبليس كان من الجن» قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم. «ففسق عن أمر ربه» أي خرج عن طاعته بترك السجود. «أفتتخذونه وذريته» الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضعين لإبليس. «أولياء من دوني» تطيعونهم «وهم لكم عدو» أي أعداء حال «بئس للظالمين بدلاً» إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

(2) حغيغاه، 1:16. ملاحظة من المترجم: ترجمنا من التلمود البابلي نصين هامين، رسالة عبدة الأوثان، ورسالة الحغيغاه. نشرنا الأول وبقي الثاني في خزانتنا الخاصة.

(3) القرآن، 17:15، 34: 78:38، 24:81: رجيم.

(4) التفسير الإسلامي للنجوم الساقطة.

(5) القرآن، 5:47؛ قارن: 7:37.

(6) דהאי דוחקא דבית כלה מינייהו הוא.

عبد الله يدعوه، كادوا يكونون عليه لبداً»[1]. لا يمكن التأكيد بأن الجزء الأكبر من التعاليم المتعلّقة بالجن كانت متبناة عن اليهودية، بل يجب بالأحرى القول إنها قد جاءت من المصدر المظلم ذاته الذي استمدّ منه يهود تلك الأوقات هذه المفاهيم، أي البارسيّة[2].

حتى هنا، كما هي الحال مع أي نقطة التي هي من أصل لا يمكن الوصول إليه، فالإشارة إلى تشابه مجرّد لا تخلو من فائدة.

في ظل هذه العناوين الكبيرة الأربعة إذن، أي (1) الخلق، (2) القصاص بما في ذلك الدينونة الأخيرة والقيامة، (3) شكل الوحي، و(4) عقيدة الأرواح، توجد تفاصيل، يمكن النظر إلى تبنيها من اليهودية على أنه مثبت بما فيه الكفاية. والتحفظ في الشرح، بدافع حبنا لموضوعنا، الذي هو مشترك إما للمشاعر الدينية العامة للإنسانية، أو لجميع الأديان الموحى بها، أو على الأقل تلك التي تنتمي إلى أحزاب دينية معروفة في زمن محمد الخاصّة فقط باليهودية، يجبرنا على تثبيت هذه الحدود. وقد وجدنا الكثير من الاهتمام خاصة تحت العنوان الكبير الثاني، بحيث قد يبدو أن مطالب موضوعنا قد تمت تلبيتها جيداً نوعاً ما.

القواعد الأخلاقية والتشريعية

من الواضح أن جميع الوصايا الفردية تشكّل في الدين الموحى به جزءاً من الدين، ولا يمكن للمرء من ثمّ أن يرسم خطاً حاسماً للتمييز بين «الديني» و«الأخلاقي». وبناء على ذلك لم نضع أي شيء والذي يتعلّق بالسلوك تحت العنوان الرئيس آ، حتى لو أنه قد يكون مرتبطاً على الفور بنقاط الاعتقاد قيد

(1) القرآن، 19:72.

(2) ثمّ نقش آرامي من بلدة قرب تدمر حول دفع الجزية لجنايه، الآلهة الطيبة والتي تقدم الثواب، ونعرف من نقوش من شمال الجزيرة الغربي أن قبائل عربية كانت تعبد الجن. ـ مترجم.

المناقشة، ولذا فإننا قادرون على أن نجمع هنا كل الوصايا المتعلقة بالسلوك. من حقيقة أن كل وصيّة فردية هي إلهية، يمكن أن ينشأ تضارب واجبات بسهولة، والذي لا يمكن إنهاؤه بسهولة بحكم خاص، على اعتبار أن جميع الوصايا متساوية،[1] بقدر ما يهم الأمر مؤلفها. ولذلك يجب وضع قواعد لمثل هذه الحالات. على سبيل المثال، نجد ما يلي في الكتابات الحاخامية[2] حين يقول أب (لابنه إذا كان كاهناً)، «دنّس نفسك»، أو حين يقول «لا تطلب استعادة (شيء الذي وجد مالكه)»، فهل عليه أن يطيعه؟ نتيجة لذلك، مكتوب[3] «ليهب كل إنسان أمه وأباه، واحفظوا سبوتي، أنا الرب إلهكم». ويقول محمد:[4] «ووصينا الإنسان بوالديه حسناً، وإن جاهداك أن تشرك بي، ما ليس لك به علم، فلا تطعهما». ومن المعروف أن اليهودية غنية جداً بالوصايا الفرديّة، وقد استعار محمد منها الكثير مما بدا له مناسباً.

أولاً. *الصلاة*. محمد مثل الحاخامات يصف وضعيّة الوقوف[5] للمصلّي. وهكذا نقرأ: «وقوموا لله قانتين؛ فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً»؛[6] وأيضاً: «الذين يذكرون الله، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم»[7].

---

(1) *فاكهة الخلفاء*، 94، يثبت أن هذا هو بالفعل الرأي العربي: قال بعض أهل الأفضال إن معاصي العباد ليس فيها صغيرة، وإنّما كلّ ما يخالف الأمر كبيرة، وذلك بالنظر إلى جناب الآمر تعالى وتقدّس.

(2) يباموت 6. אמר לו אביו הטמא או אמר לו אל תחזיר יכול ישמע לו תלמוד לאמר איש אמו ואביו תיראו ואת־שבתתי תשמרו כלכם חיבים בכבודי.

(3) سفر اللاويين، 3:19: «אִישׁ אִמּוֹ וְאָבִיו תִּירָאוּ וְאֶת־שַׁבְּתֹתַי תִּשְׁמֹרוּ אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם: تهابون كُلُّ إنسانٍ أمَّهُ وأباهُ وتحفظونَ سُبوتِي. أنا الرَّبُّ إلهُكُم».

(4) القرآن، 7:29.

(5) لاحظ التعبير التلني، أقام الصلاة؛ قارن مع التعبير الحاخامي، עמד בתפלה [وقف في الصلاة]. الترجمة من العبرية للمترجم.

(6) القرآن، 240:2.

(7) القرآن، 188:3.

هذه الأوضاع الثلاثة تُذكر مرة أخرى في الآية 13:10: «وإذا مسّ الإنسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً»، حيث بإدراك حقيقي للترتيب الصحيح، فالوضعية الأقل أهمية هي التي تُذكر أولاً.[1]

وهكذا يفسرّ البيضاوي الآية 188:3، المقطع المشار إليه أعلاه: «معناه يصلّون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم، لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين: «صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»». لم يكن اليهود صارمين جداً في هذه المسألة، لكن لديهم أيضاً قاعدة بأن الصلاة يجب أن تؤدّى وقوفاً؛[2] وفي الكتابات الحاخامية يُقال أيضاً إن من يركب حماراً يجب أن ينزل عنه لكن ثمة إضافة تفيد، أنه حين لا يستطيع النزول من على الحمار فيجب أن يُيَمِّمَ وجهَه (شطر القدس).[3] وكون الوضعية الجسدية يمكن لها أن تتغيّر، كذلك فالصلاة نفسها يمكن اختصارها في مناسبات مماثلة.[4] وهكذا نجد الإذن بتقصير الصلاة في زمن الحرب: «وإذا ضربتم في الأرض،[5] فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة». كذلك فقد سُمح لليهود أيضاً بتقصير الصلاة عندما يكونون في مكان خطير.[6] يعترض محمد تماماً على الثرثرة التي لا معنى لها، لأنه يعتبر من ميزات المؤمنين أنهم «عن اللغو معرضون».[7] وذلك

---

(1) قارن أيضاً، القرآن، 46:4.

(2) תפלה מעמד. قارن: بيراخوت، 10.

(3) مشناه بيراخوت، 5:4: היה רוכב על החמור ירד ואם אנו יכול לירד יחזיר פניו.

(4) القرآن 102:4: وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة.

(5) قارن مع التعبير المشابه بالعبرية، שוט בארץ

(6) مشناه بيراخوت، 4:4: המהלך במקום סכנה מתפלל תפלה קצרה.

(7) القرآن، 33:23.

قارن: سفر الجامعة 1:5: אַל־תְּבַהֵל עַל־פִּיךָ וְלִבְּךָ אַל־יְמַהֵר לְהוֹצִיא דָבָר לִפְנֵי הָאֱלֹהִים כִּי הָאֱלֹהִים בַּשָּׁמַיִם וְאַתָּה עַל־הָאָרֶץ עַל־כֵּן יִהְיוּ דְבָרֶיךָ מְעַטִּים׃ إِحفَظ قَدَمَك حِينَ تَذهَبُ إِلَى بَيتِ اللهِ فَالاِستِمَاعُ أَقرَبُ مِن تَقدِيمِ ذَبِيحَةِ الجُهَّالِ لأَنَّهُمْ لا يُبَالُونَ بِفِعلِ الشَّرّ.

لأن ما يُهدف إليه هو الانتباه والتركيز التقي للفكر، كما يطلب[1] من المؤمنين أن لا يقربوا الصلاة وهم سكارى. هذا عملاً بالقاعدة التلمودية: «الصلاة محرمة على السكارى».[2] وهي محرّمة على أولئك الذين لامسوا النساء.[3] فهؤلاء لا يحق لهم الصلاة قبل أن يغتسلوا بالماء، فالطهارة موصى بها كقاعدة عامة من قبل القرآن[4] والتلمود. بدلًا من الماء، يمكن أن تتم الطهارة بالتراب[5] وهكذا نقرأ في التلمود: «إنه يطهر نفسه بالتراب وهذا يكفي من ثم». وكما أن تركيز الفكر مفروض عليه كواجب، يعقب ذلك أن الصلاة حتى وإن كانت مسموعة يجب أن لا تكون صاخبة،[6] ومن ثم يقول محمد: «لا تجاهر بصلاتك ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلاً»؛ وفي التلمود نجد:[7] «من سلوك حنا الذي كان في الصلاة يحرك شفتيه نتعلّم أن من يصلي يجب أن يتلفظ بالكلمات، وأيضاً كون صوته لم يكن مسموعاً نتعلّم أنه يجب أن لا يرفع صوته عالياً». لكن لأن مزاجنا لا يدفعنا في جميع الأوقات نحو حماسة الصلاة، فإن الطقس الخارجي ضروري، والصلاة فعلياً ضمن جماعة كبيرة، والتي من شأن تقواها أن تحفز تقوانا.[8]

---

(1) القرآن، 46:4: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى.

(2) שכור אסור להתפלל؛ بيراخوت، 2:331؛ عروبين، 64.

(3) القرآن، 46:4: لامستم النساء؛ 9:5؛ قارن: مشناه بيراخوت، 4:33: בעל קרי.

(4) القرآن، 8:5؛ بيراخوت 46.

(5) تيمّم؛ 46:4؛ 9:5؛ قارن: العبارة التلمودية מקנח בצרור ודי״.

(6) القرآن، 110:17.

(7) صموئيل الأول، 13:1: וְחַנָּה הִיא מְדַבֶּרֶת עַל־לִבָּהּ רַק שְׂפָתֶיהָ נָּעוֹת וְקוֹלָהּ לֹא יִשָּׁמֵעַ וַיַּחְשְׁבֶהָ עֵלִי לְשִׁכֹּרָה: فإنّ حنّة كانت تتكلّمُ في قلبِها، وشفتاها فقط تتحرّكان، وصوتُها لم يُسمعْ أنّ عاليَ ظنّها سكرى؛ بيراخوت 2:31؛ רַק שְׂפָתֶיהָ נָּעוֹת מכן למתפלל צריך שיחתך בשפתיו וְקוֹלָהּ לֹא יִשָּׁמֵעַ מכן למתפלל שלו ישמיע קולו.

(8) قارن: السنة 86، 87، 88، 89.

ملاحظة من المترجم: من نقاط الضعف القليلة في هذا البحث الطليعي، افتقاد غايغر لنوع من الاطلاع غير المبسّط على السنّة النبوية وضعف توثيقه لما يورده من نصوصها. هنا، على سبيل المثال، لا نتملك الوسيلة إلى معرفة هذه النصوص.

و«الصلاة جماعة»[1] يُشاد بها كثيراً من قبل اليهود. الفجر، الذي هو مذكور في التلمود بالعلاقة مع صلاة شماع[2]، باعتباره الوقت الذي «يمكن للمرء فيه أن يميّز بين الخيط الأزرق والخيط الأبيض»،[3] لا يذكر في هذا السياق في القرآن بالفعل، لأن القرآن لا يعرف شيئاً عن صلاة شماع، لكنه يظهر في سياق بداية يوم الصوم:[4] «حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر».

ثانياً. بعض الأحكام المتعلقة بالنساء في اليهودية. من ذلك مثلاً، تربّص المرأة المطلقة ثلاثة أشهر قبل أن يمكنها أن تتزوج مرة أخرى.[5] زمن الرضاعة يعتبره الطرفان على أنه حولان.[6] «على الأمهات أن يرضعن أبناءهن حولين كاملين». وبالمثل نقرأ في الآية 14:46: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً»، وهو ما يفسره إلفيرار على النحو التالي:[7] «إنه يأخذ أقصر مدة الحمل، بمعنى ستة أشهر،

---

(1) תפלה בצבור.

(2) شماع يسرائيل שְׁמַע יִשְׂרָאֵל (اسمع يا إسرائيل): أول كلمتين من مقطع من التوراة تُقالان في صلاتي الصباح والمساء اليهوديتين. النص من تثنية 4:6 وما بعد: שְׁמַע יִשְׂרָאֵל יְהוָה אֱלֹהֵינוּ יְהוָה אֶחָד׃ וְאָהַבְתָּ אֵת יְהוָה אֱלֹהֶיךָ בְּכָל־לְבָבְךָ וּבְכָל־נַפְשְׁךָ וּבְכָל־מְאֹדֶךָ׃ וְהָיוּ הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה אֲשֶׁר אָנֹכִי מְצַוְּךָ הַיּוֹם עַל־לְבָבֶךָ׃ וְשִׁנַּנְתָּם לְבָנֶיךָ וְדִבַּרְתָּ בָּם בְּשִׁבְתְּךָ בְּבֵיתֶךָ וּבְלֶכְתְּךָ בַדֶּרֶךְ וּבְשָׁכְבְּךָ וּבְקוּמֶךָ׃ וּקְשַׁרְתָּם לְאוֹת עַל־יָדֶךָ וְהָיוּ לְטֹטָפֹת בֵּין עֵינֶיךָ׃ וּכְתַבְתָּם עַל־מְזֻזוֹת בֵּיתֶךָ וּבִשְׁעָרֶיךָ׃ اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ، وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ. - مترجم عربي.

(3) مشناه بيراخوت: משיכיר בין תכלת ללבן.

(4) القرآن، 183:2.

قارن الهامش في القسم الأول حول الملاحظات المتعلّقة بيوم الصوم، عاشوراء.

(5) القرآن، 228:2؛ قارن: مشناه يباموت 10:4: גרושות לא ינשאו עד שיהיו להן שלשה חדשים.

(6) القرآن، 233:22: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين؛ قارن: القرآن، 14:31.

(7) إضافة من المترجم: قاد الفقهاء من قوله تعالى وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا بأن أقل مدة الحمل

وأقصر للرضاع، أي أربعة وعشرين شهراً». قارن مع القول التلمودي:[1] «على المرأة أن ترضع ابنها حولين، وبعد ذلك يكون الأمر كما لو أن دودة هي التي ترضع». أما بالنسبة لأولئك الأقارب الذين يحظر زواجهم في الكتاب المقدس فإنهم بالتحديد أولئك الذين يسمح لهم محمد[2] بأن يروا قريباتهم الأقرب دونما حجاب وهو ما لاحظه ميخائيليس للتو في المنظومة الموسوية، حيث أظهر العلاقة بين الشرعين.

بما أنه لم يكن محمد ينوي إلا على نحو ضئيل جداً على فرض منظومة جديدة لشرائع فردية، لأن هدفه كان يركّز أكثر بكثير على نشر آراء دينية نقيّة جديدة، أما بالنسبة لمسألة الممارسة، فقد كان عربياً إلى درجة كبيرة للغاية حتى يحيد عن الأعراف الموروثة، ما لم تكن تتعارض على نحو مباشر مع هذه الآراء الدينية الرفيعة، ومن السهل تفسير كيف أن القليل جداً من الاستعارات موجودة في هذا الجزء، بل إن كثيراً مما هو مستشهد به إنما يمكن أن يُزعم أنه عرف شرقي عام. علاوة على ذلك سنجد في الملحق أن محمداً يذكر العديد من الشرائع اليهودية التي كانت معروفة من قبله؛ فهو يلمح أحياناً إلى هذه الشرائع باعتبارها ملزمة لليهود، وأحياناً لمجرد التنازع

هي ستة أشهر، وأكثر مدة للرضاع أربعة وعشرون شهراً. قال ابن عباس: إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحداً وعشرين شهراً وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً.. وقال الشوكاني: وقد استدل بهذه الآية على أن أقل الحمل ستة أشهر، لأن مدة الرضاع سنتان، أي: مدة الرضاع الكامل، كما في قوله ـ تعالى ـ : {والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرضاعة} فذكر ـ سبحانه ـ في هذه الآية أقل مدة الحمل، وأكثر مدة الرضاع.وفي هذه الآية إشارة إلى أن حق الأم آكد من حق الأب، لأنها هي التي حملت وليدها بمشقة ووضعته بمشقة، وأرضعته هذه المدة بتعب ونصب أ.هـ طنطاوي.. وقال الشنقيطي: قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ : وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا.

(1) אשה מיניקה את בנה שתי שנים מכן ואילך כיונק שקץ.

قارن: يوسيفوس، عاديات، 9:2.

(2) القرآن، 31:34.

فيها، ومن هنا نرى أنه لم تكن رغبة معرفتها التي منعته عن استخدامها، بل هدف مختلف تماماً. يجب أن تنطبق هذه الملاحظة أيضاً على عنواننا الكبير الثالث، حيث لا توجد تحته سوى حالات معزولة من التبني فقط، باستثناء تلك الأوضاع التي يكون فيها الرأي مرتبطاً ارتباطاً مباشراً ببنود الإيمان العليا المتبناة عن اليهودية، والتي سبق ذكرها.

آراء الحياة

في جمعنا لتلك الأقوال المتشظية المفردة، وجدنا أنها لا تكاد تستحق أن يتم ترتيبها وفقاً لأي نظام جديد، ولذا فإننا سوف نتبع نظام القرآن.

الموت مع الصالحين يجب أن تكون له قيمته العالية، ومن هنا كان الطلب في القرآن: «توفنا مع الأبرار»،[1] جعل لنا أن نموت مع الصالحين» الذي يتوافق مع طلب بلعام، «لتمت نفسي موت المستقيمين».

«لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن يشاء الله».[2]

يُنسب الفهم الكامل للمرة الأولى إلى الرجل عندما يبلغ من العمر أربعين عاماً.[3] ويقال في المشناه: «في سن الأربعين يصل الرجل إلى العقل». لذلك فإن البحث عن بعض الأشخاص، الذين تنطبق عليهم هذه الجملة من القرآن، كما

---

(1) القرآن، 191:3. قارن سفر العدد: 10:23: מִי מָנָה עֲפַר יַעֲקֹב וּמִסְפָּר אֶת־רֹבַע יִשְׂרָאֵל תָּמֹת נַפְשִׁי מוֹת יְשָׁרִים וּתְהִי אַחֲרִיתִי כָּמֹהוּ: إنْ كانَ فِيكَ رَجُلٌ غيرَ طاهِرٍ مِنْ عارِضِ الليْلِ يَخْرُجُ إلى خارِجِ المَحَلةِ. لا يَدْخُل إلى دَاخِلِ المَحَلةِ.

(2) القرآن، 23:18. قارن مع التعبير العبري: אם ירצה השם.

(3) بلغ أربعين سنة. قارن: أبوت، 21:5: בן ארבעים לבינה.

كون الفهم التام لا يتم الوصول إليه حتى إكمال الأربعين من العمر هو أمر يلحظه أيضاً فيلون السكندري (εβδομάδι) συνέσεως ά κμη εκτη) δε، الذي يعتبر هنا السنة الحادية والأربعين من العمر، فقط لأنه يعلّق فضيلة خاصّة على الرقم سبعة، وهو ما يتفق سولون معه فيه. (Ed. Pfeifer, I .72 ـ Vid. Philo, *de Opificio Mundi*, pp. 70).

يفعل المفسّرون العرب، يبدو غير ضروري تماماً؛ كذلك فهي تصبح مشكوكاً فيها للغاية من خلال الاختلافات الواسعة بين الآراء المتباينة. في القرآن نجد المقارنة بين أولئك الذين يحملون حملاً دون فهم طبيعته وأولئك الذين يحملونه دون فائدة من ناحية، والحمار الذي يحمل أسفاراً[1]. «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها».[2] هذا مشابه جداً للقول العبري: «من يطلب الرحمة لآخر بينما يحتاج هو ذاته إلى الشيء ذاته إنما يحصل على العون أولاً». في نصّ من السُنّة 689: «ثلاثة أشياء تتبع الموتى، لكن اثنين منها يرجع، عائلته، متاعه، وأعماله تتبعه. تتخلّى عنه عائلته ومتاعه مرة أخرى، ووحدها أعماله تبقى معه». وهذا أيضاً موجود بتفصيل كبير في العبرية الحاخامية:[3] «للرجل ثلاثة أصدقاء في

---

(1) القرآن، 5:62. قارن التعبير العبراني: חמור נשא ספרים. (حمور نسا سفريم: حمار يحمل أسفاراً).

(2) القرآن، 87:4. قارن مع الرسالة التلمودية بابا قما: כל המבקש רחמים על חברו והוא צריך לאותו דבר הוא נענה תחלה.

(3) برقيه دراف إليعزر (بالآرامية التلمودية פרקי דרבי אליעזר)، 34: ملاحظة من المترجم: نقدّم هنا نص البرقيه، الفقرة 34، كاملاً: ויזרע יצחק בארץ ההיא ר' אליעזר אומ' וכי זרע דגן זרע יצחק חס ושלום אלא לקח כל מעשר ממונו וזרע צדקה לעניים ולאביונים כשם שאתה אומר זרעו לכם לצדקה קצרו לפי חסד וכל דבר ודבר שעישר פתח לו הקב"ה מאה שערין של מיני ברכות של' וימצא בשנה ההיא מאה שערים ר' שמעון אומ' מכח צדקות המתים עתידים להחיות מניין אנו למדין מאליהו התשבי שהלך לו לצרפת וקבלתו אשה אלמנה בכבוד גדול אמו של יונה ומפיתו ומשמן יצהרו היו אוכלין ושותין הוא והיא ובנה שנ' ותאכל היא והוא בזכות אליהו אכלו לאחר ימים חלה בן האשה ומת שנ' ויהי אחרי הדברים האלה חלה בן האשה וגו' אמרה לו האשה באת אלי בתשמיש המטה והזכרת עוני עלי ומת בני אלא טול כל מה שהבאת לי ותן לי את בני עמד אליהו ז"ל והיה מתפלל לפני הקב"ה ואמ' לפניו רבון כל העולמים לא דיי כל הרעות שעברו על ראשי אלא אף האשה הזאת שאני יודע שמתוך צרת בנה דברה דבר שלא נעשית הביאה עלי לעשקני עכשיו ילמדו כל הדורות שיש תחיית המתים השב הנפש הילד הזה לקרבו ונעתר לו שנ' וישמע ה' בקול אליהו וגו' וכתיב אחר אומ' ויקח אליהו את הילד וגו' ר' יהושע בן קרחה אומ' ועל זה אתה תמה אל תתמה בא וראה מאלישע בן שפט שלא היתה אשה יכולה להסתכל בפניו שלא תמות והיה מהלך מהר אל הר וממערה אל מערה והלך לשונם וקבלתו אשה בכבוד גדול

אחותה של אבישג השונמית אמו של עדו הנביא שנ' ויהי היום ויעבור אלישע אל שונם
אמרה האשה לבעלה איש האלהים הזה אין אשה יכולה להסתכל לפניו שלא תמות אלא
נעשה נא עליית קיר קטנה ונשים לו שם מטה ושלחן וכסא ומנורה וכל פעם שהוא עובר
יסור שם אל העליה שנ' ויהי היום ויבא שמה קרא לשונמית שנ' ויאמר קרא לה ויקרא לה
ותעמוד בפתח ולמה עמד בפתח אלא שלא היתה יכולה לעמוד בפניו שלא תמות אמ' לה
למועד הזה כעת חיה את חובקת בן מפרי מעיך אמרה לה אדוני זקן מאד וחדלה ממני
אורח נשים ואי אפשר לעשות הדבר הזה אל אדוני איש האלהים אל תכזב בשפחתך ר'
זכריה אומ' רצון יראיו יעשה עשה הב"ה רצונו של נביא והרתה וילדה ויגדל הנער ויצא לו
לפוגת נפש לראות בקוצרים וקראו אסון ומת שנ' ויהי היום ויצא אל אביו אל הקוצרים
הרא כלהון עד מנו שנ' וישב על ברכיה עד הצהרים וימת הלכה האשה להר הכרמל ונפלה
פניה רצפה לפני אלישע ואמרה הלואי שיהיה כלי ריקם אלא שנתמלא ונשפך אמ' הנביא
כל דבר שהב"ה עושה הוא מגיד לי וזה הדבר העלים ממני שנ' ותבא אל איש וכו' מה הוא
להדפה מלמד שנתן את ידו בהוד שעל גבי דדיה שנ' ויאמר איש האלהים העלים ממני
ולא אמר לי לקח את המשענת אשר בידו ונתן לגחזי אל תדבר בפיך כל דבר ומאומה
דע שאתה הולך ומתן את המשענת הזאת על פני הנער ויחיה היה הדבר כשחוק בעיניו
וכל אדם שהיה פוגע היה אומ' התאמין שהמטה הזה מחיה את המת לפיכך לא עלתה
בידו עד שהלך הוא ברגליו ונתן פיו על פיו ועיניו על עיניו והתחיל מתפלל לפני הב"ה
ואומ' לפניו רבון על העולמים כשם שעשית נסים על ידי אליהו והחיה את המת כך יחיה
הנער הזה ונעתר לו הב"ה שנ' וישב וילך בבית אחת הנה ואחת הנה ויזורר הנער עד
שבע פעמים ר' זעירא אומ' תדע לך כח הצדקה בא וראה משלום בן תקות שהיה מגדולי
הדור והיה עושה צדקות בכל יום ומה היה עושה היה ממלא את החמת מים והיה יושב
על פתח העיר וכל אדם שהיה בא מן הדרך היה משקה אותו ומשיב נפשו עליו ובזכות
צדקות שעשה שרתה רוח הקדש על אשתו שנ' וילך חלקיהו הכהן אל חולדה הנביאה
אשת שלום בן תקות אלמפרע נקרא שמו בן סחרה כשם שאתה אומ' כי טוב סחרה וכתב
אחר אומ' בן סחרה ונשמת במלה חסרה צדקות בעליה ויצאו כל ישראל לגמול חסד עם
שלום בן תקות וראו את הגדוד שבא אליהם והשליכו את האיש אל הקבר מאלישע ויחיה
שנ' ויגע האיש וכו' ואחר כך הוליד את חנמאל שנ' הנה חנמאל בן שלום דודך וכו' ר'
אליעזר אומ' תדע לך כח הצדקה בא וראה משאול בן קיש שהסיר את האבות והידעונים
מן הארץ וחזרת אשר שנא והלך לו לעין דור לאשת צפניה אמו של אבנר ושאלה לו באוב
והעלה את שמואל הנביא וראו המתים את שמואל עולה והלכו עמו סבורים שהגיע תחיית
המתים וראתה האשה ונבהלה הרבה מאד שנ' ויאמר לה המלך אל תיראי כי מה ראית ויש
אומרים צדיקים רבים כיוצא בו עלו עמו באותה שעה ר' אליעזר אומ' כל המתים עומדים

בתחיית המתים לבשים תכריכתם תדע לך שהוא כן בא וראה מן הזרע בארץ שהוא זרע ערומים ועולים לבושים כמה קלפות וחיורדים לבושים אך עולין לבושים ולא עוד אלא בא וראה מן חנניא מישאל ועזריה שירדו לתוך כבשן של אש לבושים בתכריכין שנ' ומתכנשן אחשדרפניא וכו' למדו משמואל הנביא שעלה והוא מתעטף מעיל שנ' ותאמר איש זקן עולה והוא עוטה מעיל וכו' ר' יוחנן אומ' כל הנביאים נתנבאו בחייהם ושמואל נתנבא בחייו ולאחר מותו שנ' שמואל לשאול אם אתה שומע לעצתי לנפול בחרב ותהא מיתתך כפרה עליך ויהא גורלך עמי במקום שאני שמי שם ושמע שאול לעצתו ונפל בחרב הוא וכל בניו שנ' וימת שאול וג' בניו למה שיהא חלקו עם שמואל הנביא לעתיד לבוא שנ' ומחר אתה ובניך עמי מה הוא עמי ר' יוחנן אומ' עמי במחיצתי הלל הזקן אומ' אמ' שמואל לשאול לא דייך שלא שמעת בקולו ולא עשית חרון אפו בעמלק אלא גם לשאול לו באוב ולדרוש אוי לרועה אוי לצאנו בשבילך נתן הב"ה את ישראל עמך ביד פלשתים שנ' ויתן ה' גם את ישראל ר' תנחום אומ' גלו ישראל לבבל ולא הניחו מעשיהם הרעים אחאב בן קוליה וצדקיה בן מעשיה מעשו רפאים רפאי שקר והיו מרפאים את נשי כשדים נבאין עליהם בתשמיש המטה שמע המלך צוה לשרפן אמרו שניהם יהושע בן יהוצדק כאמר שהיה עמנו והוא מצילנו משרפת האש אמרו לו אדני המלך האיש הזה היה עמנו בכל דבר צוה המלך לשרוף את שלשתן וירד מיכאל המלאך והציל את יהושע בן יהוצדק משריפת האש והעלהו לפני כסא הכבוד שנ' ויראני את יהושע בן יהוצדק וכו' ושניהם נשרפו באש ולוקח מהם קללה אשר קללם מלך בבל באש אין כתיב כאן אלא אשר קלם הא למדנו שנתחתמו שערותיו בעצמותיהם שנ' בגאות רשע ידלק עני וכו' הלא זה אוד מוצל מאש ר' יהושע אומ' כשהביא נבוכד נצר עלילות של דברים על ישראל להרגן העמיד צלם בבקעה דורא והוציא כרוז ואמ' כל מי שלא ישתחוה לצלם הזה ישרף באש וישראל לא בטחו בכל יוצרם ובאו הם ונשיהם והשתחוו לע"ז ודניאל שהיו קוראים אותו אלהיהם היה גבוי להם לשרפו באש שנ' ועד אחרן וכו' ונטלו את חנניא מישאל ועזריה ונתנו אותם לתוך כבשן האש ובא גבריאל המלאך והצילו מכבשן האש אמ' להם המלך הייתם יודעים שיש לכם אלוה משיב ומציל למה שבקתון לאלהיכם והשתחוו לע"ז שאין בו כח להציל אלא כדרך שעשיתם בארצכם והחרבתם אותם כן אתם מבקשים לעשות בארץ הזאת ולהחריב אותה צוה המלך והרגו כלם ומנין שהיו כלם הרוגי חרב שנ' ויאמר אלי בן אדם הנבא בהרוגים האלה וחי ר' פינחס אומ' לאחר עשרים שנה שנהרגו הרוגים בבבל שרתה רוח הקודש על יחזקאל והוציאו לבקעת דורא והראהו עצמות יבשות הרבה מאד אמ' לו בן אדם מה אתה רואה אמ' לו אני רואה כאן עצמות יבשות אמ' לו יש בי כח להחיות יותר מכאן אלא אמ' ה' אלהים אתה ידעת כאילו לא האמין לפיכך לא נקברו אבותיו עצמותיו בארץ טהורה

אלא בארץ טמאה כמה דאת אמר ואתה על ארץ טמאה תמות אמ' לו
רבון כל העולמים מה תבואה מביאה עליהם עצם ובשר שאכלו
מהם ומתו בארץ אחרת היתה מקרבת עצם אל עצמו ר' יהושע בן
קרחא אומ' ירד עליהם טאל תחיית טל מן השמים וכמעין שהוא
נבע שהוציא מים כך היו נובעים ועולים עליהם בשר ועצמות
וגידים שנ' וראיתי והנה עליהם גידים וכו' אמ' לו הנבא אל
הרוח שנ' ויאמר אלי הנבא אל הרוח מארבע רוחות באי הרוח
ונפחי בהרוגים האלה ויחיו באותה שעה יצאו ארבע רוחות
השמים ופתחו אוצרות הנשמות והחזיר כל רוח ורוח לגוף
כאשר היה שנ' והתנבאתי כאשר צוני ותבא בהם הרוח ויחיו וכו'
כתוב במצרים ובני ישראל פרו וישרצו וירבו ויעצמו במאד
מאד מה במאד מאד מה להלן ששים רבוא אף כאן ששים רבוא
וכולהן עמדו על רגליהן חוץ מאיש אחד אמ' הנביא רבון כל
העולמים מה טבו של זה האיש אמ' לו בנשך נתן ובתרבית לקח
וחיה חי אני לא יחיה באותה שעה היו ישראל יושבים ובוכים
ואומרין היינו מקוים לאור ובא חשך והיינו מקוים לעמוד
עם כל ישראל בתחיית המתים ועכשו אבדה תקותינו היינו
מקוים להתקבץ עם כל ישראל ועכשו נגזרנו לנו באותה שעה
אמ' הקב"ה לנביא לך אמור אליהם חי אני שאני מעמיד אתכם
בתחיית המתים לעתיד לבא ומקבץ אתכם עם כל ישראל לארץ שנ'
הנה אנכי פותח את קברותיכם והעליתי אתכם ונתתי את רוחי
בכם:

ملاحظة من المترجم:

برقيه الحاخام إليعيزر Pirke de ـ Rabbi Eliezer هي عمل أغادي ـ مدراشي على التوراة يتضمن تفاسير وإعادة تلاوة للقصص التوراتية. حظي هذا العمل الهام ـ موجود على الإنترنت بلغات عديدة ـ بانتشار واسع وتقدير كبير في طول التاريخ اليهودي وعرضه؛ وما زال هذا الوضع قائماً حتى يومنا الحالي. لقد اعتقد كثيرون أن البرقية عمل تنائي نشأ على يد التانا الحاخام إليعيزر بن هيراكوس، وهو تلميذ للحاخام يوحنان بن زكّاي، ومعلّم للحاخام الشهير، عقيبا. لكن الواقع يقول إن هذا العمل الهام يتضمّن إضافات كثيرة من القرن الثامن، وكان أول من لاحظ ذلك إيزاك جوست. إذن، العمل الذي اعتُقد أنه يرجع إلى القرن الأول الميلادي حتى القرن الثالث للميلاد، يتضمن نصوصاً من أزمنة لاحقة. ففي الفصل الثلاثين، نجد حديثاً في نهايته عن ثلاثة مراحل من الغزو العربي، غزو العربية (משא בערב)، إسبانيا،(איי הים)، وروما (מלך גדול

حياته، عائلته، ممتلكاته، وأعماله الصالحة. وقت رحيله عن الأرض يجمع أفراد عائلته، ويقول أرجوكم، تعالوا حرروني من هذا الموت الشرير. فيجيبون: ألم تسمع[1] أن ليس لأحد سلطة على يوم الوفاة. ومكتوب أيضاً:[2] الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي الله كفّارة عنه؛ وكريمة هي فدية نفوسهم، فغلقت إلى الدهر؛ فاذهب إلى النهاية، وستستريح وتقوم لنيل نصيبك في نهاية الأيام[3]. أرجو لنصيبك أن يكون مع الأخيار. حين يرى الإنسان هذا، يجمع ثرواته ويقول لها: لقد جهدت لأجلكم ليل نهار، وأنا أصلّي لكم لتخلصوني وتفدوني من هذا الموت. لكن الجواب يكون: ألم تسمع أن الثروات لا تفيد في يوم الغضب؟[4] فيجمع أعماله الصالحة ويقول: تعالوا إذن وخلصوني من هذا الموت، ادعموني، لا تدعوني أخرج من هذا العالم، لأنكم لا تزالون تملكون أملاً بي إن أنا فُديت. فيجيبون: ادخل بسلام! لكن قبل أن تغادر سوف نسرع أمامك؛ كما هو مكتوب، ويسير برك أمامك، ومجد الرب يجمع ساقتك.[5]

[illegible]): وظهور اسمي فاطمة وعائشة، قبل اسم إسماعيل، وهو ما يوحي أن العمل نشأ حين كان الإسلام مسيطراً في آسيا الصغرى. هذا يعني أن الاستعارة لا يجب أن تكون بالضرورة من النص اليهودي إلى القرآن.

(1) جامعة، 8:8: אֵין אָדָם שַׁלִּיט בָּרוּחַ לִכְלוֹא אֶת־הָרוּחַ וְאֵין שִׁלְטוֹן בְּיוֹם הַמָּוֶת וְאֵין מִשְׁלַחַת בַּמִּלְחָמָה וְלֹא־יְמַלֵּט רֶשַׁע אֶת־בְּעָלָיו: لَيسَ لإِنْسَانٍ سُلْطَانٌ عَلَى الرُّوحِ لِيُمْسِكَ الرُّوحَ وَلاَ سُلْطَانٌ عَلَى يَوْمِ الْمَوْتِ وَلاَ تَخْلِيَةٌ فِي الْحَرْبِ وَلاَ يُنَجِّي الشَّرُّ أَصْحَابَهُ.
ملاحظة من المترجم: في نص غايغر لا تُذكر الآية.

(2) مزمور، 8:99.

(3) سفر دانيال، 13:12: וְאַתָּה לֵךְ לַקֵּץ וְתָנוּחַ וְתַעֲמֹד לְגֹרָלְךָ לְקֵץ הַיָּמִין: أمَّا أنتَ فَاذْهَبْ إِلَى النِّهَايَةِ فَتَسْتَرِيحَ وَتَقُومَ لِقُرْعَتِكَ فِي نِهَايَةِ الأَيَّامِ.
إضافة من المترجم: الآية غير مذكورة في نص غايغر.

(4) سفر الأمثال، 4:11: לֹא־יוֹעִיל הוֹן בְּיוֹם עֶבְרָה וּצְדָקָה תַּצִּיל מִמָּוֶת: لاَ يَنْفَعُ الْغِنَى فِي يَوْمِ السَّخَطِ أَمَّا الْبِرُّ فَيُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ.
ملاحظة من المترجم: الآية غير مذكورة في نص غايغر.

(5) إشعياء، 8:58.

خطوات مشروع الدين المقارن

١- أعمال منجزه

آ. القصص الديني، القسم الأول، تأليف: هـ. شباير.

ترجمة: نبيل فياض وميشائيل موترايش.

ب ت الهاجرية، تأليف: باتريشيا كرونه ومايكل كووك.

ترجمة: نبيل فياض.

ج. القرآن ككتاب مقدس، تأليف: آرثر جفري.

ترجمة: نبيل فياض.

المسيح الميثولوجيا، تأليف: رودولف بولتمان.

ترجمة: نبيل فياض.

هـ قصة المعراج الإسلامية، إعداد: نبيل فياض.

٢ ـ أعمال قيد الإنجاز

أ. القصص الديني، القسم الثاني.

ب. رسالة إلى اليمن، تأليف: إبن ميمون.

ترجمة: نبيل فياض.

ج. اليهودية ونبي الإسلام، تأليف: آ. غاير.

ترجمة: نبيل فياض.

د. محمد، تأليف: مايكل كووك.

ترجمة: نبيل فياض.

الفهرس

موسوعة

الدين المقارن



د. نبيل فياض

باحث سوري معتمد عالمياً كمتخصص في الدراسات النقدية الدينية وفي الدين المقارن.
ولد في حمص لأسرة تنتمي إرثيا للإسلام السني الشافعي .
دخل نبيل فياض المدرسة الابتدائية الإنجيلية الدانمركية في القريتين وكان في الرابعة والنصف من العمر. ثم انتقلت العائلة إلى حمص ليكمل تعليمه الإعدادي في مدرسة خالد بن الوليد، ثم يكمل الثانوي في ثانوية عبد الحميد الزهراوي.
بعد أن نال شهادة التعليم الثانوي، انتقل إلى مصر ليدرس اللغات. ثم عاد بعد ثلاث سنوات لأسباب قاهرة.
أعاد دراسة الثانوية العامة وهو يشتغل في مؤسسة الطرق. وبعد نجاح باهر فيها، اختار أن يدرس الصيدلة دون الطب - كما رغبت العائلة - في جامعة دمشق. ثم أكمل بعدها دراسة في التصنيع الدوائي قبل أن تأتيه منحة من لبنان لدراسة اللاهوت ليكمل في الكسليك حيث علّم هناك في جامعتها لسنوات.
في بداية الثمانينات نشر أول كتبه، التحوّل؛ وكان دراسة حول كافكا. ثم نقلت التحوّل إلى المسرح.
صدر كتابه الثاني بعد الأول بشهور، وكان ترجمة لرسالة عبدة الأوثان من التلمود البابلي.
كان كتابه الثالث، حوارات في قضايا المرأة والتراث والحرية، تعقيباً على كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، هذه مشكلاتهم؛ الذي أصدر الشيخ الشهير تعقيباً على ما طرحه عليه نبيل فياض من أسئلة نشرها مع أجوبتها في صحيفة " الديار اللبنانية ".
أعاد البوطي الكرّة في هذه مشكلاتنا، فكان أن أصدر نبيل فياض كتابه، يوم انحدر الجمل من السقيفة.
شارك كثيرون بهذا الجدل العلماني- الأصولي، وكان منهم رئيس الجماعة الأحمدية في سوريا وقتها، نذير المرادني، والباحث حامد حسن، والأستاذ سهيل الجابي. هذا غير عملين أكاديميين للباحثين الألمانيين، أندرياس كريستمان وإيكارت فورتز.
صدرت له عدة كتب في البداية:
قضايا حول المرأة والحرية والتراث،يوم انحدر الجمل من السقيفة،عائشة أم المؤمنين تأكل أولادها،مراثي اللات والعزى،النصارى،رسالة عبدة الأوثان،عزرا باوند الشاعر المرتد
كتاب مهم عن صلاح الدين مع حسن الأمين
يجيد سبعة لغات منها (الانكليزية، العبرية، الالمانية، الفرنسية، اللاتينية) عمل استاذا محاضرا في في العديد من الجامعات العالمية في امريكا والمانيا وغيرها، رشح لجائزة الشيخ زايد للترجمة كافضل كتاب مترجم عن الالمانية وذلك عن كتاب مشترك مع الأستاذ جورج برشيني وهو جوهر المسيحية_لودفيغ فويرباخ صادر عن دار الرافدين ، كما اشتهر في الوسط الثقافي داخل العالم العربي والغربي بكونه أفضل مترجم عن الالمانية ، واجادته للانكليزية حتى افضل من لغته العربية.
قدم العديد من الدراسات البحثية العلمية في مجال الطب والصيدلة مع زملاء له في امريكا، وبقي عمله يتردد بين التأليف والترجمة والمجال الصيدلة (والتصنيع الدوائي).
انتقل نبيل فياض بعدها إلى إكمال مشروعه المسمى: الدين المقارن؛ والذي أراد منه تبيان حقيقة الترابط العضوي بين أديان منطقة الشرق الأوسط. واليوم نكمل هذا المشروع في موسوعة الدين المقارن التي ستصدر تباعاً في أكثر من ١٥جزء.
له اليوم أكثر من ٧٠كتاب مطبوع بين تأليف وترجمة..



